المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الملك سعود - كلية التربية
قسم الثقافة الاسلامية
شعبة العقيدة

مسائل النبوة في كتاب الشفا للقاضي عياض عرض ودراسة في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة

بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير

إعداد الطالب

ياسر بن إبراهيم بن عبد الله السلامة

إشراف الأستاذ الدكتور

عبد القادر بن عبد القادر البحراوي

١٤٢٠ هـ

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة الملك سعود- كلية التربية

قسم الثقافة الإسلامية

شعبة العقيدة

مسائل النبوة في كتاب الشفا للقاضي عياض

عرض ودراسة في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة

بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير

إعداد الطالب

ياســـــر بن إبراهيم بن عبدالله السلامة

إشراف الأستاذ الدكتور

عبدالقادر بن عبدالقادر البحراوي

١٤٢٠هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وعلى من سار على نهجهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين... أما بعد .

فإن الله سبحانه لم يوجدنا سدى ولم يخلقنا عبثا، تعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو ﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لاترجعون﴾ [1].

وإنما أوجدنا لهدف نبيل وغاية سامية أخبرنا عنها بقوله : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ [2].

ولا يستطيع أحد من الجن والإنس القيام بحقيقة العبودية لله- التي هي سر الإيجاد- إلا عن طريق الرسل الذين يبلغون رسالات الله ، ويوضحون للناس شرعه سبحانه، ويدلوهم على الطريق الصحيح الذي يسلكونه، فيحققون الهدف الذي من أجله أوجدوا. ﴿ رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾ [3].

وإدراك هذه الرتبة - رتبة الرسالة- لا يتحصل عليها المرء بمدارسة ولا مثافنة ، وإنما هي محض مِنَّةٍ من الله سبحانه واصطفاء لمن يشاء من خلقه ﴿ الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس إن الله سميع بصير﴾[4] .

ومما لا شك فيه أن مقام النبوة مقام عليٌّ ورتبة الرسالة من أرفع الشرف . والإنصاف أن يعرف المسلم مكانة الأنبياء وخاصة نبينا محمداً عليه الصلاة والسلام. ولكن دون أن يصل إلى الإطراء أو الغلو المنافي للمشروع كما قال عليه

---

[1] سورة المؤمنون الآية (١١٥).
[2] سورة الذاريات الآية (٥٦).
[3] سورة النساء الآية (١٦٥).
[4] سورة الحج الآية (٧٥).

الصلاة والسلام : " لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله "[1].

ومن أعظم الحقوق لنبينا عليه الصلاة والسلام طاعته فيما أمر واجتناب ما عنه نهى وزجر وألا يعبد الله إلا بما شرع .

فكما أن ترك القيام بشيء من شرعه نقص وخلل ، فكذا الزيادة عما شرع باطلة، كما قال عليه الصلاة والسلام : " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد " [2].

قال سبحانه : ﴿ وماآتكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ [3]

التعريف بالبحث :

لأهمية الكلام في النبوة والرسالة، ومناقشة المسائل العقدية فيها، وقع الاختيار في البحث التكميلي لمرحلة الماجستير على كتاب القاضي عياض – رحمه الله – "الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم" ، الذي اشتمل على مباحث مفصلة في أبواب النبوة ومسائلها من الكلام في حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم وخصائصه، ومعجزاته، وعصمته، وحرّرها القاضي تحريراً بديعاً.

فكان مرجعا لكل من كتب بعده في هذه المسائل في الأعم الأغلب .

ولما كان الكتاب مشتملاً على هذه المسائل وعلى مسائل أخرى تتعلق بفضائل المصطفى صلى الله عليه وسلم وشمائله، وجملة من أحواله، رغبت في تجلية مسائل النبوة فيه عن غيرها. وعرضها في سياق ميسر سهل مع عزو الآيات، وتخريج الأحاديث، ومناقشة أقوال القاضي رحمه الله – تحشية – تأييداً وتقوية لها، أو بما يوضح مكامن الخلل ، وأوجه النقد فيما زل به قلمه – رحمه الله – .

---

[1] الجامع الصحيح ، للبخاري ، ضمن فتح الباري بترقيم محمد فؤاد عبدالباقي والتي حقق أجزاء منها سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله ، نشر المكتبة السلفية ، بدون رقم وتاريخ الطبع ، كتاب الأنبياء ح (٣٤٤٥) .

[2] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الصلح ح (٢٦٩٧) وصحيح مسلم ، بترقيم محمد فؤاد عبدالباقي نشر دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، كتاب الأقضية ح (١٧١٨).

[3] سورة الحشر الآية (٧) .

وقد تقدمت إلى قسم الثقافة الإسلامية بكلية التربية في جامعة الملك سعود بالرياض بهذه الدراسة، وعرضت خطة البحث على المجلس الموقر، فأقرها بعد تهذيبات وتعديلات ارتآها أعضاؤه الأفاضل.

فكان أن شرعت في البحث مستعينا بالله سبحانه، مستلهما منه التوفيق والتسديد تحت عنوان : (مسائل النبوة في كتاب الشفا للقاضي عياض عرض ودراسة في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة) .

وهأنذا أتقدم بهذا العمل بعد إتمامه والفراغ منه بهذه الصورة المتواضعة، فما كان فيه من صواب فمن الله وحده سبحانه توفيقاً وإعانة، وما كان فيه من خلل وزلل فمني ومن الشيطان، وأستغفر الله سبحانه من ذلك .

أهمية البحث:

تبرز أهمية البحث من خلال النقاط التالية:

١- إبراز مسائل النبوة في كتاب الشفا نظراً للمكانة التي يتبوؤها، حيث أنه من المصادر الأساسية لكل من كتب في مسائل النبوة ممن أتى بعده قديماً وحديثاً.

٢- مع نفاسة الكتاب، وتميزه في بابه، إلا أنه حوى بعض المآخذ كما نص على ذلك الإمام الذهبي بقوله – عند كلامه عن القاضي – : [تواليفه نفيسة وأجلها وأشرفها كتاب الشفا، لولا ما قد حشاه بالأحاديث المفتعلة عمل إمام لا نقد له في فن الحديث ولا ذوق، والله يثيبه على حسن قصده وينفع بـ (شفائه) وقد فعل ، وكذا فيه من التأويلات البعيدة ألوان، ونبينا صلوات الله عليه وسلامه غني بمدحه التنزيل عن الأحاديث، وبما تواتر من الأخبار عن الآحاد وبالآحاد النظيفة الأسانيد عن الواهيات]"[1] .

لذا أردت إبراز مسائل النبوة فيه ومناقشتها في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة.

---

[1] انظر سير أعلام النبلاء ، لشمس الدين الذهبي ،تحقيق شعيب الأرناؤوط وصاحبه ، نشر مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة السابعة ، عام ١٤١٠ هـ ٢٠/٢١٦.

أهداف البحث:

١- إبراز مآثر العلماء السابقين في مجال العلوم الشرعية ، ومن تلك المآثر: كتاب الشفا للقاضي عياض. والذي يعتبر من الكتب المتميزة في بابه.

٢- إبراز آراء القاضي عياض ومواقفه من مسائل النبوة، ومناقشته في بعضها في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة .

٣- تأصيل المسائل العقدية من خلال النصوص الشرعية ، حيث أن القاضي رحمه الله استدل في بعض المسائل بأحاديث ضعيفة .

البحوث السابقة :

لم أجد بعد التحري كتاباً مستقلاً تناول مسائل النبوة في كتاب الشفا للقاضي عياض ، ولكن هناك رسالة أجيزت في الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة تدور حول العقيدة عند القاضي عياض للباحث :غسان بن أحمد عبدالرحمن ، بعنوان " القاضي عياض اليحصبي ومنهجه في العقيدة " تناول فيها بعض الموضوعات كالإيمان بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ووجوب طاعته، بما لا يتجاوز الأربع صفحات . وبعض الموضوعات الأخرى التي لا تتجاوز صفحات المبحث فيها أصابع اليد الواحدة .

تساؤلات البحث :

كثير من المسائل الشرعية وخاصة العقدية، الناس فيها ما بين الإفراط والتفريط. وأهل السنة وسط بينهما.

ومن هذه المسائل التي تجاذبتها اتجاهات الفرق ما نتعرض إليه في بحثنا هذا - بمشيئة الله- حيث يجلي البحث وجه الحق فيها من خلال معتقد أهل السنة والجماعة. وسيجيب عن أسئلة مهمة ، مثل :

١- ما هي مكانة النبي صلى الله عليه وسلم ، وما هي حقوقه ؟

٢- هل وقع الإسراء والمعراج بالروح أم بالجسد أم بهما معاً ؟

٣- هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه ؟

٤- هل ثبتت إصابة النبي صلى الله عليه وسلم بالسحر ؟ وهل يتعارض هذا مع العصمة ؟

وغيرها من الأسئلة المهمة التي يجيب عنها هذا البحث .

منهج البحث :

منهج البحث منهج استقرائي يعقبه المنهج التحليلي المقارن.

إجراءات البحث :

١- عزو الآيات إلى أماكنها في القرآن الكريم .

٢- تخريج الأحاديث والآثار من مصادرها الأصلية ، وإذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بتخريجه منه .

٣- التعريف ببعض الفرق التي ورد ذكرها في البحث .

٤- الترجمة لغير المشهورين من الأعلام . إذا كان لترجمته فائدة .

٥- كل كلام موضوع بين علامة تنصيص فهو منقول بنصه من كلام القاضي عياض .

٦- ذكر بيانات المصدر أو المرجع كاملة أول وروده هكذا :

اسم الكتاب ، اسم المؤلف ، اسم المحقق او المصحح إن وجد ، دار النشر ، بلد النشر ، رقم الطبعة ، تاريخ الطبع ، رقم الجزء ، رقم الصفحة .

٧- اذا تكرر ذكر المرجع اقتصرت على اسم الكتاب و المؤلف والصفحة .

٨- شرح ما رأيت الحاجة داعية إلى شرحه من الألفاظ الغريبة .

٩- تذييل البحث بفهارس وهي :

ا- فهرس الآيات القرآنية مرتبة على ترتيب السور .

ب- فهرس الأحاديث والآثار .

ج- فهرس الأعلام المترجم لهم .

د- فهرس المصادر والمراجع .

هـ- فهرس للمحتويات .

تصور أبواب البحث وفصوله :

يتكون البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة وفهارس .

وهذا عرض لها :

- المقدمة :

وتشتمل على مايلي :

١ - التعريف بالموضوع .

٢ - أسباب اختيار الموضوع وأهميته .

٣ - أهداف البحث .

٤ - المنهج الذي سأسلكه في البحث .

- التمهيد ، وفيه مبحثان :

المبحث الأول: التعريف بالقاضي عياض.

المبحث الثاني: التعريف بكتابه "الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلـــــى الله عليه وسلم".

- الباب الأول: ذكر ما اختص الله به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ، ويشـــتمل على تمهيد وثلاثة فصول :

- تمهيد في سمو مكانته ووجوب طاعته واتباعه. وفيه ثلاثة مباحث.

المبحث الأول: بين النبوة والرسالة.

✓ المبحث الثاني: سمو مكانة المصطفى صلى الله عليه وسلم .

✓ المبحث الثالث: وجوب طاعته واتباعه وبيان شيء من حقوقه.

- الفصل الأول : الإسراء والمعراج.

✓ وفيه مبحثان :

المبحث الأول: ثبوت الإسراء والمعراج والأدلة على ذلك.

المبحث الثاني : هل الإسراء بالروح أم بالجسد أم بهما معاً ؟

- الفصل الثاني : الشفاعة.

وفيه مبحثان :

المبحث الأول: إثبات الشفاعة وأدلتها.

المبحث الثاني: أهل الشفاعة.

- الفصل الثالث: رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لربه.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: رؤية الله في الدنيا وإمكانها.

المبحث الثاني: رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لربه واختلاف العلماء في ذلك.

المبحث الثالث: رؤية الله تعالى في الآخرة.

- الباب الثاني: معجزات الأنبياء

ويشتمل على فصلين:

- الفصل الأول: المعجزات والكرامات .

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: في تسمية آيات الأنبياء وبراهينهم .

المبحث الثاني: إثبات المعجزات والرد على منكريها.

المبحث الثالث: إثبات الكرامات.

المبحث الرابع: التفريق بين معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء .

المبحث الخامس: الفرق بين المعجزة والسحر .

- الفصل الثاني: المعجزات المعنوية والحسية .

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: المعجزات المعنوية.

المبحث الثاني: فيما وقع من النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وهل يكون معجزا ؟

المبحث الثالث: معجزات التحدي للكفار.

المبحث الرابع: بركته عليه الصلاة والسلام.

المبحث الخامس: معجزاته صلى الله عليه وسلم في أمور أخبر عنها فوقعت كما أخبر.

- الباب الثالث: العصمة.

ويشتمل على ثلاثة فصول :

- الفصل الأول: العصمة في التبليغ .

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: إثبات العصمة فيما يتعلق بالتشريع.

المبحث الثاني: عصمته من الوقوع في الذنوب.

- الفصل الثاني: عصمته فيما يتصل بأمور الدنيا والعوارض البشرية.

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: صفة البشرية فيه عليه الصلاة والسلام.

المبحث الثاني: سهوه عليه الصلاة والسلام.

المبحث الثالث: أحداث تنفي عصمته في أمور الدنيا.

المبحث الرابع: فيما ورد من سحره عليه الصلاة والسلام.

- الفصل الثالث: موقف أهل السنة والجماعة من العصمة.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: موقفهم من العصمة في التبليغ.

المبحث الثاني: موقفهم من العصمة في أمور الدنيا.

خاتمة البحث : وفيها عرض لأهم النتائج.

الفهارس: وتشتمل على فهارس للآيات وللأحاديث وللأعلام وفهرس بمصادر البحث وفهرس عام بموضوعاته.

وفي الختام أحمد الله تعالى – وهو للحمد أهل - أن وفقني لإنجاز هذا العمل ، على مافيه من ضعف البشر وقصر النظر ، فما كان فيه من صواب فمن الله تعالى وبفضله ، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان ، وأستغفر الله منه ، وجزى الله كل من نصح وأبان ونبه خيرا .

وشكرا لكل من أفادني بإعانة أو توجيه أو ملاحظة. وعلى رأسهم والديّ الكريمين.

- رفع ربي مقامهما وعظم أجورهما ووفقني للبر بهما – .

كما أتقدم بالشكر والعرفان لجامعة الملك سعود ممثلة في كلية التربية قسم الثقافة الإسلامية على إتاحتهم هذه الفرصة لمواصلة التعليم ، والاستزادة من المعرفة.

وأتقدم بالشكر والعرفان للدكتور: رزق بن يوسف الشامي الذي تولى الإشراف على هذه الرسالة سلفاً. وتابعها حتى آخر لحظات وجوده في الجامعة .

ثم خلفه الأستاذ الدكتور: عبد القادر البحراوي ذا الصدر الرحب والتوجيه السديد . الذي أتم ما ابتدأه سلفه ، فلهما مني الدعاء .

وشكر الله سعي الأساتذة الذين أفادونا وأعانونا على تخطي هذه المرحلة واجتيازها.

وفي مقدمهم مقرر لجنة العقيدة فضيلة الشيخ الدكتور محمد بن عبد الله الوهيبي الذي غمر الجميع بعطفه وأحاطهم باهتمامه .

غفر الله له ولوالديه وعمّنا جميعاً بفضله وجوده وكرمه إنه سميع مجيب .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

التمهيد

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : ترجمة القاضي عياض.

المبحث الثاني: التعريف بكتابه "الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم"

المبحث الأول

ترجمة القاضي عياض

اسمه :

هوعياض بن موسى بن عياض بن عمرون بن موسى بن عياض بن محمد بن موسى بن عياض، السبتي، اليحصبي، الأندلسي.

ويكني رحمه الله بأبي الفضل .

أما لقبه، فيلقب (بالقاضي) كما يلقب (بالحافظ) و(شيخ الإسلام) و (الإمام) و (المحدث) و (المجتهد) و(الأديب) و (العالم العامل الزاهد المجاهد) و (علامة المغرب) [1] .

مولـــــده :

ولد رحمه الله سنة ست وسبعين وأربعمائة (٤٧٦هـ) [2].

---

[1] انظر ترجمته في وفيات الأعيان وأنباء الزمان ، لابن خلكان ، تحقيق إحسان عباس ، نشر دار الثقافة ، بيروت ، عام ١٩٦٩ م ، ٤٨٣/٣ – ٤٨٥ ؛ سير أعلام النبلاء ، للذهبي ، ٢١٢/٢٠ ؛ البداية والنهاية ، لابن كثير ، تحقيق أحمد أبو ملحم وآخرون ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، عام ١٤٠٥ هـ ، ٢٤١/١٢ ؛ التعريف بالقاضي عياض ، لولده أبي عبد الله محمد ، تحقيق د. محمد بن شريفة ، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب ، الطبعة الثانية ، عام ١٤٠٢ هـ ؛ أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ، لشهاب الدين أحمد التلمساني ، نشر اللجنة المشتركة للنشر والتراث الإسلامي في المغرب والإمارات ، بدون رقم وتاريخ الطبع ، ٢٣/١.

[2] أنظر وفيات الأعيان لابن خلكان ، ٤٨٥/٣ ؛ سير أعلام النبلاء للذهبي ، ٢١٣/٢٠ ؛ التعريف بالقاضي عياض لولده محمد ، ص ٣ ؛ الإحاطة في أخبار غرناطة ، لابن الخطيب الأندلسي ، تحقيق محمد عنان ، نشر مكتبة الخانجي ، مصر ، الطبعة الثانية ، عام ١٤٠٢ هـ ، ٢٢٩/٤ .

حياته ونشأته :

لقد كان القاضي – رحمه الله – يمتاز بذكاء باهر وذهن ثاقب وحافظة قوية، وقد تربى في كنف أسرة فاضلة ثرية مهتمة بالعلم والتعبد، ونشأ في مدينة تعج بالعلماء في مختلف التخصصات، وتمثل مركزاً علمياً متميزاً، ويلتقي فيه حملة العلم من أهل المغرب والمشرق، وذلك بحكم موقعها الجغرافي المهم ، فهي مجاز أهل الأندلس إلى المغرب وأفريقيا والمشرق وبالعكس، سواء كانوا علماء أو حجاجاً أو تجاراً أو مجاهدين، ومقصد كثير من أهل العلم للاستيطان بها، وبهذا كانت سبته ملتقى دائماً لأهل العلم في مختلف البلدان ، كما أن القاضي قد عاش معظم حياته في ظل دولة المرابطين التي تحترم العلم ، وتجل أهله وتقدمهم وتقف عند أحكامهم ومشاوراتهم .

فكانت هذه العوامل مجتمعة سبباً في دفع القاضي إلى أن يقبل على التحصيل العلمي ويهتم به ويجتهد في ذلك ، ويحرص كل الحرص على مجالسة أهل العلم والاستفادة منهم قارئاً ومستمعاً ، ومتفقهاً ومذاكراً ومناظراً وسائلاً ، لأنه لم يكن له – وهو الطالب النبيه الحريص على طلب العلم – ليضيع تلك الفرص دون اغتنام.

وقد ذكر ابنه محمد أن والده (نشأ طالبا للعلم حريصا عليه مجتهدا فيه ، معظما عند الأشياخ من أهل العلم، كثير المجالسة لهم والاختلاف إلى مجالسهم، إلى أن برع في زمانه، وساد جملة أقرانه وبلغ من التفنن في فنون العلم ما هو معلوم).[1]

---

(١) التعريف بالقاضي عياض لولده محمد ، ص٤ ؛ الإحاطة لابن الخطيب ، ٤/ ٢٢٢ .

وقد تم معظم تكوين القاضي العلمي في مدينة سبته ، على يد علمائها ومن يفد إليها، أو يستوطنها من علماء البلاد الأخرى، حيث بدأ أولاً بحفظ القرآن الكريم وختمه عدة مرات بالقراءات المشهورة على يد مقرئين كبار فرغوا أوقاتهم لهذا الشأن، ومن ثم درس بعض الكتب المختصرة في العقيدة والفقه على مذهب الإمام مالك، ثم أقبل على دراسة اللغة والأدب والبلاغة والنحو والشعر، وبدأ بعد ذلك دراسة أكثر تعمقاً لكتب العقيدة والكلام والجدل ، والفقه وأصوله ، والحديث وعلومه، والتفسير وعلوم القرآن ، وكانت هذه الدراسة إما عن طريق الاستماع والقراءة على الشيوخ في سبته ومن يمر بها، أو عن طريق إجازته بمرويات وكتب الشيوخ في المشرق والمغرب ، أو عن طريق الرسائل والخطابات بينه وبين العلماء خارج سبته[1]. وهكذا أخذت مدارك القاضي العلمية تزداد وتخصصاته المتنوعة تنمو وتزدهر شيئاً فشيئاً، حتى برع في جملة من العلوم قبل أن يبلغ الثلاثين من عمره وأصبح علماً مشهوراً يشار إليه بالبنان من قبل العامة والخاصة. ولكن القاضي – رحمه الله – وجد في نفسه رغبة ملحة في توسيع روايته وتكميل تكوينه العلمي، وتنمية معارفه في شتى العلوم ، وأدرك أن ذلك لن يتأتى له على الوجه الأمثل إلا بالرحلة والسفر إلى جهابذة العلماء وكبار الشيوخ خارج مدينته ، فجهز نفسه واستعد لرحلته المشهورة إلى الأندلس ، والتي بدأها يوم الثلاثاء في منتصف جمادي الأولى عام (٥٠٧هـ)[2].

---

(١) انظر الغنية ، للقاضي عياض ، تحقيق ماهر جرار ، نشردار الغرب ، بيروت ، الطبعة الأولى ، عام ١٤٠٢ هـ ، ٢٧ وما بعدها .

(٢) انظر التعريف بالقاضي عياض لولده محمد ، ص ٦.

وقد كان لرحلته هذه اهتمام بالغ وعناية خاصة من قبل كبار رجالات الدولة - فضلا عن عامة الناس - .

فقد كتب علي بن يوسف بن تاشفين أمير دولة المرابطين آنذاك رسالة إلى قاضي قرطبة، موصياً بالقاضي، ومبيناً فضله ومكانته، وما وصل إليه من التقدم في العلوم ، ومما جاء فيها أن عياضاً (ممن له في العلم حظ وافر، ووجه سافر ، وعنده دواوين أغفال لم تفتح لها على الشيوخ أقفال ، وقصد تلك الحضرة ليقيم أود متونها ...) كما تحرك لرحلة عياض وأولاها الاهتمام الخاص وزير الدولة أيضاً ، فإنه كتب رسالة إلى قاضي قرطبة يوصيه فيها بأبي الفضل ويشيد بفضله ومما جاء فيها أن عياضاً (رأى أن يفتح نحوك ظهرَي لجة ومحجة ، ويرحل إلى حضرتك المألوفة مهاجراً، ويعتمدها في طلب العلم تاجراً، وله في الفضل مذاهب يبهرج عندها الذهب، وعنده من النبل ضرائب لا يفارق زندها اللهب، وستقربه فتستغربه، وتختبره فتكبره، إن شاء الله)[1] .

وقد بدأ القاضي رحلته العلمية بقرطبة حاضرة الأندلس فمكث فيها ثمانية أشهر أخذ فيها عن كبار مشايخها ، كابن رشد وغيره ، ومن ثم خرج إلى مرسيه قاصداً الحافظ الواسع الرواية المتفنن الحسين بن محمد الصدفي فوافق وصوله إليها اختفاء هذا الشيخ خطة منه ليعفى من القضاء فبقي عياض بانتظار ظهوره شهرين، وقد اغتنم هذه المدة في مقابلة كتبه بأصول الصدفي على يد خاصة من أهله بإذن منه، وقد حرص القاضي على انتظاره لأنه أجل الشيوخ الذين كانوا من أهداف رحلته. فلما أعفي الصدفي من القضاء وخرج للناس، سمع عليه القاضي كثيراً، ولازمه وكان له به اختصاص، وحصل له مسموع كثير في مدة يسيرة وقال له الصدفي: (لولا أن الله يسر خروجي بلطفه لكنت عزمت أن أشعرك بموضع يقع عليه الاختيار من بلاد الأندلس لا يؤبه لكوني فيه ترحل إليه وأخرج مختفياً إليه بأصولي فتجد ما ترغب لما كان في نفسي من تعطيل رحلتك وإخفاق رغبتك)[2].

---

[1] التعريف بالقاضي لولده محمد ص ٦ .

[2] انظر التعريف بالقاضي عياض ص ٨ ، والغنية ص ١٣١.

وقد واصل القاضي عياض- رحمه الله - رحلته في بلاد الأندلس، فذهب إلي مدينة إشبيلية وطاف في شرق البلاد وغربها يأخذ عن كبار علمائها، الذين وجد منهم كل حفاوة وتكريم حيث وقفوا على سمو مكانته العلمية، ففرغوا جل أوقاتهم له، وقد استفاد من كثير منهم في مجالسهم للطلبة، ومن خلال ما خصوه به من السماع في بيوتهم.

ويبدو أن القاضي انتقى شيوخ هذه الرحلة قبل سفره لذلك فإنه كان يقصد بغيته مباشرة فلم تتجاوز رحلته الثلاثة عشر شهراً ، حيث أنه - رحمه الله -قد عاد إلى سبته ليلة السبت السابع من جمادى الآخرة سنة (٥٠٨ هـ).[١]

وقد تتلمذ خلال هذه الرحلة على أكثر من ثلاثين من كبار علماء الأندلس وأجازه كثير منهم مروياتهم والتي بلغت العشرات من المراجع والكتب المهمة[٢].

وقد امتازت رحلته للأندلس بكثرة العطاء ، حيث أسمع الحديث وقرىء عليه واستفاد منه الناس في كثير من العلوم ، كما أنه - رحمه الله - قد أكمل تكوينه العلمي بعد رحلته واتسعت رواياته ونمت معارفه في العلوم المختلفة .

ولم يتمكن القاضي من الرحلة إلى المشرق ، غير أنه قد عوض عن بعض ما فاته عن طريق من رحل إليها وأخذ عن علمائها من أهل المغرب والأندلس ، وعن طريق ما حصل عليه من الإجازات من بعض كبار علماء المشرق .

مذهبه :

نشأ القاضي عياض في أسرة محبة للعلم والعلماء ، وترعرع في ظل علماء وفقهاء من المالكية أحبهم وتتلمذ على أيديهم وحفظ متون مذهبهم الذي كان منتشراً في تلك الديار المغربية، وما لبث أن أصبح – وفي فترة وجيزة – متعلقاً في

---

[١] انظر التعريف بالقاضي عياض لولده محمد ص ١٠ ، وأزهار الرياض للتلمساني ، ٣/ ١٠ .

[٢] انظر الغنية للقاضي عياض ص ٤٦ وما بعدها .

هذا المذهب، متمكناً فيه يتصدر للفتوى، بل وللقضاء ولمّا يتجاوز الثلاثين من عمره.

ومن شدة شغفه بمذهبه نجده يؤلف كتاباً خاصاً بتراجم طبقات المالكية، ابتدأه بترجمة مطولة للإمام مالك ومن ثم تلاميذه ، فمن بعدهم إلى طبقة شيوخه، وقد سماه (ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك)، وقد تقدم القول عنه أنه يعتبر أهم وأعظم مرجع لطبقات المالكية، لا يوجد لهم مثله. هذا بالإضافة إلى كتبه الفقهية وشروحاته الحديثية العديدة التي خدمت المذهب المالكي خدمة كبيرة.

ومما يدل أيضاً على مذهبيته المالكية ترجيحه لمذهب مالك وتقديمه له على غيره من الأئمة وجعل مذهبه هو الأرجح والواجب اتباعه ومبالغته في الاستدلال على ذلك، وكذلك عنايته الخاصة بتقرير مذهب مالك وأصحابه في المسائل الفقهية المختلفة. والاستدلال لمذهبه، وبيان ما تأوله أصحاب المذهب من الأحاديث، والاعتذار لهم فيما لم يأخذوا به، بالإضافة إلى اهتمامه ببيان مشهور مذهب مالك، واختلاف أقواله في المسألة الواحدة، واختلاف الرواة عنه، وتنبيهه إلى ما نسبه العلماء لمالك خطأ.

ولكن مع كون القاضي يختار المذهب المالكي ويستدل له من حيث الجملة، إلا أنه لا يتعصب له ولا يرد قول المخالف إذا كان مدعماً بالدليل الصحيح البين الدلالة ، ولذا نجده يحرص على ذكر أقوال الأئمة والفقهاء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، ويرجح ما تشهد له النصوص بالصواب في المسألة، وإن خالف

مذهبه،وهذا في المسائل التي يظهر فيها ضعف القول في المذهب ووضوح الدليل مع المخالف . فإنه كان معظماً للسنة متمسكاً بها رحمه الله[1] .

عقيدتـــــه :

أما في الصفات فهو أشعري ، يمدح الأشاعرة ويثني عليهم ويفضل طريقتهم ويسير على منهجهم ويسميهم (أهل السنة والجماعة)[2] .

وقد ألف كتاباً على مذهبهم شرح فيه كتاب أحد أئمة الأشاعرة وهو أبو بكر ابن فورك وأثنى عليه في مقدمة كتابه بقوله : (لما قرأت كتاب تفسير الحديث للإمام أبي بكر ابن فورك وكان رضي الله عنه ركناً من أركان الملة ممن دفع الله به الشبهات عن الدين، وأقامه سبحانه في مناظرة طوائف المبتدعين ... ألفيته مشتملاً على جملة جليلة في العلم، يجب على ذي الهمة العكوف على فهمه ولزوم النظر في معناه، فقرأت ما فيه وتفهمت معانيه، فعرض من بادة الكلام على تلك الأحاديث ما عرض فجعلت كلام الإمام أبي بكر أصلاً آتياً عليه ما ورد على لساني عن اللطيف الفتاح العليم فكمل الكتب مشتملاً على أنواع جليلة من الأسرار

---

[1] شذرات الذهب ، ١٣٩/٤ .

[2] انظر إكمال المعلم ، ٦١/٦ ، والغنية ، ص ١٩ ، ١٧٠ ، ٢٢٦ .

والرسوم... وسميته منهاج العوارف إلى روح المعارف في شرح مشكل الحديث)[1].

وقد سبقت الإشارة عند الحديث عن مؤلفات عياض أن كتاب (مشكل الحديث) قد سار فيه مؤلفه على منهج الأشاعرة في تأويل الصفات ، لأنه كان أحد أركانهم ، وقد ذكر القاضي في كتابه الغنية[2] أنه أخذ هذا الكتاب السابق عن شيخه التاهرتي .

ويبدو أن السبب في اعتناق القاضي عياض للعقيدة الأشعرية يكمن – والله أعلم – في تتلمذه على عدد كبير من أئمة الأشاعرة الذين أخذ عنهم وأحبهم وتأثر بهم، وكان لهم النصيب الأكبر في تنمية معارفه وتخصصاته ، وكان معظم هؤلاء على المذهب المالكي في الفروع وقد ذكرهم في كتابه الغنية وترجم لهم في ترتيب المدارك .

ومن هؤلاء الشيوخ الذين تأثر بهم ، عبد الرحمن المعافري، الأصولي المتكلم الذي لقي أبا المعالي الجويني (رأس الأشاعرة) بمكة ودرس عليه علم الأصول والكلام فعاد إلى مدينته سبته فدرسهما طيلة حياته وكان أبو الفضل ممن يلازم درسه[3]. ومنهم القاضي أبو الوليد الباجي صاحب كتاب (المنهاج في الجدل والمناظرة) وقد كان إماماً في الأشعرية وذا تأثير كبير في نشر عقيدته لمجادلته ابن حزم في الفقه والعقيدة على طريقة الأشاعرة [4] .

---

[1] منهاج العوارف إلى روح المعارف في شرح مشكل أحاديث التوحيد ، للقاضي عياض (مخطوط عن رسالة غسان عبدالرحمن) ص ١ ، ٢.

[2] الغنية للقاضي عياض ص ١٤١ .

[3] المرجع السابق ، ص ١٦٥ ، ١٦٦.

[4] المرجع السابق ، ص ١٦٦ .

ومنهم عبد الغالب السالمي وأبو الحجاج الضرير اللذان كتبا (أنوار الحقائق وأسرار الدقائق) في علم الكلام وكانا من أئمة الأشاعرة وفطاحل المتكلمين[1].

ومنهم محمد بن رشد (الجد) الأصولي المتكلم، وأبو بكر ابن العربي الذي انتصب لتعليم العقيدة الأشعرية ببلاد الأندلس، وقد رحل القاضي إليهما ودرس عليهما مدة من الزمن وأجيز بمؤلفاتهما وما لديهما من كتب ومرويات[2].

قال ابن تاويت : (صلة القاضي عياض بعلم الكلام وما يتبعه من جدل ومناظرة ومعرفته بدقائق آراء المخالفين لأهل السنة، تصل بنا إلى أن المدرسة التي أخرجته وشيوخه الذين تعلم عليهم الكلام وأصول الدين وكثير من العلماء المغاربة الذين اشتغلوا بعلم الكلام واشتهروا به وترجم لهم في ترتيب المدراك، نقول هذه المدرسة كانت على علم تام بالجدل والمناظرة وأصول الدين والكلام على مذهب أبي الحسن الأشعري، وإن كتب الأشاعرة في علم الكلام كانت معروفة بين رجالها وكانوا يتدارسونها في كافة أنحاء المغرب)[3] .

وإنصافا للقاضي – رحمه الله – فقد كانت له اجتهادات موفقة خالف فيها الطرق الكلامية ، وشنع على المتكلمين في ردهم لبعض النصوص النقلية الثابتة وردها بالحجج العقلية ، ولعل المبحث الذي عقدته فيما ورد من سحر النبي عليه الصلاة والسلام ، يجلي هذا الأمر ويثبته .

---

[1] انظر الغنية للقاضي عياض ص ١٦٩ ، ١٧٠ ، ٢٢٦.

[2] المصدر السابق ، ص ٥٤، ٥٥، ٦٦، ٧٢.

[3] دورة القاضي عياض ، لمجموعة من المؤلفين ، نشر دار مراكش ، المغرب ، الطبعة الأولى ، عام ١٤٠١ هـ ٦٢ – ٦٦ .

والذي يظهر أن القاضي كانت له نزعات متعددة، يوضحها كلام الملا علـــى القارئ عند شرحه للفظ من الألفاظ في الشفا وهو قول القاضي: "هذا ما وقفت عليـه لأئمتنا ".

قال : أي الأشعرية أو المالكية أو أئمة أهل السنة والجماعة[1].

وبالإضافة إلى تمسك القاضي بالأشعرية – في الجملة – فإننا نجده قد تـأثر ببعض الخرافات والآراء الصوفية، مثل روايته للأحـاديث والآثـار الواهيـة فـي استحباب زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم وحثه على ذلك [2]، وإباحته تقبيـل الجدران والأماكن التي ضمت جسد النبي صلى الله عليه وسلم وتجويزه التبرك بـها، وادعاؤه أنها أفضل بقاع الأرض[3]، وتأتي مناقشة القاضي رحمـه الله فـي هـذه المسألة في مبحث بركة المصطفى صلى الله عليه وسلم. ومثل إطلاقه لفظ الحضـرة على الله عز وجل[4] ، إلى غير ذلك من الخرافات التي ذكرهـا –غفـر الله لـه– ولكن مع هذه الأخطاء والمخالفات الجوهرية، فإننا نجد له جهوداً يشكر عليها فـي نشر السنة والذب عنها وفي الدعوة إلى توحيد العبادة والتحذير من الشرك والكفـر بالله، وفي التصدي لأهل الأهواء والبدع والمذاهب والفرق المختلفة .

---

(1) انظر شرح الشفا للقاضي عياض ، شرحه الملا على القاري ،نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ،بدون رقم وتاريخ الطبع ، مصورة من النسخة العثمانية المطبوعة عام ١٣١٩ هـ ١/٣٣٤.

(2) انظر الشفا للقاضي عياض، تحقيق حسين عبدالحميد نيل، نشر دار الأرقم ، بيروت ٢/٨٧ وما بعدها ؛ إكمال المعلم بفوائد مسلم ، للقاضي عياض ، تحقيق يحي إسماعيل ، نشر الوفاء ، مصر ، الطبعة الأولى ، عام ١٤١٩ هـ ٢/ ٦٧٣.

(3) انظر الشفا للقاضي عياض ، ٢/٥٨ – ٥٩ ؛ إكمال المعلم للقاضي عياض ٣/٦٧٣ ؛ نيل الأوطار للشوكاني ٥/ ٣١ .

(4) انظر منهاج العوارف للقاضي عياض ص ٢٩، ٥٢، ٩٥ .

وبالنظر إلى رسالة الدكتور غسان بن أحمد عبد الرحمن (القاضي عياض اليحصبي ومنهجه في العقيدة) يظهر هذا الأمر جلياً حيث أن الباحث - وفقه الله - قد أجاد في رسالته، ووضح معتقد القاضي - رحمه الله - بصورة تفصيلية.

شيوخه :

١- محمد بن عيسى التميمي ، أبو عبد الله ، وهو فقيه محدث لغوي قاض قال عنه القاضي عياض : (أجل شيوخ بلدنا سبته ومقدم فقهائهم ... لازمته كثيراً للمناظرة في المدونة والموطأ وسماع المصنفات فقرأت وسمعت عليه بقراءة غيري كثيراً وأجازني جميع رواياته) [١] .

٢- الحسن بن علي بن طريق التاهرتي، أبو علي، لغوي، محدث، متقدم في النحو والأدب، قال القاضي عياض عنه : (شيخ بلدنا في النحو مشهور بالصلاح ، درس عمره النحو ببلدنا وأخذ عنه جماعة من شيوخنا ، درست عليه كثيراً من كتب الأدب والنحو وقرأت عليه كتاب علوم الحديث للحاكم ، وحدثني أيضاً بكتاب مشكل الحديث للإمام أبي بكر بن فورك ، وقرأت عليه كثيراً من كتب النحو والأدب .. وذكر عدداً منها ، توفي رحمه الله سنة ٥٠١هـ)[٢].

٣- عبد الرحمن بن محمد المعافري، أبو القاسم، قاض، خطيب، أصولي، متكلم، قال عنه القاضي عياض (من أهل بلدنا ولي خطابة منبره غير مرة وولي قضاءه مرتين، لقي بمكة الإمام أبا المعالي الجويني درس الأصول والكلام ودرس ذلك ببلدنا حياته، وعليه أخذ ذلك جماعة من شيوخنا وأصحابنا ورحل إليه الناس في درس ذلك عليه، قرأت عليه كتاب المنهاج من تأليف القاضي أبي الوليد الباجي في الجدل والمناظرة وحدثني به عنه، توفي رحمه الله سنة ٥٠٢هـ)[٣].

---

[١] الغنية للقاضي عياض ص ٢٧ - ٤٦ .

[٢] المرجع السابق ص ١٤١- ١٤٢

[٣] المرجع السابق ص ١٦٥- ١٦٦.

٤- الحسين بن محمد الصدفي المعروف بابن سكّرة، أبو علي، وهو محدث حافظ عالم بالرجال وصحيح الأحاديث من سقيمها، فقيه، أصولي، ولفرط إعجاب القاضي عياض بهذا الشيخ ووفاء لبعض حقه ، فإنه صنف كتاباً ترجم له فيه ترجمة وافية واستقصى فيه ذكر شيوخه ومروياته عنهم وقد سماه (المعجم في شيوخ الصدفي) ولد هذا الشيخ سنة ٤٥٤ هـ وتوفي سنة ٥١٤ هـ [١].

٥- محمد بن أحمد بن رشد (الجد) أبو الوليد، وهو فقيه أصولي متكلم نظار، قاض ، صاحب تصانيف مفيدة ، مثل كتاب(البيان والتحصيل) و (المقدمات على المدونة) قال عنه القاضي عياض (زعيم فقهاء وقته بأقطار الأندلس والمغرب ومقدمهم المعترف له بصحة النظر وجودة التأليف ودقة الفقه ، وكان إليه المفزع في المشكلات وكانت الدراية أغلب عليه من الرواية ، وكان بصيراً بالأصول والفروع والفرائض والتفنن في العلوم ... جالسته كثيراً وسألته واستفدت منه وسمعت بعض كتبه وأجازني سائرها وجميع رواياته ، توفي سنة ٥٢٠ هـ)[٢].

٦- محمد بن عبد الله بن محمد المعافري المعروف بأبي بكر ابن العربي، قاضي، أديب، شاعر، حافظ ، كثير الخير، أتقن مسائل الخلاف والأصول والأحكام على أئمة هذا الشأن، وقرأ القراءات، له رحلة مشهورة إلى مصر أخذ فيها عن خيرة علمائها ثم عاد إلى الأندلس، وقد لقيه القاضي هناك وأخذ عنه جميع مروياته وكتبه وقرأ عليه (مسألة الإيمان اللازمة) من تأليفه ، توفي سنة ٥٤٣هـ [٣] .

---

[١] الغنية للقاضي عياض ص ١٢٩-١٣٨.

[٢] المرجع السابق ص ١٢٩ – ١٣٨.

[٣] المرجع السابق ص ٦٦ - ٧٢.

٧- عبد الله بن محمد الخشني المعروف بابن أبي جعفر،أبو محمد ، فقيه ،مفسر ، قال عنه القاضي عياض (شيخ فقهاء وقته بشرق الأندلس وأحفظهم للمذهب - أي مذهب مالك - مع المعرفة بالتفسير لكتاب الله والتفنن في المعارف والمشاركة في العلوم ،لقيته ببلده فقرأت عليه جميع صحيح مسلم وكثيراً من الكتب وحضرت عنده مجالسه في المدونة وأجازني جميع رواياته ، توفي سنة ٥٢٦هـ)[١] .

ومن أبرز مشائخه بالإجازة محمد بن علي بن عمر التميمي المازري، أبو عبد الله، الفقيه، العلامة، قال عنه القاضي عياض (إمام أفريقيا وما وراءها من المغرب ، وآخر المستقلين من شيوخ أفريقيا بتحقيق الفقه ورتبة الاجتهاد ودقة النظر، لم يكن في عصره للمالكية في أقطار الأرض في وقته أفقه منه ولا أقوم لمذهبهم، كان يفزع إليه في الفتوى في الفقه والطب ، كتب إليّ يجيزني كتابه المعلم في شرح مسلم وغيره من تواليفه ، توفي - رحمه الله - سنة ٥٣٦هـ وقد نيف على الثمانين)[٢] .

تلاميذه :

من أبرز تلاميذ القاضي رحمه الله :

١- خلف بن عبد الملك بن بشكوال، أبو القاسم، إمام، حافظ، محدث، فقيه مؤرخ، أصولي، جمع بين علوم الرواية والدراية، سمع من القاضي عياض بقرطبة ثم كتب إليه القاضي في سبته مجيزا له ، ولد سنة ٤٩٤هـ ، وقيل ٤٩٠هـ ، وتوفي سنة ٥٧٨ وقيل ٥٧٩هـ[٣] .

---

[١] الغنية ص ١٥٣-١٥٤.

[٢] المرجع السابق ص ٦٥ .

[٣] انظر وفيات الأعيان لابن خلكان ، ١٣/٢ .

٢- محمد بن حسن بن عطية المعروف بابن غازي، فقيه، محقق، متقن، شاعر، أديب، تتلمذ على كبار مشايخ مدينته سبته، واختص بالقاضي عياض ولازمه زمنا كثيراً وسمع منه جل رواياته وتآليفه، حتى غدا من أشهر وأقرب تلاميذه له، توفي سنة ٥٦٠ هـ [١] .

٣- عبد الله بن أحمد العبدري المعروف بابن موجوال، أبو محمد، إمام، محدث،مقرئ، فقيه، بلغ مبلغاً عظيماً في الفقه والحفظ حتى ذاع صيته وكان الإمام أبو بكر ابن العربي يثني عليه ويجله. توفي سنة ٥٦٦هـ[٢] .

٤- محمد بن سعيد الأنصاري الإشبيلي المعروف بابن زرقون ، كان إماماً فاضلاً، مقرئاً، محدثاً، أحد مبرزي فقهاء وقته، لغوياً، أديباً، شاعراً، مشاركا في سائر العلوم، تتلمذ على القاضي عياض ولازمه كثيراً واختص به وكان من المقربين إليه، وقد أجازه القاضي عياض توفي سنة (٥٨٦) هـ[٣].

ثناء العلماء عليه :

لقد طفحت المصادر المترجمة للقاضي عياض بالتنويه بفضله والثناء عليه. وشهدت له بالإمامة والتقدم في ضروب العلوم المختلفة ، ونوهت بجهوده العلمية الطيبة وبمؤلفاته النفيسة التي أثرى بها العلم وأهله. ولو أردت أن استقصي كل ما قيل فيه من مدح وثناء وبيان لفضله لطال بنا الحديث، لذا أقتصر على ذكر عدد من الأقوال في ذلك بما أظن أن فيه الكفاية:

---

[١] انظر الغنية ص ٨٢ .

[٢] المرجع السابق ص ٨٣ .

[٣] المرجع السابق ص ٨٤ .

١- فهذا شيخه الخشني-رحمه الله-يقول عنه:(ما وصل إلينا من المغرب أنبل من عياض)[١].

٢- وقال عنه تلميذه ابن بشكوال : (روى عن كبار المشايخ وعني بلقائهم والأخذ عنهم وجمع من الحديث كثيراً ، وله عناية كثيرة به واهتمام بجمعه وتقييده ، وهو من أهل التفنن والذكاء واليقظة والفهم)[٢] .

٣- وقال عنه ابن الأبّار : (القاضي، المحدث ، الحافظ ، الحافل، كان لا يدرك شأوه ولا يبلغ مداه في العناية بصناعة الحديث وتقييد الآثار وخدمة العلم ، مع حسن التفنن فيه ، والتصرف الكامل في فهم معانيه ... وبالجملة فإنه كان جمال العصر ومفخر الأفق وينبوع المعرفة ، ومعدن الإفادة ، وإذا عدت رجالات المغرب - فضلاً عن الأندلس - حسب فيهم صدراً ، له تواليف مفيدة كتبها الناس وانتفعوا بها ، وكثر استعمال كل طائفة لها)[٣] .

٤- وقال عنه ابن خلكان : (كان إمام وقته في الحديث وعلومه ، والنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم ، صنف التصانيف المفيدة البديعة) [٤].

٥- وقال عنه الإمام الذهبي: (الإمام العلامة، الحافظ الأوحد، شيخ الإسلام، استبحر في العلوم وجمع وألف، وسارت بتصانيفه الركبان واشتهر اسمه في الآفاق)[٥].

---

(١) انظر التعريف بالقاضي لولده محمد ص ١٠٦ ؛ الإحاطة لابن الخطيب ٢٢٢/٤ .

[٢] الصلة ، لابن بشكوال ،نشر الدار المصرية للتأليف والترجمة، الطبعة الأولى ١٩٦٦ م ٤٥٣/٢ .

[٣] انظر التعريف بالقاضي لولده محمد ص ١٠٦ وما بعدها ؛ الإحاطة لابن الخطيب ٤/ ٢٢٣.

[٤] وفيات الأعيان لابن خلكان ٣/ ٤٨٥ .

[٥] سير أعلام النبلاء للذهبي ٢١٢/٢٠- ٢١٥ .

٦- وقال عنه الإمام ابن كثير:(أحد مشايخ العلماء المالكية، وصاحب المصنفات الكثيرة المفيدة، كان إماماً في علوم كثيرة، كالفقه واللغة ، والحديث ، والأدب ، وأيام الناس) [١].

٧- وقال عنه الإمام السيوطي : (بعد صيته ، وكان إمام الحديث في وقته وأعلم الناس بعلومه ، وبالنحو واللغة ، وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم)[٢].

٨- وقال ابن فرحون عنه : (كان إمام وقته في الحديث وعلومه، عالماً بالتفسير وجميع علومه، فقيها أصولياً، عالماً بالنحو وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم، بصيراً بالأحكام، عاقداً للشروط، حافظاً لمذهب مالك، شاعراً مجيداً، خطيباً بليغاً، صبوراً حليماً، جميل العشرة، دؤوباً على العمل، صلباً في الدين، له التصانيف المفيدة البديعة).[٣]

٩- وقال عنه الأتابكي : (الحافظ الناقد ، الحجة ، أحد عظماء المالكية ، كان إماماً حافظاً محدثاً وفقيهاً ، ومتبحراً في العلوم وصنف التصانيف المفيدة وانتشر اسمه في الآفاق وبعد صيته)[٤].

١٠ -وقال عنه طاش كبرى زاده :(هو أحد أركان الإسلام ،عالم المغرب ، كان ثقة ورعاً زاهداً عابداً، متصلبا في الدين، قوي العقيدة ، بعيداً عن الفتن، من كتبه الشفا بتعريف حقوق المصطفى، وهو كتاب نفيس لم يؤلف مثله في بابه)[٥].

١١- وقال عنه ابن العماد الحنبلي : (كان عديم النظير ، حسنة من حسنات الأيام، شديد التعصب للسنة والتمسك بها) [٦].

---

[١] البداية والنهاية لابن كثير ٢٤١/١٢.

(٢) طبقات الحفاظ للسيوطي ، تحقيق على عمر،نشر مكتبة وهبة مصر، ط الأولى ١٣٩٣هـ ٤٧٠ .

[٣] الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب لابن فرحون، نشر دار التراث مصر ، ٢/ ٤٦، ٤٧ .

[٤] انظر التعريف بالقاضي لولده محمد ص ١٠٧.

[٥] مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم لطاش كبرى نشر دار الكتب العلمية ١٣٠/٢

[٦] شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد ، نشر دار إحياء التراث العربي بيروت ٤/ ١٣٩ .

مؤلفاتـــــــه :

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم : وهو من أعظم وأهم ما ألف في شـــرح (الجـــامع الصحيح) للإمام مسلم - رحمه الله - وقد نص القاضي على تســـميته بـــهذا الاســـم اعترافاً بالفضل لشيخه المازري الذي ألف كتاباً سماه (المعلم بفوائد مسلم) وقـــد وجد القاضي أن شيخه قد غفل عن أمور كثيرة ولم يتعرض لها من ناحيـــة الســـند والمتن ، فقام بإكمال كتابه فشرح مقدمة صحيح مسلم شرحاً وافياً ، وتوسع في بيـــان ما فيها من مسائل مصطلح الحديث بمالم يشرحه شيخه ، كما شرح ما لم يتعـــرض إليه المازري مما رأى القاضي حاجة إلى شرحه - من فنون الأحاديث - وهو كثير جداً ، بحيث يندر وجود حديث لم يشرحه القاضي عياض ، وذلك ببيـــان معانيـــه ، وضبط ألفاظه واستنباط الأحكام الفقهية والفوائد المختلفة منه ، بالإضافة إلى بيـــان الغامض واختلاف ألفاظ الرواة وغير ذلك ، كما قام بالتوضيح والبيان والاســـتدراك والتعقيب على كلام المازري وغيره في هذا الشأن عند الحاجة كما نص رحمـــه الله على ذلك [١] .

وقد طبع الكتاب مؤخرا طبعة جيدة للغاية بتحقيق الدكتور يحي إسماعيل ونشـــرته دار الوفاء .

(٢) مشارق الأنوار على صحـــاح الآثار[٢]، وموضوعه تقويم الألفاظ

---

[١] انظر مقدمة إكمال المعلم للقاضي عياض .

(٢) التعريف بالقاضي لولد محمد ص١١٧؛ سير أعلام النبلاء للذهبي ، ٢١٥/٢٠.

الغريبة الواردة في أحاديث الصحيحين والموطأ، بالإضافة إلى شرح تلك الأحاديث وضبطها وضبط الأسماء والكنى والأنساب وأسماء الأماكن والبلدان، مع التنبيه على ما يقع في ذلك من وهم أو تصحيف أو لبس، منبها في الوقت ذاته على اختلاف ألفاظ الرواة ٠

وقد رتبه – رحمه الله – على حروف المعجم بحيث جعل لكل حرف باباً وقد قسم الباب إلى أربعة فصول، الأول في ضبط ألفاظ المتون وشرحها، والثاني في ضبط أسماء الأماكن والبلدان، والثالث في ضبط المشكل والكنى، والرابع في ضبط الأنساب .

وهذا الكتاب فريد في بابه عظيم الفائدة ، وقد أثنى عليه العلماء قديماً وحديثاً واعتمدوا عليه[1]، فقد قال فيه ابن فرحون: (وكتاب مشارق الأنوار ٠٠٠ لو كتب بالذهب أو وزن بالجوهر لكان قليلاً في حقه)[2]٠

وقد طبع الكتاب أكثر من مرة بالقاهرة والمغرب وتونس، ولكنه مازال بحاجة إلى خدمة وتحقيق ٠

(٣) غريب الشهاب [3]، وهو شرح لغريب ألفاظ أحاديث كتاب (شهاب الأخبار في الحكم والأمثال والآداب) لأبي عبد الله محمد بن سلامة القضاعي (ت ٤٥٤هـ)٠

وقد صرح القاضي – رحمه الله – بسماعه عن جماعة من شيوخه كما ذكر ذلك ٠

---

[1] انظر أزهار الرياض للتلمساني ٣٤٢/٤ – ٣٤٦ .

[2] الديباج المذهب لإبن فرحون ٢ /٤٩.

[3] كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة نشر دار الفكر بيروت ١٤٠٢ هـ ١٠٦٧/٢

(٤) الإلماع إلى معرفة الرواية وتقييد السماع ، وهو كتاب مشهور عظيم الفائدة ، وقد اعتمد عليه من جاء بعد القاضي من العلماء ٠

وقد ضمنه – رحمه الله – تسعة عشر باباً ، حرر في معظمها قواعد دقيقة حول سماع الحديث وروايته ، وأنواع التحمل والأداء وصيغ التعبير عن ذلك ، وكتابة الحديث وضبطه وتقييده ، وحكم الرواية بالمعنى وغير ذلك ٠

وقد طبع الكتاب بتحقيق السيد أحمد صقر أكثر من مرة بالقاهرة وتونس طباعة جيدة ٠

(٥) ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك[١]، وهو كتاب في تراجم طبقات المالكية لا يوجد لهم مثله ، وقد ابتدأه بترجمة موسعة للإمام مالك ثم ذكر تلاميذه من مختلف البلاد، ثم ذكر من بعدهم إلى طبقة شيوخه، ويعتبر هذا الكتاب أضخم موسوعة في طبقات المالكية، وقد احتوى على معلومات مفيدة، وعلوم غزيرة في شتى التخصصات، من عقيدة وفقه وأصول وأدب وغيرها، وقد طبع الكتاب عدة مرات، والطبعة الموجودة منه والتي وقفت عليها تقع في ثمانية أجزاء، متوسطة الحجم . طبعت في بلاد المغرب تحت إشراف وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

(٦) الغنية [٢]، وهي فهرسة شيوخه – رحمه الله – وقد احتوت على ثمان وتسعين شيخاً انتقاهم القاضي عياض من مجموع شيوخه الذين سمع منهم أو

---

[١] التعريف بالقاضي لولد محمد ص ١١٦ ، سير أعلام النبلاء للذهبي ٢١٤/٢٠

[٢] التعريف بالقاضي لولده محمد ص ١١٧ ، وأزهار الرياض للتلمساني ٦/٥ ٠

أرسلوا وفداً إلى أمير الموحدين عبد المؤمن بن علي ببيعتهم واختاروا القاضي رئيساً ومتكلماً باسمهم، فمنعه عبد المؤمن من العودة إلى مدينته وأمره بملازمته، ثم نفاه إلى قرية نائية تقع بالبادية المغربية هي قرية (داي) حيث ولاه قضاءها ، وهذا في الحقيقة نفي وتغريب ، كما صرحت بذلك المصادر التاريخية[1]. فإن القاضي عياض كان حينئذ أكبر من أن يولّى القضاء بالبادية ، وقد قال شعراً حزيناً وصف فيه غربته بداي ومما جاء فيه :

أقمرية الأدواح بالله طارحي * أخا شجن بالنوح أو بغناء

فقد أرقتني من هديلك رنة * تهيج من برحي ومن برحاء

لعلك مثلي ياحمام فإنني * غريب بداي قد بليت بداء

وقد اتفقت المصادر على أن القاضي توفي مغرباً عن وطنه وذلك في سنة (٥٤٤هـ) يوم الجمعة السابع من جمادى الآخرة ، وقيل في رمضان من نفس السنة ، وأنه دفن بمدينة مراكش بالمغرب الأقصى .

وقد اختلفوا في سبب وفاته، فقيل إنه قتل بأمر من أمير الموحدين بغية التخلص منه لمعارضته لدولته وخشية من قيادته المعارضين مرة أخرى، وقيل إنه قتل بالرماح لأنه أنكر عصمة (ابن تومرت) مؤسس دولة الموحدين، وقيل غير ذلك – والله أعلم بالصواب –،رحمه الله رحمة واسعة وأجزل مثوبته وأسكنه فسيح جناته.

---

[1] انظر العبر (تاريخ ابن خلدون) نشر دار البيان ، بريطانيا عام ١٣٩١ هـ ، ٦/٢٣٠ ؛ التعريف بالقاضي لولد محمد ص ١٣ و ٩٨ .

المبحث الثاني

التعريف بكتابه " الشفا "

بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم

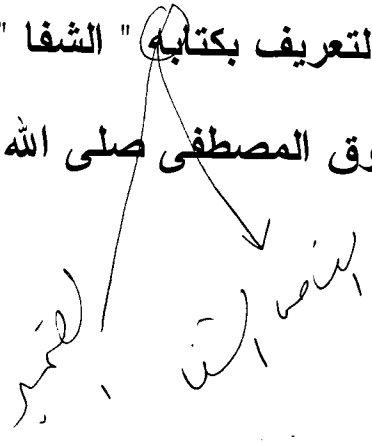

١- عنوان الكتاب :

اتفقت جميع المخطوطات ، والمراجع التي أشارت إلى الكتاب على عنوانه ، كما نص عليه مؤلفه بهذا العنوان " الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم ".

ويعتبر كتاب الشفا من أشهر مصنفات القاضي عياض- رحمه الله - وأجلها وأعظمها قدراً .

٢ -توثيق نسبة الكتاب للقاضي عياض :

لاشك أن كتاب الشفا من مؤلفات القاضي عياض رحمه الله ولم أجد أحداً شكك في هذه النسبة، ومما يزيد الأمر يقيناً :

١- أن القاضي رحمه الله قد صرح باسمه وذكر بعض مباحثه.

٢- أن هذا الكتاب قد ذكره أكثر من ترجم للقاضي أو كتب عنه، ومنهم :

أ- حاجي خليفة في كشف الظنون.

ب- فواد سزكين في تاريخ التراث العربي.

ج- محمد بن علي التلمساني في شرحه المنهل الأصفى.

د- برهان الدين الحلبي في كتابه المقتفى.

هـ- الملا علي القاريء في كتابة شرح الشفا.

و- الدكتور يحيى إسماعيل في مقدمة تحقيقه لإكمال المعلم.

ز- السيد أحمد صقر في مقدمة تحقيقه لكتاب الإلماع.

٣ - موضوع الكتاب :

رغم أن موضوعه العام في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وبيان حقوقه إلا أن مؤلفه تعرض فيه لجوانب عقدية وفقهية وأصولية كثيرة ومهمة بأسلوب بليغ.

وقد قسم القاضي رحمه الله كتابه تقسيماً بديعاً ، يستغرب الناظر فيه حينما يقارنه بمنحى التأليف في تلك الفترة التي عاشها .

وقد وقع كتابه في أربعة أقسام :

الأول : في تعظيم العلي الأعلى لقدر هذا النبي قولاً وفعلاً .

ويندرج تحت هذا القسم أربعة أبواب في ثناء الله تعالى عليه ، وتكميله له المحاسن خلقاً وخلقاً ، وما ورد من أخبار في قدره عنده ، وفي معجزاته.

الثاني : فيما يجب على الأنام من حقوقه عليه السلام .

ويندرج تحت هذا القسم أيضاً أربعة أبواب في وجوب طاعته والإيمان به ، ولزوم محبته ، وتعظيم أمره وتوقيره وبره ، وفي حكم الصلاة والتسليم عليه .

الثالث : فيما يستحيل في حقه ، وما يجوز عليه شرعاً ، وما يمتنع ويصح من الأمور البشرية أن يضاف إليه .

وهذا كما يقول أبو الفضل "سر الكتاب ولباب ثمرة هذه الأبواب وما قبله له كالقواعد والتمهيدات....."[1]

ويندرج تحت هذا القسم بابين في عصمته في الأمور الدينية ، وفي أحواله الدنيوية .

الرابع : في تصرف وجوه الأحكام على من تنقصه أو سبه صلى الله عليه وسلم .

---

[1] انظر الشفا للقاضي عياض ١/١٧.

ويندرج تحت هذا القسم ثلاثة أبواب في ألفاظ السب والتنقص صراحة أو تعريضاً ، وفي أحكام السب وعقوبته ، وفي حكم سب الله تعالى ورسله وملائكته وآل النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه .

٤ ـ مكانة الكتاب :

نفاسة الكتاب وتميزه لا يدركها المرء إلا بالنظر ومدارسته ، إذ فيه من الإبداع في فنون من العلوم مختلفة كثير .

ولعلنا نعرف شيئاً من قدره إذ رأينا أن كل من كتب في مباحث النبوة ممن جاء في القاضي لا بد وأن يكون كتاب الشفا من مصادره الأساسية .

ومما يوضح مكانة الكتاب ، وما جعله الله له من القبول شروحه العديدة فقد وقع في كشف الظنون وتاريخ الأدب العربي أن شروحه قرابة عشرين شرحاً ومنها :

١- المنهل الأصفى في شرح ما تمس الحاجة إليه من ألفاظ الشفا لمحمد بن علي التلمساني .

٢- المقتفى في حل ألفاظ الشفا للحافظ برهان الدين الحلبي .

٣- زبدة المقتفى في تحرير ألفاظ الشفا للقباقبي الحنفي .

٤- موارد الصفا وموائد الشفا لابن الحنبلي الحلبي .

٥- الاكتفا في شرح ألفاظ الشفا لأبي المحاسن اليماني .

٦- رفع الخفا عن ذات الشفا للقارئ الهروي .

٧- منهج الوفاء لأحمد بن خليل السبكي .

٨- نسيم الرياض لأحمد بن محمد الخفاجي .

٩- إسراف الوسائل لأحمد بن حجر الهيثمي .

١٠- الاصطفا لبيان معاني الشفا لمحمد الدلجي الشافعي.

وله شروح أخرى إضافة إلى ترجمة الكتاب إلى اللغة الفارسية، وشروحه باللغة التركية[١].

وقد أثنى عدد من العلماء رحمهم الله على كتاب القاضي .

ومنهم ابن فرحون الذي يقول عنه : أبدع فيه كل الإبداع وسلم له أكفاؤه فيه. ولم ينازعه أحد في الانفراد به [٢].

وقال طاش كبرى زاده عنه: هو كتاب نفيس لم يؤلف مثله في بابه[٣].

أما طبعات الكتاب المتداولة فعديدة ، ولعلي أشير إلى أهمها :

١- "الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض " تحقيق : حسين عبد الحميد نيل. من علماء الأزهر وهذه الطبعة من أفضل طبعات الشفا. إذ هي نادرة الأخطاء المطبعية . وتشتمل في الغالب على عزو للآيات وتخريج للأحاديث .

وتقع في مجلدين متوسطي الحجم وقد نشر الكتاب شركة دار الأرقام ابن أبي الأرقام للطباعة والنشر والتوزيع في بيروت .

وهذه الطبعة هي التي اعتمدتها في هذا البحث ، والعزو فيه إليها .

---

[١] انظر كشف الظنون لحاجي خليفة ١٠٥٢/٢؛ وتاريخ الأدب العربي ، لكارل بروكلمان ، ترجمة عبد الحليم النجار ، نشر جامعة الدول العربية ، طبع دار المعارف ، مصر عام ١٣٩٧ هـ ٢٦٦/٦-٢٧٢.

[٢] أنظر التعريف بالقاضي لولده محمد ص ١١٦.

[٣] انظر مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ١٣٠/٢.

٢- " كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم تأليف القاضي عياض" .

قدم له وخرج أحاديثه : كمال بسيوني زغلول المصري . وتقع هذه الطبعة في مجلد واحد مشتمل على جزئين ، نشرته مؤسسة الكتب الثقافية في بيروت عام ١٤١٦هـ .

ولم يخدم الكتاب في هذه الطبعة بشكل جيد فالأخطاء المطبعية موجودة فيه بشكل ملحوظ . وليس هناك خدمة جيدة للنص من جهة التعليق والتخريجات ونحو ذلك .

وأما نسخ شروحه فأهمها – وهو المتداول – :

" شرح الشفا للقاضي عياض " شرحه الملا على القارئ .

وهذا الشرح يقع في مجلدين ضخمين نشرته دار الكتب العلمية في بيروت . بدون سنة ورقم الطبعة ، وهي مصورة عن نسخة المطبعة العثمانية المطبوعة عام ١٣١٩هـ .

وهو أشهر شروح الشفا ، وعليه المعول فيما أشكل أو أغلق من عبارات الشفا .

وفيه فوائد ونكت علمية بديعة . فإن مؤلفه يشير في شرحه لبعض التخريجات ، ويعرف بالرواة ، ويستدل لبعض المسائل التي يوردها القاضي . وله كلام حسن بديع في كثير من الألفاظ اللغوية في شرحها وبيان معانيها والشواهد على استخداماتها من الأشعار وغيرها.

ولكن القارئ لهذا الشرح يلحظ بعض المآخذ التي وقع فيها المؤلف-رحمه الله – . ومن أهمها سيره على الطريقة الأشعرية في بعض المسائل العقدية .

ومن ذلك قوله عند شرحه للحديث الذي أخرجه الإمام أحمد بسنده عن معاذ رضي الله عنه في خبر النبي صلى الله عليه وسلم عن رؤيته لربه ، وفيه قول النبي صلى الله عليه وسلم :" فإذا أنا بربي في أحسن صورةً . وقوله "فوضع كفه – وفي رواية : يده – بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي – ، وفي رواية : فوجدت برد أنامله بين ثديي – " . قال : فإذا أنا بربي في أحسن صورة وهو حال منه صلى الله عليه وسلم أو من ربه ولا إشكال فيه كما قال البيضاوي إذ قد يرى النائم غير المتشكل متشكلا وعكسه ، ولا يعد ذلك خللا في الرؤيا، ولا في خلد النائم..،

وقال: وقوله: فوضع كفه بين كتفي، كناية عن تخصيصه تعالى إياه بمزيد الفضل ، وإيصال الفيض إليه[1]، وإلا فلا كف ولا وضع حقيقة كما أن من عادة الملوك إذا أراد أحدهم أن يقرب بعض خدمه من نفسه، ويذكر معه أحوال مملكته أن يضع يده على ظهره ويلقى ساعده على عنقه تلطفا به وتعظيما لشأنه .... قال: وهذا كله يحتاج إليه إذا صح الحديث في اليقظة والله أعلم [2].

وفي كلامه على رؤية الله عز وجل قال: ما ورد مما يدل على إثبات الرؤية إنما هو باعتبار تجلي الصفات، وما جاء مما يشير إلى نفي الرؤية فهو محمول على تجلي الذات، إذ التجلي للشيء إنما يكون بالكشف عن حقيقته وهو محال في حق ذاته تعالى باعتبار إحاطته وحياطته[3].

---

[1] وفي هذا تأثر بفكرة بعض الفلاسفة القائلين بنظرية الفيض والتي تهدم الدين وتقوض أركانه، إذ تجعل النبوة مكتسبة وفيها مفاسد وأمور كفرية لا يتسع المقام لذكرها .

[2] انظر شرح الشفا للملا علي القارئ ١/٤٢١ -٤٢٢ .

[3] المرجع السابق ١/٤٣٠.

وفي كلامه في مسألة كفر من قال بخلق القرآن. قال: والمحققون على أنه لم يكفر لقوله تعالى:﴿ قرآنا عربيا﴾ ولكونه مقروا بألسنتنا ومكتوبا بأيدينا، وإنما الكلام في الكلام النفسي"[1].

هذا فيما يتعلق بصفات الله تبارك وتعالى.

ولا يخفى ما في كلامه من الحيدة عن مسلك أهل السنة والجماعة، وسيره على منهج المتكلمين من الأشاعرة وغيرهم.

ومما لا حظته أثناء قرائتي في شرحه. ما ذكره عند كلام القاضي عن صفة لحية رسول ا لله صلى الله عليه وسلم إذ قال عنه إنه : " كث اللحية تملأ صدره ".

قال الملاعلى : أي ما يقابلها مع قصر فيها وانبساط، إذ كان يأخذ منها ما زاد على القبضة، وربما كان يأخذ من أطرافها أيضا، والحاصل أنه لم يكن كوسج ولا خفيف اللحية ولا مقصوصها غير نازلة إلى صدره، وقال التلمساني روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من سعادة المرء خفة عارضيه ، ويروى: لحيته .

ومعناه : أنها لا تكون طويلة فوق الطول. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اعتبروا عقل الرجل في ثلاث في طول لحيته، ونقش خاتمه وكنيته. وعن الحسن بن المثنى أنه قال: إذا رأيت رجلا ذا لحية طويلة ولم يتخذ لحية بين لحيتن كان في عقله شيء، وقيل: ما طالت لحية إنسان قط إلا ونقص من عقله مقدار ما طال من لحيته.

ومنه قول الشاعر:

إذا كبرت للفتى لحية ... فطالت وصارت إلى سرته

---

[1] شرح الشفا للملا علي القارئ ٤٩٧/٢ .

فنقصان عقل الفتى عندنا ... بمقدار ما طال من لحيته[1].

ولا يخفى ما في هذا الكلام من قدح في سنة نبوية ثابتة بالأدلة الصحيحة. والاعتماد في هذا القدح على أدلة لا تثبت عنه صلى الله عليه وسلم. بل فيه خلط ظاهر إذ نسب إليه صلى الله عليه وسلم أنه كان يأخذ منها ما زاد علي القبضة.

وهذا إنما يروي عن ابن عمر رضي الله عنهما من فعله هو في الحج والعمرة فقط كما رواه البخاري في صحيحه في كتاب الصلح ح (٥٨٩٢).

---

[1] انظر شرح الشفا للملا علي القارئ ١/١٥٢.

الباب الأول

ذكر ما اختص الله به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم

ويشتمل على تمهيد وثلاثة فصول :

تمهيد: في سمو مكانته ووجوب طاعته واتباعه.

الفصل الأول: الإسراء والمعراج.

الفصل الثاني: الشفاعة.

الفصل الثالث: رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لربه.

تمهيد في سمو مكانته ووجوب طاعته واتباعه

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: بين النبوة والرسالة.

المبحث الثاني: سمو مكانة المصطفى صلى الله عليه وسلم.

المبحث الثالث: وجوب طاعته واتباعه.

المبحث الأول

بين النبوة والرسالة

أ- **معنى النبي لغة واصطلاحا:**

النبوة في اللغة العربية مشتقة إما من (النبأ) أو (النباوة) أو (النبوة) أو (النبي)[١].

١- فإذا كانت مأخوذة من (النبأ) فتكون بمعنى الإخبار، لأن النبأ هو الخبر.

٢- وإذا كانت مأخوذة من (النباوة أو النبوة) فتكون بمعنى الرفعة والعلو ، لأن (النباوة والنبوة: هي الشيء المرتفع) .

٣- أما إذا كانت مأخوذة من (النبي) بدون همز ، فيكون معناها الطريق إلى الله عز وجل لأن معنى (النبي) الطريق .

ولو نظرنا إلى النبوة الشرعية لوجدنا أنها تشمل كل هذه المعاني إذ النبوة إخبار عن الله عز وجل، وهي رفعة لصاحبها لما فيها من التشريف والتكريم، وهي الطريق الموصلة إلى الله سبحانه.

أما النبوة في الاصطلاح: (فهي خبر خاص يكرم الله عز وجل به أحداً من عباده فيميزه عن غيره بإيحائه إليه ويوقفه به على شريعته بما فيها من أمر ونهي ووعظ وإرشاد ووعد ووعيد)[٢].

أما النبي فقد اختلف العلماء في تعريفه:

فمنهم من قال: هو الذي أوحى الله إليه بشرع ليعمل به ولم يؤمر بتبليغه[٣].

ومنهم من قال: هو الذي أوحى الله إليه أن يدعو الناس إلى شريعة رسول قبله[٤].

ومنهم من قال: هو الذي أوحى الله إليه وأخبره بأمره ونهيه وخبره، ويعمل بشريعة رسول قبله بين قوم مؤمنين.

---

[١] انظر : لسان العرب لابن منظور ، اعتنى بها أمين عبد الوهاب وزميله ، نشر دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، عام ١٤١٧ هـ مادة ؛ نبو .

[٢] شعب الإيمان للبيهقي ، ص ٢٧٥.

[٣] المرجع السابق ص ٢٧٥ .

[٤] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي،نشر إدارة البحوث العلمية ١٤٠٣هـ ٥/٧٣٥.

وهذا هو الذي اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية ولعله أرجح الأقوال وأسلمها من الاعتراض.

فقد اعترض على القول الأول بأنه غير صحيح لأن قوله تعالى: ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبيّ﴾ [1] يدل على أن كلا منهما مرسل وأنهما مع ذلك بينهما تغاير نظر لعطفه النبي على الرسول والعطف يقتضي المغايرة[2].

ومما يؤكد كون الأنبياء مأمورين بتبليغ قومهم ما أوحي إليهم والحكم بينهم بذلك ما ورد في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " كانت بنوا إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي وإنه لا نبي بعدي "[3].

والمراد بقوله " تسوسهم الأنبياء" أي تتولى أمورهم كما تفعل الأمراء والولاة بالرعية. والسياسة: القيام على الشيء بما يصلحه[4].

وقد اعترض على القول الثاني بأن الضابط الذي ذكروه لا يستقيم ، فيوسف عليه السلام كان رسولاً وكان على شريعة إبراهيم قال تعالى: ﴿ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبيّنات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولاً﴾[5].

---

[1] سورة الحج الآية (٥٢).

[2] أضواء البيان للشنقيطي ٥/٧٣٥ ؛ النبوات ، لابن تيمية ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت الطبعة الثانية ، ص٢٧٥ .

[3] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء ح (٣٤٥٥) وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة ح(١٨٤٢).

[4] النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، تحقيق طاهرالزواوي وصاحبه ، نشر دار إحياء الكتب العربية ، مصر، (٤٢١/٢).

[5] سورة غافر الآية (٣٤).

وكذلك داود وسليمان عليهما السلام كانا رسولين ، وكانا على شريعة التوراة ، قال تعالى: ﴿ إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً ، ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما﴾ [1].

- معنى الرسول لغة واصطلاحا:

الرسول لغة: إما مأخوذ من الرِّسل. وهو الانبعاث على تؤدة. يقال: ناقة رسله، أي سهلة السير، وإبل مراسيل، منبعثة انبعاثاً سهلاً. ولفظ الرِّسل متضمن لمعنى الرفق ومعنى الانبعاث. فإذا تصور منه معنى الرفق يقال : على رسلك ؛ إذا أمرته بالرفق. وإذا تصور منه معنى الانبعاث يقال : إبل مراسيل ؛ أي منبعثة.

ولفظ الرسول اشتق من المعنى الثاني أي الانبعاث.

فالرسول على هذا الاشتقاق هو المنبعث[2].

وإما مأخوذ من الرَّسلُ وهو التتابع فيقال جاءت الإبل رَسلا أي متتابعة، ويقال جاؤوا أرسالا ، أي متتابعين. ومعنى الرسول على هذا الاشتقاق: هو الذي يتابع أخبار الذي بعثه . ولو نظرنا إلى كلا الاشتقاقين فإنا نجد لفظ الرسول في اصطلاح الشرع يدل عليهما فالرسول مبعوث من قبل الله، وهو كذلك يتابع أخبار الوحي المنزل إليه من الله تعالى. ولفظ الرسول تارة يقال للقول المتحمل كقول الشاعر:

ألا بلغ أبا حفص رسولا.

وتارة لمتحمل القول والرسالة[3].

---

[1] سورة النساء الآيتان (١٦٣-١٦٤).

[2] لسان العرب لابن منظور، مادة رسل.

والرسول في الشرع:عرف بعدة تعريفات:

فمن العلماء من عرفه بقوله: هو الذي أوحى الله بخبر وأمره بتبليغه للناس، وهؤلاء فرقوا بينه وبين النبي بأن النبي أوحى إليه بخبر ولم يؤمر بتبليغه[1].

ومنهم من عرفه بقوله: هو الذي أنزل إليه كتاب وشرع مستقل مع المعجزة التي تثبت بها نبوته.

وقالوا: إن النبي هو الذي لم ينزل إليه كتاب وإنما أوحي إليه أن يدعو الناس إلى شريعة رسول قبله[2].

ومنهم من قال: إن الرسول هو الذي ينبئه الله ثم يأمره أن يبلغ رسالته إلى من خالف أمره ، أي إلى قوم كافرين.

أما النبي فهو من أوحى الله إليه وأخبره بأمره ونهيه وخبره، ويعمل بشريعة رسول قبله بين قوم مؤمنين بهما.

وهذا ما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية، واستشهد لذلك بأن نوحا عليه السلام كان أول رسول بعث إلى أهل الأرض وكان أول شرك بالله قد وقع في قومه.

وقد كان قبل نوح أنبياء كشيث وإدريس عليهما السلام وقبلها آدم كان نبيا مكلما، وقد كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام وكان المبعوثون في هذه القرون أنبياء فقط[3].

---

[1] شعب الإيمان للبيهقي ص ٢٧٥-٢٧٦.

[2] أضواء البيان للشنقيطي ٥/٧٣٥.

[3] النبوات لابن تيمية ص ٢٥٥-٢٥٦.

المبحث الثاني

سمو مكانة المصطفى صلى الله عليه وسلم

إن المتأمل في آيات الكتاب العزيز ونصوص السنة النبوية الصحيحة يجد الكثير من الأدلة التي تبين مكانة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وعظم قدره عند ربه عز وجل، فقد حباه الله وامتن عليه وأكرمه بخصائص في الدنيا والآخرة دلت على علو قدره، ورفعة مكانته، وسمو منزلته عند الخالق تبارك وتعالى.

فقد قال تعالى في محكم التنزيل ، ﴿ وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما﴾[1] ، ففي هذه الآية يمتن الله على نبيه صلى الله عليه وسلم بما أسبغ عليه من الفضائل التي هي المناقب والمراتب التي أعطاه الله إياها وميزه بها عن بقية ورسله وسائر خلقه.

فالله سبحانه فضل بعض الرسل على بعض ، فقال تعالى: ﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات﴾[2].

فكان لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم النصيب الأوفر من هذا الفضل فقد خصه الله وميزه بخصائص ومناقب دنيوية وأخروية فضله بها على سائر الأنبياء ومن سواهم من البشر.

وقد أفردت في هذا البحث بابا ذكرت فيه أبرز الخصائص التي شرف الله بها نبيه عليه الصلاة والسلام مما له صلة وثيقة بالمسائل العقدية في مباحث النبوة وهي الإسراء والمعراج، والشفاعة، والرؤية.

وفي هذا المطلب اليسير أشير إلى بعض خصائص النبي صلى الله عليه وسلم التي تبين عظم قدره عند ربه، وسمو مكانته عليه الصلاة والسلام.

---

[1] سورة النساء الآية (١١٣).

[2] سورة البقرة الآية (٢٥٣).

ومن أهم خصائصه:

١- أخذ العهد له صلى الله عليه وسلم على جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

من الأمور التي تدل على عظيم قدره صلى الله عليه وسلم عند ربه ما أخذه الله من العهد له صلى الله عليه وسلم على جميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام على أنه لو بعث صلى الله عليه وسلم وهم أحياء أو أحد منهم فإنه يجب عليهم أن يؤمنوا به ويتبعوه وينصروه.

قال تعالى: ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنّه قال ءأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين﴾[١]

وقد روي عن علي بن أبي طالب وابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية قولهما: ما بعث الله نبياً من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث الله محمدا وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه[٢].

فهو صلى الله عليه وسلم الإمام المقدم على سائر الخلق الواجب الطاعة ولهذا كان إمام الأنبياء ليلة الإسراء لما اجتمعوا في بيت المقدس[٣].

ولهذا كان عند أهل الكتاب علم تام به صلى الله عليه وسلم وبمبعثه ومكان بعثته ومهاجره، كما ورد وصفه في كتبهم حتى إنهم ليعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، قال تعالى: ﴿ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون﴾ [٤].

---

[١] سورة آل عمران (٨١).

[٢] أخرجهما ابن جرير في تفسيره ٣٣٢/٣ وأوردهما ابن كثير في تفسيره ٣٧٨/١.

[٣] تفسير ابن كثير ٣٧٨/١.

[٤] سورة البقرة الآية (١٤٦) [٣].

وقال تعالى ، ﴿ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل﴾[1].

وفي الحديث عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما حينما سئل عن وصف النبي صلى الله عليه وسلم قال: أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأميين، أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ، ولا سخاب في الأسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا لا إله إلا الله فيفتح به أعيناً عمياً، وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً...[2].

٢- أنه صلى الله عليه وسلم أكثر الأنبياء تابعاً.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " ما من نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة "[3].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أنا أكثر الأنبياء تبعا يوم القيامة "[4].

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لم يصدق نبي من الأنبياء ما صدقت، وإن من الأنبياء نبياً ما يصدقه من أمته إلا رجل واحد "[5].

---

[1] سورة الأعراف الآية (١٥٧).
[2] أخرجه البخاري في كتاب البيوع ح(٢١٢٥).
[3] أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ح(١٥٢).
[4] أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ح(١٩٦).
[5] أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ح(١٩٦).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " عرضت علي الأمم، فرأيت النبي ومعه الرهيط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي ليس معه أحد، إذ رفع لي سواد عظيم، فظننت أنهم أمتي فقيل لي: هذا موسى صلى الله عليه وسلم وقومه، ولكن أنظر إلى الأفق الآخر، فإذا سواد عظيم فقيل لي هذه أمتك، ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب" [1].

وفي هذا الأمر فضل عظيم وخصيصة كبيرة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فالله تعالى يكتب لكل نبي من الأنبياء الأجر بقدر أعمال أمته وأحوالها وأقوالها ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : " من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجر من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا "[2].

فما من معرفة ولا حالة ولا عبادة ولا مقالة ولا شيء مما يتقرب به إلى الله عز وجل مما دل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا إليه إلا وله مثل أجر من عمل به إلى يوم القيامة، ولا يبلغ أحد من الأنبياء هذه المرتبة ، وذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد نفع شطر أهل الجنة ، فقد ثبت في الحديث أن أمته شطر أهل الجنة فقد قال صلى الله عليه وسلم مرة لجماعة من أصحابه: " أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة ؟ قلنا : نعم. قال: أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟ قلنا: نعم. قال: والذي نفسي بيده إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة " [3].

---

[1] أخرجه البخاري في كتاب الطب.ح(٥٧٠٥) وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان ح(٢٢٠).

[2] أخرجه مسلم في كتاب العلم ح(٢٦٧٤).

[3] أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، ح(٦٥٢٨) وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان ح (٢٢٢).

فإذا كان صلى الله عليه وسلم قد نفع أهل الجنة، وغيره من الأنبياء إنما نفع جزءاً من أجزاء الشطر، كانت منزلته في القرب على قدر منزلته في النفع، فما من عارف من أمته إلا وله مثل أجر معرفته مضافاً إلى معارفه صلى الله عليه وسلم، وما من ذي حال من أمته إلا وله صلى الله عليه وسلم مثل أجره على حاله مضموماً إلى أحواله صلى الله عليه وسلم، وما من ذي مقال يتقرب به إلى الله عز وجل إلا وله صلى الله عليه وسلم مثل أجر ذلك القول مضموماً إلى مقالته وتبليغ رسالته، وما من عمل من الأعمال المقربة إلى الله عز وجل من صلاة وزكاة وعتق وجهاد وبر ومعروف وذكر وصبر وعفو وصفح إلا وله صلى الله عليه وسلم مثل أجر عامله مضموماً إلى أجره على أعماله، وما من درجة علية، ومرتبة سنية، نالها أحد من أمته بإرشاده ودلالته إلا وله مثل أجرها مضموماً إلى درجته صلى الله عليه وسلم ومرتبته، ويتضاعف ذلك بأن من دعا من أمته إلى هدى أو سن سنة حسنة كان له أجر من عمل بذلك على عدد العاملين، ثم يكون هذا المضاعف لنبينا صلى الله عليه وسلم، لأنه دل عليه، وأرشد إليه.

ولأجل هذا بكى موسى عليه السلام ليلة الإسراء بكاء غبطة غبط بها النبي صلى الله عليه وسلم إذ يدخل من أمته الجنة أكثر مما يدخل من أمة موسى عليه السلام، لم يبك حسداً كما يتوهمه بعض الجهال، وإنما بكا أسفا على ما فاته من مثل مرتبته[1].

ففي قصة المعراج من حديث مالك بن صعصعة رضي الله عنه مرفوعاً وفيه " ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة... ، فلما خلصت فإذا موسى، قال:

---

[1] بداية السول في تفضيل الرسول لعبدالعزيز بن عبد السلام ، ص ٤٤ - ٤٦ .

جبريل هذا موسى فسلم عليه، فسلمت عليه، فرد ثم قال: مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح، فلما تجاوزت بكى.

قيل له: ما يبكيك؟ قال أبكي لأن غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي "[1].

٣- أن قرنه صلى الله عليه وسلم خير قرن بني آدم كما أنه خير قرون أمته والقرون التي تلي قرنه صلى الله عليه وسلم . فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت منه "[2].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم "[3].

٤- أن الله تعالى أخبره بأنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وهو حي صحيح يمشي على الأرض. قال الله تعالى ﴿ إنا فتحنا لك فتحا مبيناo ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيماo وينصرنك الله نصرا عزيزا﴾ [4]

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه- في الشفاعة- وفيه قوله صلى الله عليه وسلم " فيأتوني فيقولون: يا محمد أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك " [5].

---

[1] أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار ح(٣٢٠٧) وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان ح(١٦٤).

[2] أخرجه البخاري في كتاب المناقب ح(٣٥٥٧).

[3] أخرجه البخاري في كتاب الشهادات ح(٣٦٥١) ومسلم في كتاب فضائل الصحابة ح(٢٥٣٣).

[4] سورة الفتح الآيات (١-٣).

[5] أخرجه البخاري في كتاب التفسير ح(٤٧١٢) وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان ح(١٦٢).

وفي حديث أنس رضي الله عنه – في الشفاعة أيضا– وفيه قوله صلى الله عليه وسلم " ولكن ائتوا محمدا صلى الله عليه وسلم عبداً قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر " [1].

قال العز بن عبد السلام: ولم ينقل أنه أخبر أحداً من الأنبياء بمثل ذلك بل الظاهر أنه لم يخبرهم، لأن كل واحد منهم إذا طلبت منهم الشفاعة في الموقف ذكر خطيئته التي أصابها وقال: " نفسي نفسي " ولو علم كل واحد منهم بغفران خطيئته لم يوجل منها في ذلك المقام وإذا استشفعت الخلائق بالنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام قال: " أنا لها "[2].

٥- أن الله رفع له ذكره.

قال تعالى: ﴿ ورفعنا لك ذكرك﴾ [3].

فلا يذكر الله سبحانه إلا ذكر معه، ولا يصح للأمة تشهد حتى يشهدوا أنه عبده ورسوله، وأوجب ذكره في كل خطبة، وفي الشهادتين اللتين هما أسلس الإسلام وفي اللأذان الذي هو شعار الإسلام وفي الصلاة التي هي عماد الدين إلى غير ذلك من المواضع.

٦- أن الله أقسم بحياته صلى الله عليه وسلم.

فقال تعالى: ﴿ لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون﴾[4]. والإقسام بحياة المقسم بحياته يدل على شرفها وعزتها عند المقسم بها، وأن حياته صلى الله عليه

---

[1] أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ح(١٦٢).

[2] بداية السول (ص ٣٥-٣٦).

[3] سورة الشرح الآية (٤).

[4] سورة الحجر الآية (٧٢).

وسلم الجديرة أن يقسم بها لما فيها من البركة العامة والخاصة ولم يثبت هـذا لغيره صلى الله عليه وسلم[1].

٧- أن الله وقره في ندائه، فناداه بأحب أسمائه وأسنى أوصافه.

قال سبحانه: ﴿ يا أيها النبي..﴾[2] و ﴿ يا أيها الرسول﴾[3] وهذه الخصيصة لم تثبت لغيره، بل ثبت أن كلا منهم نودي باسمه فقال تعالى: ﴿ يا آدم اسكن﴾[4] ﴿ يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك﴾[5] ﴿ يا موسى إني أنا الله﴾[6] ﴿ يا نوح اهبط بسلام﴾[7] ﴿ يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض﴾[8] ﴿ يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا﴾[9] ﴿ يا لوط إنا رسل ربك﴾[10] ﴿ يا زكريا إنا نبشرك﴾[11] ﴿ يا يحيى خذ الكتاب﴾[12].

ولا يخفى على أحد أن السيد إذا دعى أحد عبيده بأفضل ما وجد فيه من الأوصاف العلية والأخلاق السنية، ودعا الآخرين بأسمائهم الأعلام التي لا تشعر بوصف من الأوصاف ولا بخلق من الأخلاق، دل ذلك على أن منزلة

---

[1] بداية السول (ص٧٣).
[2] سورة الأنفال الآية (٦٤).
[3] سورة المائدة الآية (٤١).
[4] سورة البقرة الآية (٣٥).
[5] سورة المائدة الآية (١٠).
[6] سورة القصص الآية (٣٠).
[7] سورة هود الآية (٤٨).
[8] سورة ص الآية (٢٦).
[9] سورة الصافات الآية (١٠٥).
[10] سورة هود الآية (٨١).
[11] سورة مريم الآية (٧).
[12] سورة مريم الآية (١٢).

من دعاه بأفضل الأسماء والأوصاف أعز عليه وأقرب إليه ممن دعاه باسمه العلم. وهذا معلوم بالعرف أن من دعي بأفضل أوصافه وأخلاقه كان ذلك مبالغة في تعظيمه واحترامه)[1].

٨- أن الله أمر الأمة بأن لا ينادونه باسمه بل ينادونه : يا رسول الله ، يا نبي الله . قال الله تعالى: ﴿ لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لِواذاً فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾[2].

قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير عند تفسيرها: كانوا يقولون : يا محمد، يا أبا القاسم، فنهاهم الله عز وجل عن ذلك إعظاماً لنبيه صلى الله عليه وسلم ، وأمرهم أن يقولوا يا نبي الله يا رسول الله)[3].

٩- أن الله نهى الأمة أن يرفعوا أصواتهم فوق صوته صلى الله عليه وسلم ولا يجهروا له بالقول – كما هو الحال بين الناس– حتى لا تحبط أعمالهم.

قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون﴾[4].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم افتقد ثابت بن قيس فقال رجل يا رسول الله أنا أعلم لك علمه، فأتاه فوجده جالسا في بيته منكسا رأسه فقال له ما شأنك؟ فقال: شر. كان يرفع صوته فوق صوت النبي

---

[1] بداية السول ص ٣٨.

[2] سورة النور الآية (٦٣).

[3] تفسير ابن كثير ٣٠٦/٣.

[4] سورة الحجرات الآية (٢).

صلى الله عليه وسلم فقد حبط عمله وهو من أهل النار. فأتى الرجل النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره أنه قال كذا وكذا فرجع إليه المرة الآخرة ببشارة عظيمة، فقال : " اذهب إليه فقل له: إنك لست من أهل النار، ولكن من أهل الجنة "[1].

وقال ابن الزبير: ما كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يُسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية حتى يستفهمه[2].

---

[1] أخرجه البخاري في كتاب التفسير ح(٤٨٤٦).

[2] أخرجه البخاري في كتاب التفسير. ح(٤٨٤٥).

المبحث الثـــالـــث

وجـــوب طـــاعته واتـــباعه

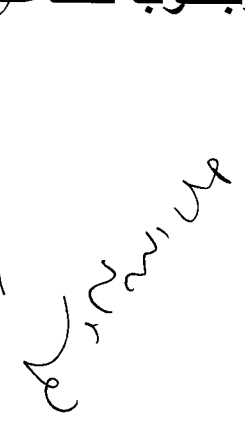

إن طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أمر به والانقياد له والانتهاء عما نهى عنه والتسليم التام لما جاء به من عند الله، والاقتداء به واتباعه والتمسك بسنته ، كل ذلك من أوجب الواجبات على كل مسلم، وطاعته أعظم حقوقه على الخلق، وذلك من مستلزمات الإيمان به عليه الصلاة والسلام، بل إنه لا سعادة ولا نجاة ولا فوز لمخلوق في المرجع والمآل إلا بذلك.

ولقد فاضت نصوص الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح في الأمر بذلك والحث عليه، والترغيب فيه والتحذير من ضده. وقد اهتم القاضي عياض- رحمه الله – اهتماما بالغا بهذا الموضوع وأفرده بعدة فصول في كتابه الشفا، جمع فيها الكثير من الأدلة على هذا الأمر، وأطال فيها وأجاد بما لا يستغني عن معرفته مسلم فضلا عن طالب علم، ورغبة مني في عدم الإطالة فإني ألخص كلامه ومقصوده فيما يلي :

قال القاضي رحمه الله : وأما وجوب طاعته صلى الله عليه وسلم ، فإذا وجب الإيمان به وتصديقه فيما جاء به وجبت طاعته، لأن ذلك مما أتى به ، قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾ [1]، وقال : ﴿ قل أطيعوا الله والرسول ﴾ [2] ، وقال : ﴿ وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون﴾ [3] ، وقال : ﴿ وإن تطيعوه تهتدوا ﴾ [4] ، وقال: ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ [5] وقال : ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ [6] ، وقال : ﴿ ومن يطع الله

---

[1] سورة النساء (٥٩) .
[2] سورة آل عمران آية (٣٢) .
[3] سورة أل عمران آية (١٣٢) .
[4] سورة النور آية (٥٤) .
[5] سورة النساء آية (٨٠).
[6] سورة النساء آية (٦٤).

والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا﴾[1] وقال : ﴿وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ﴾ [2].

فجعل طاعة رسوله طاعة له، وقرن طاعته بطاعته ، ووعد على ذلك بجزيل الثواب وأوعد على مخالفته بسوء العقاب ، وأوجب امتثال أمره واجتناب نهيه ، قال المفسرون والأئمة : طاعة الرسول في التزام سنته والتسليم لما جاء به ، فإن الله تعالي ما أرسل من رسول إلا فرض طاعته على من أرسله إليه ٠

وتكون طاعته صلى الله عليه وسلم أيضا بالشهادة له بالنبوة والرسالة لله تعالى بالربوبية والألوهية وبامتثال ما أمر به والانتهاء عما حرمه ونهى عنه ، والعمل بما جاء به فإن الله تعالى يقول : ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ ، وقد سئل بعض السلف عن شرائع الإسلام فتلى هذه الآية .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني ، ومن عصى أميري فقد عصاني"[3].

فطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم من طاعة الله لأن الله أمر بطاعته، فطاعته صلى الله عليه وسلم امتثال لما أمر الله به، وقد حكى الله عن الكفار في دركات جهنم فقال: ﴿ يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول﴾ [4]، فتمنوا طاعته تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم حيث لا ينفعهم التمني.

---

[1] سورة الحشر آية (٧) ٠

[2] سورة النساء آية (٦٩) ٠

[3] رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير ح (٢٩٥٧)

[4] سورة الأحزاب آية(٦٦) ٠

وقال صلى الله عليه وسلم : " إذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم " [1] ، وقال : " كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى ، قيل ومن يأبى يا رسول الله ؟ قال : من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى "[2]، وقال " إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوما فقال : يا قوم إني رأيت الجيش بعيني، وإني أنا النذير العريان فالنجاء ، فأطاعه طائفة من قومه، فأدلجوا، فانطلقوا على مهلهم فنجوا، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق "[3] .

فتبين من النصوص السابقة أن طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم هي شرط من شروط الإيمان بالله ورسوله ، وأنها سبب الهداية والرحمة والفوز برضا الله تعالى ودخول جنته والنجاة من عذابه وعقابه ، وقد كانت طاعته صلى الله عليه وسلم بهذه المنزلة العالية الرفيعة ، لأنه عليه الصلاة والسلام لا يأمرنا إلا بكل خير وسعادة لنا في الدارين، ولا ينهانا إلا عما فيه الشقاوة والشر في الدنيا والآخرة ، ففي طاعته الحياة الحقيقية للقلوب والأرواح والأبدان ، وفي معصيته الموت لها ، وقد صدق الله عز وجل حيث يقول :﴿ يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون ﴾[4] .

فلا عجب إذا أن تفيض نصوص الكتاب والسنة بالأمر بهذه الطاعة والحث عليها ، فقد وردت في كتاب الله تعالى وحده أكثر من ثلاثين مرة ، يقول الإمام

---

[1] رواه البخاري في كتاب الاعتصام بالسنة ح (٧٢٨٨)، ومسلم في كتاب الفضائل ح (١٣٣٧).

[2] رواه البخاري في كتاب الاعتصام بالسنة ح (٧٢٨٠).

[3] رواه البخاري في كتاب الاعتصام بالسنة ح (٧٢٨٨) ومسلم في كتاب الفضائل ح (١٣٣٧).

[4] سورة الأنفال آية (٢٤).

أحمد بن حنبل رحمه الله : نظرت في المصحف فوجدت فيه طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثة وثلاثين موضعا ، ثم جعل يتلو﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾ [١] ، وجعل يكررها ويقول: ما الفتنة الشرك لعله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيزيغ قلبه فيهلكه، وجعل يتلو هذه الآية : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ﴾ [٢].

وقال : من رد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو على شفا هلكة [٣].

وأما وجوب اتباعه صلى الله عليه وسلم وامتثال سنته والإقتداء بهديه فقد قال الله تعالى : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ﴾ [٤] ، وقال : ﴿ فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون ﴾ [٥] ، وقال :﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾ [٦]، أي ينقادوا لحكمك ، يقال سلم واستسلم وأسلم إذا انقاد ، وقال تعالى : ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ﴾ [٧] ، والأسوة في الرسول صلى الله عليه وسلم الاقتداء به والاتباع لسنته وترك مخالفته في قول أو فعل. قال سهل بن عبد الله التستري في قوله تعالى: ﴿ صراط الذين أنعمت عليهم ﴾ [٨] ، قال

---

[١] سورة النور آية (٦٣) .

[٢] سورة النساء آية (٦٥).

[٣] أخرج هذا الأثر ابن بطة في الإبانة ٢٦٠/١ برقم : ٩٧، وسنده صحيح كما قال محقق الكتاب.

[٤] سورة آل عمران آية (٣١) .

[٥] سورة الأعراف آية (١٥٨).

[٦] سورة النساء آية (٦٥).

[٧] سورة الأحزاب آية (٢١).

[٨] سورة الفاتحة آية (٧).

: ذبمتابعة السنة. فأمرهم تعالى بذلك ووعدهم الاهتداء باتباعه، لأن الله تعالى أرسله بالهدى ودين الحق ليزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم إلى صراط مستقيم ، ووعدهم محبته تعالى في الآية الأخرى ومغفرته إذا اتبعوه وآثروه على أهوائهم وما تجنح إليه نفوسهم، وأن صحة إيمانهم بانقيادهم له ورضاهم بحكمه وترك الاعتراض عليه ، وروي عن الحسن البصري أن أقواما قالوا إنا نحب الله تعالى فأنزل الله : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ وروي أن الآية نزلت في كعب بن الأشرف وغيره من اليهود حيث قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه ، ونحن أشد حبا لله فأنزل الله الآية ، وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه في موعظة النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة " [1] ، وقال صلى الله عليه وسلم : " لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به ، أو نهيت عنه فيقول لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه "[2] ، وفي حديث عائشة رضي الله عنها قالت : صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ترخص فيه، فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فحمد الله ثم قال : " ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه، فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية " [3]، وقال صلى الله عليه وسلم : " إن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدى محمد ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة

---

[1] رواه أبو داود في كتاب السنة ح(٤٦٠٧) ، والترمذي في كتاب العلم ح (٢٦٧٦)، وقال حديث حسن صحيح ، وقال الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٢٠/١ برقم : ٣٤ : حديث صحيح.

[2] رواه الترمذي في كتاب العلم ح (٢٦٦٣) . وقال حديث حسن صحيح ، وأبوا داود في كتاب السنة ح(٤٦٠٥) ،وابن ماجة في المقدمة ح (١٢) وحسنة الحاكم ١٠٨/١ ووافقه الذهبي .

[3] رواه البخاري في كتاب الأدب ح (٦١٠١) ومسلم في كتاب الفضائل ح (٢٣٥٦) .

ضلالة " [1]. وقال صلى الله عليه وسلم: " إن بني إسرائيل افترقوا على اثنتين وسبعين ملة، وإن أمتي تفترق على ثلاث وسبعين، كلها في النار إلا واحدة ، قالوا : ومن هم يا رسول الله ؟ قال: الذي أنا عليه اليوم وأصحابي"[2].

لقد تبين من خلال ما ذكره أبو الفضل رحمه الله من النصوص المحكمة أن الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم والتمسك بسنته من أوجب الواجبات على كل عبد ، بل هو شرط الإيمان ودليل صدق محبة الرحمن جل جلاله ، حيث أقسم الرب بنفسه المقدسة العظيمة أنهم لا يؤمنون حتى يحكموه صلى الله عليه وسلم فيما شجر بينهم وحتى لا يكون في أنفسهم أدنى حرج لحكمه ، وحتى ينقادوا عن طواعية ورضا تامين ، وقد اشترط سبحانه وتعالى لصدق محبة العبد له أن يقتدي برسوله صلى الله عليه وسلم فقال : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ﴾ [3] ، وهذه الآية – كما يقول الإمام ابن كثير رحمه الله – (حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية ، فإنه كاذب في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله ، ولهذا قال :﴿ إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ ،أي يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه وهو محبته إياكم وهو أعظم من الأول،كما قال بعض العلماء الحكماء ليس الشأن أن تحب إنما الشأن أن تحب ، قال الحسن البصري وغيره من السلف : زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية[4]. فمن كان صادقا في حبه لله تعالى أحب

---

[1] رواه مسلم في كتاب الجمعة ح (٨٧٦) ٣١١.

[2] رواه الترمذي في كتاب الايمان ح (٢٦٤١) وللحديث شواهد وروايات متعددة يرتفع بها إلى درجة الصحة ،وقد ألف الشيخ سليم الهلالي كتابا سماه (درء الارتياب عن قوله صلى الله عليه وسلم ما أنا عليه والأصحاب) جمع فيه تلك الشواهد والروايات فليراجع.

[3] سورة آل عمران آية (٣١) .

[4] تفسير ابن كثير ٣٥٨/١ .

رسوله صلى الله عليه وسلم واتبعه ولم يقدم على قوله وسنته قول أحد ، ولهذا أوجب الله عز وجل على المؤمنين التحاكم إلى كتابه وإلى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم عند الاختلاف مبينا أن ذلك هو خير لهم وأحسن مآلا وعاقبة ، فقال سبحانه وهو أصدق القائلين:﴿ فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا ﴾[1] ، فأمرنا عز وجل أن نرد كل خلاف في أي أمر من أمور الدين إليه وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم وهذا يكون بالرد إلى كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

وإن من أعظم حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته تحقيق هذا المطلب والتقيد به وهو اتباعه وتقفي سنته عليه الصلاة والسلام.

وإذا قام به العبد أدرك الفلاح دنيا وأخرى. وإن من حقوقه علينا عليه الصلاة والسلام القيام بالواجب الشرعي من الدعاء له فيما أمرنا الله عز وجل به في قوله ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾.[2]

وصلاة الله على نبيه ثناؤه وتعظيمه وإظهار شرفه وفضله كما قال أبو العالية :

صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة.[3]

أما العبد فيدعو للنبي صلى الله عليه وسلم بأن تتحقق له الرتبة، أو يخبر عن تحققها وصلاة العبد عائدة بركتها عليه، كما قال عليه الصلاة والسلام: " فإنه من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشرا ". [4]

وأما الصلاة عليه ومواطنها فكثيرة لربما لا يتسع المقام لبيانها وتوضيحها.

---

[1] سورة النساء الآية (٥٩).

[2] سورة الأحزاب الآية (٥٦)

[3] أورده البخاري في صحيحه معلقا في كتاب التفسير ، انظر الفتح ٥٣٢/٨.

[4] أخرجه مسلم في كتاب الصلاة ح(٣٨٤).

ومن أهميتها : عند ذكره عليه الصلاة والسلام ، وفي التشهد ، وبعد متابعة المؤذن ، وفي الخطبة ، وعند الدعاء ، وغيرها من المواضع . [1]

---

[1] وللإمام السخاوي كتاب عظم القدر النفع في هذا الباب وهو (القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع) تحقيق: بشير محمد عنون. نشر مكتبة المؤيد، الرياض ومكتبة دار البيان، سوريا. عام ١٤١٥هـ. وانظر جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام للإمام ابن القيم رحمه الله .

الفصـــل الأول

الإســـراء والمعـــراج

وفيـــه مبحثـــان :

المبحث الأول : ثبوت الإسراء والمعراج والأدلة علي ذلك .

المبحث الثاني : هل الإسراء بالروح أم بالجسد ، أم بهما معاً ؟ .

المبحث الأول

ثبوت الإسراء والمعراج

والأدلة على ذلك

من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم قصة الإسراء ، وما انطوت عليه من درجات الرفعة مما نبه عليه الكتاب العزيز، وشرحته صحاح الأخبار . قال سبحانه : ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾[1]. وقال سبحانه : ﴿ والنجم إذا هوى○ ما ضل صاحبكم وما غوى○ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى○ علمه شديد القوى○ ذو مرة فاستوى○ وهو بالأفق الأعلى○ ثم دنا فتدلى○ فكان قاب قوسين أو أدنى○ فأوحى إلى عبده ما أوحى○ ما كذب الفؤاد ما رأى○ أفتمارونه على ما يرى○ ولقد رآه نزلة أخرى○ عند سدرة المنتهى○ عندها جنة المأوى○ إذ يغشى السدرة ما يغشى○ مازاغ البصر وما طغى○ لقد رأى من آيات ربه الكبرى ﴾[2]. فلا خلاف بين المسلمين في صحة الإسراء به عليه الصلاة والسلام ، إذ هو نص القرآن ؛ وصريح صحيح الأحاديث [3].

ومن أكملها حديث أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " أتيت بالبراق (وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل. يضع حافره عند منتهى طرفه) قال: فركبتُه حتى أتيتُ بيت المقدس. قال : فربطتُه بالحلقة التي يربط به الأنبياء. قال، ثم دخلتُ المسجد فصلّيتُ فيه ركعتين. ثم خرجتُ. فجاءني جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن. فاخترت اللبن. فقال جبريل

---

[1] سورة الإسراء الآية (١)

[2] سورة النجم الآيات (١-١٨)

[3] نقل ابن كثير في تفسيره عن الحافظ أبي الخطاب عمر بن دحية قوله في كتابه " التنوير من مولد السراج المنير" : حديث الإسراء أجمع عليه المسلمون وأعرض عنه الزنادقة والملحدون (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون). (انظر تفسير ابن كثير ٣/٢٥).

ﷺ : اخترتَ الفطرة. ثم عرج بنا إلى السماء. فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال:محمد. قيل: وقد بعث إليه؟ قال : قد بعث إليه. ففُتح لنا. فإذا أنا بآدم. فرحّب بي ودعا لي بخير. ثم عرج بنا إلى السماء الثانية. فاستفتح جبريل عليه السلام. فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه. ففُتح لنا. فإذا أنا بابني الخالة عيسى ابن مريم ويحي بن زكريّاءَ صلوات الله عليهما. فرحّبا ودعوا لي بخير. ثم عرج بي إلى السماء الثالثة. فاستفتح جبريل. فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ . قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه. ففُتح لنا. فإذا أنا بيوسف ﷺ . إذا هو قد أُعطي شطر الحسن. فرحّب ودعا لي بخير. ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة. فاستفتح جريل عليه السلام. قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه. ففُتح لنا. فإذا أنا بإدريس. فرحب ودعالي بخير. قال الله عز وجل:﴿ ورفعناه مكاناً علياً﴾. ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة. فاستفتح جريل عليه السلام. قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه. ففُتح لنا. فإذا أنا بهارون ﷺ . فرحّب ودعا لي بخير. ثم عرج بنا إلى السماء السادسة. فاستفتح جريل عليه السلام. قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه. ففُتح لنا. فإذا أنا بموسى ﷺ . فرحّب ودعا لي بخير. ثم عرج إلى السماء السابعة. فاستفتح جريل عليه السلام. قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه. ففُتح لنا. فإذا أنا بإبراهيم ﷺ ، مسنداً ظهره إلى البيت المعمور. وإذا هو يدخله كلَّ يوم سبعون ألف ملكٍ لا

يعودون إليه. ثم ذهب بي إلى السدرة المنتهى ، وإذا ورقها كآذان الفيلة ، وإذا ثمرها كالقلال. قال، فلمّا غشيها من أمر الله ما غشيَ تغيرت. فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها. فأوحى الله إليّ ما أوحى. ففرض عليّ خمسين صلاةً في كلّ يوم وليلة. فنزلتُ إلى موسىﷺ . فقال: ما فرض ربك على أمتك؟ قلت : خمسين صلاةً. قال : ارجع إلى ربك. فاسأله التخفيف. فإن أمتك لا يطيقون ذلك. فإني قد بلوتُ بني إسرائيل وخبرتهم. قال، فرجعتُ إلى ربي فقلتُ: يا ربِّ ! خفّف على أمتي. فحطّ عني خمساً. فرجعتُ إلى موسى فقلت : حطّ عني خمساً. قال إن أمتك لايطيقون ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف. قال، فلم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام حتى قال : يا محمد! إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة. لكل صلاة عشر. فذلك خمسون صلاةً. ومَن همّ بحسنة فلم يعملها كُتبت له حسنة. فإن عملها كُتبت له عشراً. ومَن همّ بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئاً. فإن عملها كُتبت سيّئة واحدة. قال: فنزلتُ حتى انتهيتُ إلى موسى ﷺ فأخبرته. فقال: ارجع إلى ربك فاسأله لتخفيف. فقال رسول الله ﷺ فقلت : قد رجعت إلى ربي حتى استحيت منه "[1].

ولا خلاف أن الإسراء كان بعد الوحي.[2]

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ح (١٦٢) وأصله في الصحيحين من حديث مالك بن صعصعة رضي الله عنه، ومن حديث أبي ذر رضي الله عنه، انظر صحيح الإمام البخاري ح (١٢٠٧و ٣٤٩) وانظر صحيح الإمام مسلم ح (١٦٤ و ١٦٣).

[2] انظر الشفا (١/١٥٥-١٥٧)

المبحـــث الثانـــي

هل الإسراء بالروح ،

أم بالجسد ، أم بهما معا ؟

المطلب الأول

الأقوال في المسألة ورأى القاضي رحمه الله فيها

اختلف السلف والعلماء في الإسراء هل كان بالروح أم بالجسد ، على ثلاثة أقوال :

القول الأول : أنه إسراء بالروح وأنه رؤيا منام ، مع اتفاقهم أن رؤيا الأنبياء حق ووحي[١]. وإلى هذا ذهب معاوية بن أبي سفيان ، وحكي عن الحسن، والمشهور عنه خلافه[٢].

وأدلة أصحاب هذا القول هي قوله سبحانه :﴿ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس ﴾[٣]. وما ورد من قول النبي صلى الله عليه وسلم: " بينا أنا نائم " [٤]. وقول أنس رضي الله عنه : وهو نائم في المسجد الحرام ، وذكر القصة وقال في آخرها : ثم استيقظت وأنا بالمسجد الحرام [٥]. وما حكى عن عائشة رضى الله عنها من قولها: ما فقدت جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم[٦].

---

[١] أخرج البخاري في صحيحه معلقاً: قلنا لعمرو: إن ناساً يقولون إن رسول الله صلى الله عليه وسلم تنام عينه ولا ينام قلبه. قال عمرو: سمعت عبيد بن عمير يقول: رؤيا الأنبياء وحي. ثم قرأ (إني أرى في المنام أني أذبحك). (انظر البخاري، كتاب الوضوء ح (١٣٨)).

[٢] نقل ابن إسحاق هذا القول عن عائشة ومعاوية، ونقل عن الحسن البصري نحوه (انظر زاد المعاد ٣/٤٠).

[٣] سورة الإسراء الآية (٦٠).

[٤] لم أقف على هذا الحديث بهذا السياق. ووقع في البخاري من حديث مالك بن صعصعة: بينا أنا في الحطيم – وربما قال في الحجر – مضطجعا. ح (٣٨٨٧). وفي رواية عنده أيضاً: بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان، ح (٣٢٠٧). وأخرجها مسلم أيضاً في صحيحه ، كتاب الإيمان ح (١٦٤).

[٥] وقعت عند البخاري في كتاب التوحيد : (فلما استيقظت). قال ابن حجر المراد باستيقظت أفقت، أي أنه أفاق مما كان فيه من شغل البال بمشاهدة الملكوت، ورجع إلى العالم الدنيوي. (انظر الفتح لابن حجر ٧/٢٠٤).

[٦] قصة الإسراء وقعت وعائشة بنت نحو خمس سنين، ولم يدخل بها النبي صلى الله عليه وسلم إلا بالمدينة .وعمرها تسع سنين ، (انظر صحيح مسلم ، كتاب النكاح ح(١٤٢٢))

القول الثاني: أن الإسراء كان بالجسد يقظة إلى بيت المقدس وأما إلى السماء فكان بالروح [1]. ودليلهم قوله سبحانه :﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى﴾ [2]. فجعل غاية الإسراء "المسجد الأقصى" الذي وقع التعجب فيه بعظيم القدرة، والتمدح بتشريف النبي صلى الله عليه وسلم وإظهار الكرامة له بالإسراء به إليه. ولو كان الإسراء بجسده إلى مكان آخر زائد على المسجد الأقصى لذكره، لأنه أبلغ في المدح .

القول الثالث: وهو ما ذهب إليه معظم السلف، وعامة المسلمين- أنه إسراء بالجسد وفي اليقظة ، وهو قول ابن عباس وجابر وأنس وحذيفة وعمر وأبي هريرة ومالك بن صعصعة وأبي حبة البدري وابن مسعود والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة وابن المسيب وابن شهاب وابن زيد والحسن وإبراهيم ومسروق ومجاهد وعكرمة وابن جريج والطبري وابن حنبل، وجماعة عظيمة من المسلمين. وهو قول أكثر المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين . وهو الحق من هذا والصحيح إن شاء الله .

---

[1] قال ابن القيم رحمه الله : أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم بجسده على الصحيح من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ...، ثم عرج به تلك الليلة من بيت المقدس إلى السماء الدنيا...، (انظر زاد المعاد لابن القيم ٣/٣٤).

وقال ابن كثير رحمه الله : الأكثرون من العلماء على أنه أسري ببدنه وروحه يقظةً لا مناماً ، ولا ينكرون أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى قبل ذلك مناماً ثم رآه بعده يقظة لأنه لا يرى رؤياً إلا جاءت مثل فلق الصبح (انظر تفسير ابن كثير ٣/٢٤).

وقال ابن حجر رحمه الله : اختلف السلف بحسب اختلاف الأخبار الواردة : فمنهم من ذهب إلى أن الإسراء والمعراج وقعاً في ليلة واحدة في اليقظة بجسد النبي صلى الله عليه وسلم وروحه بعد المبعث، وإلى هذا ذهب الجمهور من علماء المحدثين والفقه والمتكلمين. وتواردت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة ولا ينبغي العدول عن ذلك إذ ليس في العقل ما يحيله حتى يحتاج إلى تأويل (انظر فتح الباريء لابن حجر ٧/١٩٧).

[2] سورة الإسراء الآية (١).

إذا الآية دليل عليه، وكذا صحيح الأخبار والاعتبار. ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة إلى التأويل إلا عند الاستحالة. وليس في الإسراء بجسده صلى الله عليه وسلم وحال يقظته استحالة. وأدلة ذلك :

١- لو كان الإسراء مناما لقال : بروح عبده. ولم يقل : ﴿ بعبده ﴾ وقوله : ﴿ ما زاغ البصر وما طغى ﴾ يدل على أنه بجسده.

٢- لو كان مناما لما كانت فيه آية ولا معجزة ولما استبعده الكفار ولا كذبوه فيه ولا ارتد به ضعفاء من أسلم وافتتنوا به ، إذ مثل هذه المنامات لا تنكر .

٣- ما ذكر في الحديث من صلاته بالأنبياء ببيت المقدس أو في السماء. وذكر مجيء جبريل له بالبراق وخبر المعراج، واستفتاح السماء، ولقاءه بالأنبياء، وخبرهم معه، وترحيبهم به كلها دليل على حقيقة هذا الأمر، وأنه كان بروحه وجسده[١].

وفي بعض هذه الأخبار: " فأخذ جبريل بيدي فعرج بي إلى السماء ". إلى قوله – ثم عرج بي حتى ظهرت بمستوى أسمع فيه صريف الأقلام وأنه وصل إلى سدرة المنتهى، وأنه دخل الجنة ورأى فيها ما ذكره [٢].

قال ابن عباس: هي رؤيا عين رآها النبي صلى الله عليه وسلم، لا رؤيا منام[٣].

---

[١] قال ابن القيم رحمه الله : لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في مقام خرق العوائد حتى شق بطنه وهو حي لا يتألم بذلك عرج بذات روحه المقدسة حقيقة من غير إماتة، ومن سواه لا ينال بذات روحه الصعود إلى السماء إلا بعد الموت والمفارقة. فالأنبياء إنما استقرت أرواحهم هناك بعد مفارقة الأبدان، وروح رسول الله صلى الله عليه وسلم صعدت إلى هناك في حال الحياة ثم عادت. (انظر زاد المعاد لابن القيم ٣/٤٠-٤١).

[٢] لم أقف على هذا الحديث بهذا السياق. ووقع في البخاري من حديث مالك بن صعصعة: بينا أنا في الحطيم – وربما قال في الحجر – مضطجعا. ح (٣٨٨٧). وفي رواية عنده أيضاً: بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان، ح (٣٢٠٧). وأخرجها مسلم أيضاً في كتاب الإيمان ح (١٦٤).

[٣] أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب مناقب الأنصار ج (٣٨٨٨).

وعن الحسن فيه : " بينا أنا نائم في الحجر جاءني جبريل فهمزني بعقبه فقمت فجلست فلم أر شيئاً فعدت لمضجعي – ذكر ذلك ثلاثا – فقال في الثالثة: فأخذ بعقدي فجرني إلى باب المسجد فإذا بدابة –وذكر خبر البراق – [1].

وعن أم هانئ قالت: ما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو في بيتي تلك الليلة. صلى العشاء الآخرة ، ونام بيننا، فلما كان قبيل الفجر أهبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى الصبح وصلينا، قال: يا أم هانئ لقد صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادي ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه، ثم صليت الغداة معكم الآن كما ترون[2]. وعن شداد بن أوس أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به: طلبتك يا رسول الله البارحة في مكانك فلم أجدك ! . أجابه :"إن جبريل حملني إلى المسجد الأقصى"[3] [4].

---

[1] انظر تفسير القرطبي ٢٨٤/١.

[2] انظر البداية والنهاية لابن كثير ١١٠/٣.

[3] أورده الهيثمي في مجمع الزوائد، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٢ هـ ٧٣/٦ وقال: رواه البزار والطبراني في الكبير، وفيه إبراهيم بن العلاء وثقه يحي بن معين وضعفه النسائي.

[4] انظر الشفا ١٦٣/١-١٦٦.

المطلب الثاني

مناقشة أدلة المخالفيـــن

أما قوله سبحانه: ﴿ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس﴾[1]. فسماها رؤيا ، فإن قول الله سبحانه : ﴿ الذي أسرى بعبده ﴾[2] يرد هذا الاستدلال لأنه لا يقال في النوم : أسرى[3]. وقوله سبحانه ﴿ فتنة للناس ﴾ يؤيد أنها رؤيا عين. إذ ليس في الحلم فتنة ولا يكذب به أحد ، لأن كل إنسان يرى مثل ذلك في منامه من الكون في ساعة واحدة في أقطار متباينة . وأما قوله في الحديث: وهو نائم. وقوله: " ثم استيقظت"[4]. فلا حجة فيها، إذ قد يحمل على حالة أول وصول الملك إليه. أو أن استيقظت، بمعنى أصبحت، إذ كان مسراه طوال الليل، أو تحمل على حال من الذهول. أي لم يرجع إلى حال البشرية إلا وهو بالمسجد الحرام نظرا لما لقيه من المشاهد العجيبة. ويمكن حملها على أنها تعبير عن هيئة النائم من الاضطجاع. ويقوى هذا الوجه رواية عبد بن حميد عن همام: بينا أنا نائم، وربما قال : مضطجع[5]. فوصف نفسه بالنوم لأن هيئته هي هيئة النائم غالباً.

وأما قول عائشة: ما فُقد جسده، فعائشة لم تحدث به عن مشاهدة لأنها لم تكن حينئذ زوجه، ولا في سن من يضبط، بل لربما لم تكن ولدت بعد في تلك الحادثة. على خلاف في وقوع الإسرى، متى كان ؟ .

---

[1] سورة الإسراء (٦٠).

[2] سورة الإسراء (١).

[3] وأخرج البخاري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس) قال : هي رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به إلى بيت المقدس. (صحيح البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ح (٣٨٨٨))

[4] قال بن حجر رحمه الله: المراد باستيقظت أفقت، أي أنه أفاق مما كان فيه من شغل البال بمشاهدة الملكوت ورجع إلى العالم الدنيوي (انظر فتح الباريء ٢٠٤/٧).

[5] وقع عند البخاري من حديث مالك بن صعصعة : بينا أنا في الحطيم- وربما قال في الحجر- مضطجعاً. ح(٣٨٨٧). وفي رواية : بين النائم واليقظان. انظر البخاري ح (٣٢٠٧) ومسلم ح(١٦٤).

والأشبه أنه لخمس قبل الهجرة، وحينها كانت عائشة بنت نحو ثلاثة أعوام. ثـــم إن حديث عائشة ليس بالثابت ومما يوهنه قولها في رواية "ما فقدت" ولم يدخل بها النبي صلى الله عليه وسلم إلا بالمدينة[1].

[1] انظر الشفا ١/٧٦١-٩٦١ .

الفصـــــل الثانـــي

الشفـــاعـــــة

وفيـــه مبحثـــان

المبحـــث الأول : إثبـــــات الشفاعـــة وأدلتهـــا .

المبحث الثانـــي : أهـــل الشفاعـــــــة .

المبحث الأول

إثبات الشفاعة وأدلتهـــا

تتابعت الآثار في ثبوت الشفاعة[1] لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وتكريمه بالمقام المحمود من أول الشفاعات إلى آخرها[2].

من حين يجتمع الناس للحشر وتضيق بهم الحناجر ويبلغ منهم العرق والشمس والوقوف مبلغه[3]. وذلك قبل الحساب، فيشفع حينئذ لإراحة الناس من الموقف ثم

---

(1) الشفاعة في اللغة كما قال ابن فارس أصل صحيح من الشين والفاء والعين، يدل على مقارنة الشيئين ومن ذلك الشفع خلاف الوتر تقول : كان فردا فشفعته. قال الله جل ثناؤه (والشفع والوتر).
وقال ابن منظور: تقول: كان وترا فشفعته شفعاً وشفع الوتر من العدد شفعاً: صيره زوجا، وشفع يشفع شفاعة فهو شافع وشفيع،والمشفِّع-كسر الفاء-الذي يقبل الشفاعة والمشفَّع-بفتح الفاء-الذي تقبل شفاعته. والجمع شفعاء. (انظر معجم مقاييس اللغة، باب الشين والفاء ص٥٣١، ولسان العرب مادة شفع).
وأما في الاصطلاح فهي التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة (انظر شرح العقيدة الوسطية لابن تيمية، شرح ابن عثيمين ١٦٨/٢).

(2) قال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله : أحاديث الشفاعة كثيرة متواترة منها في الصحيحين أحاديث متعددة، وفي السنن والمسانيد مما يكثر عدده. (مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣١٤/١).
وقال الشيخ محمد السفاريني رحمه الله : شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم نوع من السمعيات وردت فيها الآثار حتى بلغت مبلغ المتواتر المعنوي. (لوامع الأنوار البهية للسفاريني ٢٠٨/٢).
وقال القاضي عياض رحمه الله في شرحه لصحيح مسلم: مذهب أهل السنة جواز الشفاعة عقلا ووجوبها بصريح قوله تعالى (لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن) (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) وأمثالها، وبخبر الصادق سمعا، وقد جاءت الآثار التي بلغت بمجموعها التواتر بصحتها في الآخرة لمذنبي المؤمنين، وأجمع السلف الصالح ومن بعدهم من أهل السنة عليها. (انظر إكمال المعلم للقاضي عياض ، ٥٦٥/١).

(3) أخرج الإمام مسلم بسنده عن المقداد بن الأسود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل، فيكون الناس يوم القيامة على قدر أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه ومنهم من يكون إلى ركبتيه ومنهم من يكون إلى حقويه ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً. وأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده إلى فيه. (انظر الصحيح، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ح (٢٨٦٤)).

يضع الصراط ويحاسب الناس فيشفع في تعجيل من لا حساب عليه من أمته إلى الجنة.ثم يشفع فيمن وجب عليه العذاب، ودخل النار منهم ثم فيمن قال لا إله إلا الله. وليس هذا لسواه صلى الله عليه وسلم[1]. وقد قال صلى الله عليه وسلم: لكل نبي دعوة يدعو بها فتعجل كل نبي دعوته، واختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة[2]. والمعنى في هذا أن لكل منهم دعوة أُعلم أنها تستجاب له، ويبلغ فيها مرغوبه – وإلا فكم لكل منهم من دعوة مستجابة. ونبينا صلى الله عليه وسلم له من الدعوات المستجابات ما لا يعد.

---

[1] وقد عدها القاضي في شرحه لمسلم خمسة أقسام، وهي :

١-مختصة بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهي لإراحة من هول الموقف وتعجيل الحساب.

٢-في إدخال قوم الجنة دون حساب.

٣-قوم استوجبوا النار فيشفع فيهم نبينا ومن شاء الله له أن يشفع.

٤-فيمن دخل النار من المذنبين.

٥-في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها. (انظر إكمال المعلم للقاضي عياض ١/٥٦٥-٥٦٦).

وزاد القرطبي في تعداده للشفاعة وأنواعها نوعا سادسا وهي الشفاعة من النبي صلى الله عليه وسلم لعمه أبي طالب في التخفيف عنه. (انظر التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي، تحقيق فؤاد زمرلي ، نشر دار الكتاب العربي ، الطبعة الأولى عام ١٤٠٨ هـ ص ١/٢٨٥- ٢٨٦).

وأوصلها بعض العلماء إلى ثمانية أنواع وزادوا عما سبق :

- شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم فيمن استحق النار ألا يدخلها.
- شفاعته صلى الله عليه وسلم فيمن تساوت حسناته وسيئاته.

ولا يخفى ما بين هذه الأنواع من التداخل. (انظر شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ،تحقيق د.التركي والأرناؤوط ، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت ، الثانية ١٤١٥هـ ١/ ٢٢٩-٢٣١ ؛ النهاية في الفتح والملاحم لابن كثير، تحقيق أحمد عبد الشافي،نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، عام ١٤١١هـ ٢/ ٢٠٢-٢٠٩، فتح الباري لابن حجر ١١/٤٢٨).

[2] أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الدعوات ح(٦٣٠٤) ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان ح (١٩٨).

فأما شفاعته الأولى من أهل الموقف، فقد قال سبحانه﴿عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا﴾ [1] . وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال: إن الناس يصيرون يوم القيامة جثى، كل أمة تتبع نبيها يقولون: يا فلان، اشفع لنا يا فلان اشفع لنا. حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود [2] .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : سئل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى قوله : ﴿ عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ﴾ فقال: "هي الشفاعة" [3] . وقال جابر رضى الله عنه ليزيد الفقير: سمعت بمقام محمد – يعنى الذي يبعثه فيه ؟ قلت: نعم. قال : فإنه مقام محمد المحمود الذي يخرج الله به من يخرج - يعنى من النار [4].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال في حديثه عن النبي صلى الله عليه وسلم في شدة يوم القيامة : " تدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم ما لا يطيقون ولا يحتملون، فيقولون : ألا تنظرون من يشفع لكم. فيأتون آدم فيقولون : أنت أبو البشر، خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسكنك جنته، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شئ اشفع لنا إلى ربك حتى يريحنا من مكاننا، ألا ترى ما نحن فيه ؟. فيقول: إن ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب مثله ، ولا يغضب بعده مثله ونهاني عن الشجرة فعصيت، نفسى، نفسي، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى نوح .. ، فيأتون أنبياء الله وكلهم لا يجرؤ على الشفاعة فيهم ، حتى ينتهوا إلى محمد صلى الله عليه وسلم. فإذا

---

[1] سورة الإسراء الآية (٧٩).

[2] أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ح (٤٧١٨).

[3] أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة بني إسرائيل ح (٣٠٦٣).

[4] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان ح (١٩١).

أتوه قال: أنا لها، فأنطلق فأستأذن على ربي فيؤذن لي فإذا رأيته وقعت ساجداً. وفي رواية: فيفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلي، فيقال: يا محمد ارفع رأسك سل، تعطه، واشفع تشفع " [1] [2].

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ح(٤٧١٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان ح (١٩٤)، وورد في الصحيحين نحوه من حديث أنس رضي الله عنه. انظر صحيح البخاري ح (٧٥١٠) وصحيح مسلم ح (١٩٣).

[2] انظر الشفا ١/١٨٨-١٩٢.

المبحث الثانـــي

أهل الشفاعـــة

أهل شفاعته صلى الله عليه وسلم طائفتان:

فمن لا حساب عليه، له فيهم شفاعة في أن يعجل الله إدخالهم الجنة. كما جاء في حديث ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يوضع للأنبياء منابر من نور يجلسون عليها، ويبقى منبري لا أجلس عليه قائما، بين يدي ربي منتصبا فيقول الله تبارك وتعالى: ما تريد أن أصنع بأمتك؟ فأقول: يا رب عجل حسابهم، فيدعى بهم فيحاسبون. فمنهم من يدخل برحمته ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتي، ... " [1]

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه – لما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم حال الناس في موقف الحشر وطلبهم من أنبياء الله الشفاعة . ووقوعه ساجداً بين يدي الله – فيقال : يا محمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع ، فأرفع رأسي فأقول: يا رب أمتي فيقول : أدخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة ، وهم شركاء الناس، فيما سوى ذلك من الأبواب"[2].

والطائفة الأخرى هم أهل النار أصحاب الكبائر من الموحدين، فيشفع فيهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى الله أن يخرجهم من النار كما جاء في حديث

---

[1] أورده الهيثمي في مجمع الزوائد وقال : رواه الطبراني وفيه محمد بن ثابت البناني وهو ضعيف. كتاب البعث ٦٩١/١٠. (انظر بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد،للهيثمي،تحقيق عبد الله الدرويش، نشر دار الفكر،عام ١٤١٤هـ ح (١٨٥٣٦)). وقد أورده العيسوى في الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، نشر دار الصحابة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ (٣٩/١).

[2] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير ح (٢١٧٤) .

أبى موسى رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "خيرت بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة، لأنها أعم، أترونها للمتقين؟ لا ولكنها للمذنبين الخطائين[1].

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قلت يا رسول الله ماذا ورد عليك في الشفاعة ؟ فقال: "شفاعتي لمن شهد ألا إله إلا الله مخلصا يصدق لسانه قلبه".[2]

وجاء في حديث أنس رضى الله عنه - حديث الشفاعة - فأقول: يا رب أمتي، أمتي. فيقال: انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من برة أو شعيرة من إيمان فأخرجه. فأنطلق فأفعل.ثم أرجع إلى ربي فأحمده بتلك المحامد..- وذكر مثل الأول- وقال فيه: " مثقال حبة من خردل. قال: فأفعل، ثم أرجع.."،- وذكر مثل ما تقدم -

---

[1] لم أقف عليه بهذا السند ولا بهذا اللفظ. وقد أورد الهيثمي أحاديث أخرى قريبة من لفظه ومعناه، فمنها :

- حديث عبد الله بن بسر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن جبريل عله السلام أتاني آنفا يبشرني أن الله عز وجل أعطاني الشفاعة فقلنا يا رسول الله أفي بني هاشم خاصة ؟ قال : لا. قلنا : في قريش خاصة؟ قال : لا. قلنا في أمتك ؟ قال : هي في أمتي للمذنبين المتقلين. وقال الهيثمي : رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه عبد الواحد النصرى متأخر يروى عن الأوزاعي ولم أعرفه. وبقية رجاله ثقات. (انظر بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد للهيثمي ، كتاب البعث ٦٨٥/١ ح (١٨٥١٧)).

ومنها حديث عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : خيرت بين الشفاعة أو يدخل نصف أمتي الجنة. فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفى أترونها للمتقين ! لا، ولكنها للمتلوثين الخطاؤون.

قال الهيثمي رواه أحمد والطبراني إلا أنه قال : أما إنها ليست للمؤمنين المتقين ولكنها للمذنبين الخطائين المتلوثين. ورجال الطبراني رجال الصحيح غير النعمان بن قراد وهو ثقة. (انظر بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد،للهيثمي ، تحقيق الدرويش ، كتاب البعث ، ٦٨٦/١٠ ح(١٨٥٢٠)).

[2] أخرجه ابن حبان في صحيحه، وسنده حسن، فيه معاوية بن معتب، ويقال بن مغيث ويقال ابن عتبة، لم يذكر فيه ابن أبي حاتم جرحا ولا تعديلا ٣٧٩/٨، وذكره ابن حبان في ثقاته ٤١٣/٥، (انظر صحيح ابن حبان ١٤/ ٣٨٤).

وللحديث أصل عند البخاري ولفظه : أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه أو نفسه. (انظر الصحيح كتاب الرقاق ح (٦٥٧٠).

وقال فيه: " من كأن في قلبه أدنى أدنى من مثقال حبة من خـــردل، فأفعـــل. وفي المرة الرابعة يقول النبي صلى الله عليه وسلم لربـــه: " يا رب أئذن لي فيمـــن قال: لا إله إلا الله. قال: ليس ذلك إليك ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريـــائي لأخرجن من النار من قال لا إله إلا الله ".

وفي رواية : " ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن[1]، أي وجب عليه الخلود " [2].

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ح (٤٤٧٦). ومسلم في صحيحه ،كتـــاب الإيمـــان ح (١٩٣).

[2] أنظر الشفا ١/١٨٩- ١٩٤.

الفصـــل الثـــالـــث

رؤيـــة النبي صلى الله عليه وسلم لربـــه

وفيـــه ثـــلاثـــة مباحـــث

المبحث الأول : رؤيـــة الله في الدنيـــا وإمكانهـــا .

المبحث الثاني : رؤيـــة النبي صلى الله عليه وسلم لربه واختلاف العلماء في ذلـــــــك .

المبحث الثالث: رؤيـــة الله تعالى في الآخـــرة .

المبحث الأول

رؤيـــة الله في الدنيا وإمكانها

قال القاضي رحمه الله : والحق الذي لا امتراء فيه أن رؤيته تعالى في الدنيا جائزة عقلا . وليس في العقل ما يحيلها .

والدليل على جوازها في الدنيا سؤال موسى عليه السلام لها، ومحال أن يجهل نبي ما يجوز على الله وما لا يجوز عليه، بل لم يسأل إلا جائزا غير مستحيل، ولكن وقوعه ومشاهدته من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله. فقال الله له:﴿لن تراني ﴾ [1] أي لن تطيق ولا تحتمل رؤيتي [2] ثم ضرب الله مثلا مما هو أقوى من بنيته وأثبت وهو الجبل. وكل هذا ليس فيه ما يحيل رؤيته في الدنيا، بل فيه جوازها على الجملة. وليس في الشرع دليل قاطع على استحالتها ولا امتناعها.

إذ كل موجود فرؤيته جائزة غير مستحيلة. وقد استدل المانعون بأدلة منها قوله سبحانه ﴿لا تدركه الأبصار﴾ [3] ولا حجة لهم فيها، إذ أقوال العلماء في الآية مختلفة بل إن بعض العلماء استدل بها على جواز الرؤية وعدم استحالتها في الجملة . ونفي الإدراك قيل المقصود به أبصار الكفار.

وقيل المراد بقوله :﴿ لا تدركه الأبصار﴾ أي لا تحيط به. وهو قوله ابن عباس [4] وكذا قوله سبحانه لن تراني ليس نفيا للرؤية بإطلاق .

ونقل القاضي عن بعض السلف والمتأخرين تعليلهم القول بعدم إمكان رؤية الله في الدنيا. وأن ذلك راجع لضعف تركيب أهل الدنيا وقواهم أما في الآخرة فلهم تركيب

---

[1] سورة الأعراف أية (١٤٣)

[2] والنفي في الآية يفهم منه المنع حال سؤال موسى، أما أصل الرؤية فلم يرد في الآية نفيه، إذ لم يقل سبحانه " إني لا أرى "

[3] سورة الأنعام آية (١٠٣)

[4] نقل ابن كثير عن العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله : لا يحيط بصر أحد بالملك. (انظر تفسير ابن كثير ١٦١/٢)

آخر، ويرزقون قوة باقية، ويتم الله أنوار قلوبهم وأبصارهم فيتمكنون من الرؤية ويقدرون عليها.

ونقل عن مالك رحمه الله قوله: لم ير في الدنيا لأنه باق ولا يرى الباقي بالفاني فإذا كان في الآخرة ورزقوا أبصارا باقية رئي الباقي بالباقي.

وعقب القاضي على هذا بأنه لا دليل فيه على الاستحالة، ومتى ما أقدر الله عبدا من عبادة على حمل أعباء الرؤية لم تمتنع في حقه. ولا مرية في الجواز إذ ليس في الآيات نص بالمنع.[1] [2]

---

[1] وذهب الجمهور من السلف والخلف إلى أن رؤية الله تبارك وتعالى لا تقع في الدنيا.

ففي معرض رد الإمام أبي سعيد الدارمي على الجهمية ، يقر بأن الله لم ير ولا يرى في الدنيا، فيقول : وأنتم وجميع الأمة تقولون له : إنه لم يرى ولا يرى في الدنيا، وما تعجبون من أن كان الله ولا شيء من خلقه، ثم خلق الخلق ثم استوى على عرشه فوق سماواته واحتجب من خلقه بحجب النار والظلمة كما جاء في الآثار، ثم أرسل إليهم رسله يعرفهم نفسه بصفاته المقدسة، ليبلوا بذلك إيمانهم أيهم يؤمن به ويعرفه بالغيب ولم يره..، ولو قد تجلى لهم لآمن به من في الأرض جميعاً بغير رسل ولا دعاة، ولم يعصوه طرفه عين. (انظر الرد على الجهمية ص ١٠٥).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: أئمة أهل السنة متفقون على أن الله لا يراه أحد بعينه في الدنيا، ولم يتنازعوا إلا في نبينا محمد صلى الله عليه وسلم (انظر الفتاوى لابن تيمية ٤٨٩/٥ ؛ قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لابن تيمية ص ٢٨). وفي معرض رده على قوم يدعون أنهم يرون الله بأبصارهم في الدنيا وأنهم يحصل لهم بغير سؤال ما حصل لموسى عليه السلام فقال: أجمع سلف الأمة وأئمتها على أن المؤمنين يرون النبي صلى الله عليه وسلم ..، ومن قال من الناس أن الأولياء وغيرهم يرى الله بعينه في الدنيا فهو مبتدع ضال مخالف للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، ولا سيما إذا دعوا أنهم أفضل من موسى عليه السلام. (أنظر الفتاوى لابن تيمية ٥١٢/٦)=

= وقال ابن القيم : والمنحرفون في باب الرؤية نوعان أحدهما: من يزعم أنه يرى في الدينـــا ويحـــاضر ويسافر، والثاني من يزعم أنه لا يرى في الآخرة البتة، ولا يكلم عباده، وما أخبر الله به ورسوله وأجمع عليه الصحابة والأئمة يكذب الفريقين. (انظر حادي الأرواح لابن القيم ص ٣٢).

(٢) انظر الشفا ١/١٧٣-١٧٤.

المبحث الثاني
رؤية النبي صلى الله عليه وسلم
لربه واختلاف العلماء في ذلك

ذكر القاضي رحمة الله اختلاف السلف في هذه المسألة. وحصر أقوالهم فيها في ثلاثة مذاهب.

الأول : إنكار الرؤية، ومن القائلين به عائشة رضى الله عنها كما ثبت في صحيح مسلم عنها أنها قالت لمسروق: ثلاث من حدثك بهن فقد كذب: من حدثك أن محمدا رأى ربه فقد كذب، ثم قرأت : ﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ﴾ [1] [2].

وهذا القول هو المشهور عن ابن مسعود وأبي هريرة [3].

الثاني : أنه محمد صلى الله عليه وسلم رأى ربه بقلبه [4].

---

[1] سورة الأنعام آية (١٠٣)

[2] واستدلت أيضا بقوله سبحانه (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم)- سورة الشورى آية (٥١)-والحديث أخرجه البخاري في كتاب التفسير ح (٤٨٥٥) ومسلم في كتاب الإيمان ح (١٧٧).

[3] لم يرو عن ابن مسعود وأبي هريرة رضي الله عنهما نفي الرؤية، ولعل نسبة القول إليها أخذت من تفسيرهما لآية النجم بأنها بين محمد صلى الله عليه وسلم وجبريل عليه السلام. (انظر تفسير ابن كثير ٤/٢٧٠، ٢٧١).

[4] قال الحافظ ابن حجر المراد برؤية الفؤاد رؤية القلب لا مجرد حصول العلم لأنه صلى الله عليه وسلم كان عالما بالله على الدوام بل مراد من أثبت له أنه رآه بقلبه أن الرؤية التي حصلت له خلقت في قلبه كما يخلق الرؤية بالعين لغيره، والرؤية لا يشترط لها شيء مخصوص عقلاً، ولو جرت العادة بخلقها في العين (انظر فتح الباري لابن حجر ٨/١٠٨).

وقال ابن جرير الطبري في تفسيره : واختلف أهل التأويل في الذي رآه فؤاده فلم يكذبه فقال بعضهم : الذي رآه فؤاده رب العالمين. وقالوا : جعل بصره في فؤاده، فرآه بفؤاده ولم يره بعينه، (انظر تفسير الطبري ٢٧/٧).

وقال الإمام أبو الحسن الواحدي : رأى بقلبه ربه رؤية صحيحة ، وهو أن الله تعالى جعل بصره في فؤاده، أو خلق لفؤاده بصرا حتى رأى ربه رؤية صحيحة كما يرى بالعين. (انظر شرح صحيح مسلم للنووي ٣/٦). وممن يرجح القول بعدم الرؤية البصرية وإثبات الرؤية القلبية شيخ الإسلام ابن تيمية حيث يقول : وأما الرؤية فالذي ثبت في الصحيح عن ابن عباس أنه قال رأى محمد ربه بفؤاده مرتين ، وعائشة أنكرت الرؤية ، فمن الناس من جمع بينهما فقال : عائشة أنكرت رؤية العين وابن عباس أثبت رؤية الفؤاد ، والألفاظ الثابتة عن ابن عباس هي مطلقة أو مقيدة بالفؤاد ، وتارة يقول رأى محمد وبه=

وهذا القول مروى عن ابن عباس[1] من طريق عطاء عن ابن عباس أنه رآه بقلبه[2].

= وتارة يقول رآه محمد، ولم يثبت عن ابن عباس لفظ صريح بأنه رآه بعينه. وكذلك الإمام أحمد تارة يطلق الرؤية، وتارة يقول بفؤاده...، وليس في الأدلة ما يقتضى أنه رآه بعينه ولا ثبت عن أحد من الصحابة ولا في الكتاب والسنة ما يدل على ذلك بل النصوص الصحيحة على نفيه أدل ، كما في صحيح مسلم عن أبي ذر قال: سألت رسول الله - صلى الله عليه ولم - هل رأيت ربك ؟ فقال نور أني أراه. (انظر الفتاوى لابن تيمية ٥٠٩/٦؛ ٢٥١/٥).

وقد جزم شارح الطحاوية بأن معنى قوله صلى الله عليه وسلم في حديث أبي ذر: (نور أنى أراه) النور الذي هو الحجاب يمنع من رؤيته فأنى أراه. أي: كيف أراه وهو حجاب بين وبينه يمنعني من رؤيته ؟ ثم قال : فهذا صريح في نفي الرؤية والله أعلم. (انظر شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ٢٠٩/١).

وممن يميل إلى ترجيح النفي أيضاً الإمام أبو القاسم الالكائي فقد عقد بابا بعنوان: سياق ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قد رأى ربه. وبعد أن انتهي من سرد الأدلة وأقوال العلماء عقب عليها بقوله تعالى (لا تدركه الأبصار) الأنعام الآية (١٠٣). ثم أعقبها بأقوال النافين لها بأن معنى الآية نفي وقوع الرؤية في الدنيا. (انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ٥١٢/٣).

قلت : والذي يظهر- والله أعلم - أن حمل اللفظة على ظاهرها المجرد من أن الرؤية حصلت بالفؤاد حقيقة، وتكلف القول بخلق البصر بالفؤاد أمر بعيد، فما المانع لمن جوز الرؤية أن يجعلها رؤية بصرية وأن تمكنه من ذلك إنما حصل بتمكين الله له. كيف وقد اشتمل الإسراء والمعراج على آيات عظيمة خاصة وأن التصريح برؤية العين وقع في روايات عديدة، ويمكن على هذا حمل اللفظة في قوله " بفؤاده" على أنه عاقل لتلك الرؤية مستحضر لها وليست بأضغاث أحلام أو من شطحات الخيال - الباحث-

[1] الاختلاف على ابن عباس في الرؤية كبير لتعدد الطرق المروية عنه في ذلك ويمكن تصنيف الروايات عنه في الأقسام التالية:

أ) من ذكر رؤية واحدة مطلقة.

ب) من ذكر رؤية واحدة مقيدة بالقلب أو الفؤاد.

ج) من ذكر رؤية واحدة مقيدة بالبصر.

د) من ذكر رؤيتين مطلقتين.

ه) من ذكر رؤيتين مقيدتين بالفؤاد أو القلب. =

وعن أبى العالية عنه أنه رآه : بفؤاده مرتين [٣].

وروى عبد الله بن الحارث قال : اجتمع ابن عباس وكعب فقال ابن عباس : أمـــا نحـــن بنو هاشم فنقول : إن محمد قد رأى ربه مرتين ، فكبر كعب حتى جاوبته الجبال وقال : إن الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فكلمه موسى، ورآه محمد بقلبه [٤].

وعن محمد بن كعب القرظي وربيع بن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم ســـئل : هل رأيت ربك ؟ قال : رأيته بفؤادي ولم أره بعيني[٥].

وهذا القول مروى عن الإمام أحمد رحمه الله [٦].

=و) من ذكر رؤيتين واحدة ببصره وواحدة بفؤاده.

والعلماء تجاه هذا الاختلاف على رأيين :

فمنهم من يرى حمل المطلق على المقيد ويرى أن الرؤية حصلت بالفؤاد. كشيخ الإسلام ابن تيمية كمـــا في الفتاوى ٥٠٧/٦ وابن كثير كما في تفسيره ٢٥٠/٤ وهو رأى الحافظ ابن حجر فـــي فتـــح البـــاري ٦٠٨/٨. ولكن يضعف هذا القول القسم الثالث من الروايات عن ابن عباس وهي التي قيـــدت الرؤيـــة بالبصر. وسندها صحيح.

ومن العلماء من يرجح أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى ربه عز وجل مرتين مـــرة ببصـــره ومـــرة بفؤاده منهم ابن حجر رحمه الله ، والله أعلم بالصواب(انظر الغنية في مسألة الرؤية لابن حجـــر ت. د. محمد التركي)

[٣] أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ح (١٧٦)

[٤] أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ح (١٧٦)

[٥] أخرجه الحاكم في المستدرك ٥٧٥/٢-٥٧٦، والطبري في تفسيره ٥١/٢٧.

[٥] أخرج الطبري في تفسيره من طريق محمد بن كعب القرظى عن بعض أصحاب النبـــي صلـــى الله عليه وسلم قال : قلنا يا نبي الله هل رأيت ربك ؟ قال: لم أره بعيني ورأيته بفؤادي مرتين ثم تلا (ثم دنـــا فتدلى) وسنده ضعيف فيه موسى بن عبيدة الربذي ضعيف لا يحتج به. انظر تفسير الطبري ٤٦/٢٧.

[٦] اختلف النقل عن أحمد في هذه المسألة يقول شيخ الإسلام : الإمام أحمد تارة يطلق الرؤيـــة، وتـــارة يقول رآه بفؤاده، ولم يقل أحد إنه سمع أحمدا يقول رآه بعينه، لكن طائفة من أصحابه ســـمعوا بعـــض كلامه ففهموا منه رؤية العين كما سمع بعض الناس مطلق كلام ابن عباس ففهم منه رؤية العين (انظـــر الفتاوى ٥٠٩/٦) ،وممن يرجح إثبات رؤية الرسول ربه في الدنيا الإمام ابن خزيمة حيث عقد في كتابـــه

الثالث : أنه رأى ربه بعينه. وهذا القول هو المشهور عن ابن عباس كما ورى عنه أنه قال: إن الله تعالى اختص موسى بالكلام وإبراهيم بالخلة ومحمدا بالرؤية[1].

وحجته قول الله سبحانه ﴿ أفتمارونه على ما يرى ولقد رآه نزلة أخرى﴾ [2].

وحكى هذا القول عن ابن مسعود وأبي هريرة وعكرمة [3] ، وحكى النقاش عن أحمد بن حنبل أنه قال : أنا أقول بحديث ابن عباس بعينه رآه حتى انقطع نفسه - يعنى نفس أحمد [4].

وبهذا قال أبو الحسن الأشعري وجماعة من أصحابه أنه رأى الله تعالى ببصره وعيني رأسه وقال: كل آية أوتيها نبي من الأنبياء عليهم السلام فقد أوتى مثلها نبينا. وخص من بينهم بتفضيل الرؤية .

ولم يرجح القاضي رحمه الله أيا من الأقوال السابقة، بل جوز الأمرين بلا قطع. حيث قال: ولا مرية في الجواز - أي رؤية الله في الدنيا - إذ ليس في الآيات نص

التوحيد بابا عنونه بأن الله تعالى خص نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بالرؤية كما خص نبيه موسى بالكلام ، وساق بالأسانيد ما ورد في الباب من أحاديث وآثار مثبتة أطنب في مناقشتها والتعليق عليها منتصراً في ذلك للإثبات ، حتى قال : فيكون الواجب من طريق العلم قبول خبر من أخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى ربه (انظر التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل ٥٦٣/٢)

وكذا الإمام النووي في ظاهر كلامه حيث يقول : والحاصل أن الراجح عند أكثر العلماء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعيني رأسه ليلة الإسراء والمعراج لحديث ابن عباس وغيره مما تقدم . ومثل هذا لا يأخذونه إلا بالسماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا مما لا ينبغي أن يتشكك فيه. (انظر شرح مسلم للنووي ٥/٣) .

[1] أخرجه ابن أبي عاصم في السنة ١٩٢/١ ح (٤٤٢) والنسائي في السنن الكبرى ٤٧٢/٦ ح (١١٥٣٩) والحاكم في المستدرك ٢٦٤/١ ح (٤٦٩) وقال : هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجه.

[2] سورة النجم آية (١٢-١٣)

[3] انظر الحاشية السابقة رقم (١) وأما نسبة القول لعكرمة فهي عند الطبري في تفسيره ٢٧ /٤٨.

[4] انظر الحاشية السابقة رقم (٦) ، ص ١٠٣ .

بالمنع، وأما وجوبه لنبينا صلى الله عليه وسلم والقول بأنه رآه بعينه، فليس فيه قاطع أيضاً ولا نص إذا المعول فيه على آيتي النجم، والتنازع فيهما مـــأثور، والاحتمـــال لهما ممكن ، ولا أثر قاطع متواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك.[1] [2]

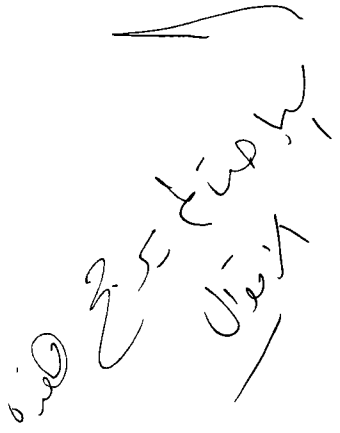

---

(١)لعل الحامل لورود التنازع في المسألة الروايات المتكاثرة فيها، أما آيتي النجـــم فالاحتمـــال فيـــهما وارد، وحتى لو حملت على رؤية جبريل كما هو قول طائفة من أهل العلـــم إلا أن المســـألة تبقـــى مشكلة والاجتهادات فيها متفاوتة .

وممن ذهب إلى التوقف الإمام القرطبي ، بل عزاه لجماعة من المحققين وأنه ليس فـــي البـــاب دليـــل قاطع، وغاية ما ستدل به للطائفتين ظواهر متعارضة قابلة للتأويل، وقال: ليست المسألة من العمليـــات فيكتفى فيها بالأدلة الظنية، وإنما هي من المعتقدات فلا يكتفي فيها إلا بالدليل القطعي (انظر فتح البـــاري لابن حجر ٨/٤٩٤).

(٢) انظر الشفا ١/١٧٤.

المبحث الثالـــث

رؤيـــة الله تعالى في الآخرة

ذكر القاضي رحمه الله أن مذهب أهل السنة بأجمعهم جواز رؤية الله عقلا ووجوبها في الآخرة للمؤمنين سمعاً ، نطق بذلك الكتاب العزيز[1] وأجمع عليه سلف الأمة [2]، ورواه بضعة عشر من الصحابة بألفاظ مختلفة عن النبي صلى الله

---

[1] كما في قوله سبحانه (وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة) سورة القيامة الآيات (٢٢، ٢٣) وقوله سبحانه (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) سورة المطففين آية (١٥) فلما حجب الفجار عن رؤيته دل على أن الأبرار يرونه وإلا لم يكن بينهما فرق (انظر لمعة الاعتقاد ص ٨٦-٨٧)

[2] وممن حكى الإجماع على هذا عثمان بن سعيد الدرامي حيث قال بعدما ذكر الأحاديث والآثار التي في الرؤية فهذه الأحاديث كلها أو أكثر منها قد رويت في الرؤية على تصديقها والإيمان بها. أدركنا أهل الفقه والبصر من مشايخنا ولم يزل المسلمون قديما وحديثا يروونها، ويؤمنون بها ولا يستنكرونها ولا ينكرونها ... ولقد صحت الآثار عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم - فمن بعده من أهل العلم، وكتاب الله الناطق به، فإذا اجتمع الكتاب وقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - وإجماع الأمة لم يبق لمتأول عندها تأول إلا لمكابر أو جاحد. (انظر الرد على الجهمية للدارمي ، ص ١٠٣).

ومنهم أبو الحسن الأشعري. فيقول وما روى عن أحد منهم : أن الله لا تراه الأبصار في الآخرة، فلما كانوا على هذا مجمعين ، به قائلين ثبتت الرؤية إجماعاً. (انظر الإبانة للأشعري ص ٧٦).

ومنهم عبد القاهر البغدادي فيقول : وأجمع أهل السنة على أن الله تعالى يكون مرئياً للمؤمنين في الآخرة وقالوا بجواز رؤيته في كل حال ولكل حي من طريق العقل، ووجوه رؤيته للمؤمنين خاصة في الآخرة من طريق الخبر، وهذا خلاف قول من أحال رؤيته من القدرية والجهمية، وخلاف قول من زعم أنه يرى في الآخرة بحاسة سادسة، كما ذهب ضرار ، وخلاف قول من زعم أن الكفرة يرونه كما قال بن سالم البصري . (انظر الفرق بين الفرق للبغدادي ٣٢٥).

ومنهم أبو شامة المقدسي فيقول : أطبق أهل السنة على أن الله يرى بالأبصار في الدار الآخرة. (انظر ضوء السارى إلى معرفة رؤية الباري لأبي شامة ص ٢٨).

ومنهم العلامة محي الدين النووي حيث قال: اعلم أن مذهب أهل السنة بأجمعهم أن رؤية الله تعالى ممكنة غير مستحيلة عقلاً، وأجمعوا أيضا على وقوعها في الآخرة، وأن المؤمنين يرون الله تعالى=

عليه وسلم خلافا للمعتزلة والخوارج وبعض المرجئة، إذ نفوا ذلك عقلا بناء على شروط يشترطونها .

وقد تأولت المعتزلة بعض النصوص في الرؤية كخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن رؤية المؤمنين لربهم سبحانه في الآخرة وتشبيهها في الوضوح ورفع الشك بقوله صلى الله عليه وسلم : " كما ترون القمر" . فتأولت المعتزلة الرؤية هنا

=دون الكافرين.. وقد تضافرت أدلة في الكتاب والسنة وإجماع الصحابة فمن بعدهم من سلف الأمة على إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة للمؤمنين . (انظر شرح مسلم للنووي ١٥/٣).

ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية عندما ذكر بعض الفرق التي تنكر الرؤية فيقول : وخالفوا بذلك ما تواترت به السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم وما اتفق عليه الصحابة وأئمة الإسلام من أن المؤمنين يرون ربهم في الآخرة ، ويؤكد في بعض كتبه على ثبوت الرؤية إستناداً إلى آيات القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وإجماع السلف الصالح مع دلالة العقل عليها. (انظر الفتاوى لابن تيمية ٤٦٩/٦ ؛ منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٧٦/٢).

ومنهم ابن القيم حيث قال وقد دل القرآن والسنة المتواترة وإجماع الصحابة وأئمة الإسلام، وأهل الحديث عصابة الإسلام ونزل الإيمان وخاصة رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن الله سبحانه وتعالى يرى يوم القيامة بالأبصار عياناً كما يرى القمر ليلة البدر وكما ترى الشمس في الظهيرة . وقال في موضع آخر من مؤلفاته : إن الصحابة رضي الله عنهم والتابعين وجميع أهل السنة والحديث كالأئمة الأربعة وأهل الاستقامة من أتباعهم متفقون على أن المؤمنين يرون وجه ربهم في الجنة. (انظر حادي الأرواح لابن القيم ص ٢٤٥، مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم ، اختصرها الموصلي ص ٣٣٩).

ومنهم السفاريني ، فيقول : إنه سبحانه ينظر بلأبصار في دار المقامة والقرار باتفاق أئمة الدين وسلف الأئمة الأخيار وأجمع عليه أهل الحق وسلف الأمة وأهل الصد وأعلام الأئمة من رؤية رب العالمين ، واتفق الأنبياء والمرسلون والصحابة والتابعون وأئمة السلف على ثبوتها في دار القرار من غير شك ولا إنكار ، والحاصل أن رؤية الرب جل جلاله في الموقف حاصلة حتى لمنافقي الأمة على الأصح ، أما الرؤية في الجنة فأجمع أهل السنة أنها حاصلة للأنبياء والرسل والصديقين من كل أمة ، ورجال المؤمنين من البشر من هذه الأمة واختلف في غيرهم (انظر لوامع الأنوار البهية للسفارينى ٢٤٠/٢ومابعدها).

بالعلم. وأن المؤمنين يعرفون الله يوم القيامة وهذا خطأ لأن رؤية العلم تتعدى إلى مفعولين ، ورؤية العين إلى واحد ، وكذا هاهنا.

ولأن تمثيلها برؤية القمر وهي رؤية عين دليل على أنها رؤية عين كذلك ولأن اختصاص المؤمنين بها دليل على أنها غير العلم . إذ الكفار مشاركون للمؤمنين في العلم [1] .

ولأن الأثبات رووه " ترون ربكم عيانا ". وأما قول النبي صلى الله عليه وسلم "وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه" فهو من قبيل الاستعارة فإن النبي استعار لعظيم سلطان الله وكبريائه وعظمته وهيبته وجلاله المانع من إدراك أبصار البشر ذاته، لضعفها عن ذلك حتى إذا شاء ذلك قوى أبصارهم وثبت عقولهم وشجع أنفسهم وربط على قلوبهم وكشف عنهم حجب هيبته وموانع عظمته فاحتملوا رؤيته واستقروا لمشاهدته فعبر عن ذلك برداء الكبرياء. [2] [3]

---

[1] قال الشيخ محمد بن عثيمين في شرحه للمعة الاعتقاد : العلم واليقين حاصل للأبرار في الدنيا، وسيحصل للفجار في الآخرة (انظر اللمعة بشرح الشيخ ص ٨٨)

[2] والقاضي رحمه الله في هذه المسألة خالف المنهج الذي سار عليه في تقرير أصلها وهي الرؤية. وقد وقع فيما انتقد فيه المعتزلة من التأويل، والقول بالاستعارة في هذه اللفظة. والأصل أن دلالات الكتاب والسنة في الأسماء والصفات تؤخذ على ظاهرها ويؤمن العبد بها دون سعي بصرفها عن الظاهر مع عدم القول بالتمثيل أو التكييف أو التشبيه أو إلزام القول لوازم لم يتعرض لها الشارع. كما نقل عن غير واحد من السلف : أمروها بلا كيف كما جاءت.

[3] انظر إكمال المعلم للقاضي عياض ١/٥٤٠-٥٤٤.

الباب الثاني

معجزات الأنبياء

ويشتمل على فصلين

الفصل الأول: المعجزات والكرامة

الفصل الثاني: المعجزات المعنوية والحسية

الفصـــل الأول

المعجـــزات والكـــرامـــات

وفيـــه خمســـة مباحـــث :

المبحث الأول : في تسمية آيات الأنبياء وبراهينهـــــم .

المبحث الثاني : إثبات المعجـــزات والرد على منكريها .

المبحث الثالث : إثبـــات الكـــرامـــات .

المبحث الرابع : التفريق بين معجـــزات الأنبياء وكرامات الأولياء

المبحث الخامس : الفرق بين المعجـــزة والسحـــر .

المبحث الأول

في تسمية آيات الأنبياء وبراهينهم

ذكر القاضي رحمه الله أن الله عز وجل قادر على خلق المعرفة في قلوب عباده، والعلم بذاته وصفاته، وجميع تكليفاته ابتداء دون واسطة لو شاء. كما حكى عن سنته في بعض الأنبياء وذكره بعض أهل التفسير في قوله:﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا﴾.[1]

وجائز أن يوصل إليهم جميع ذلك بواسطة تبلغهم كلامه وتكون تلك الواسطة إما من غير البشر كالملائكة مع الأنبياء أو من جنسهم كالأنبياء مع الأمم، ولا مانع لهذا من دليل العقل. وإذا جاز هذا ولم يستحل وجاءت الرسل بما دل على صدقهم من معجزاتهم وجب تصديقهم في جميع ما أتوا به[2]. لأن المعجزة مع التحدي من النبي صلى الله عليه وسلم قائم مقام قول الله : صدق عبدي ، فأطيعوه ،

---

[1] سورة الشورى الآية (٥١)

[2] قال ابن تيمية رحمه الله : والآيات والبراهين ....ويسميها من يسميها من النظار معجزات، وتسمى دلائل النبوة وأعلام النبوة ونحو ذلك وهذه الألفاظ إذا سميت بها آيات الأنبياء كانت أدل على المقصود من لفظ المعجزات ولهذا لم يكن لفظ (المعجزات) موجودا في الكتاب والسنة، وإنما فيه لفظ (الآية) و (والبينة) و (البرهان).

وأما لفظ المعجز، فإنما يدل على أنه أعجز غيره كما قال تعالى ((وما هم بمعجزين))... وهذا اللفظ لا يدل على كون ذلك آية ودليلاً إذا فسر المراد به، وذكر شرائطه ولهذا كان كثير من أهل الكلام لا يسمى معجزا إلا ما كان للأنبياء فقط، وما كان للأولياء إن أثبت لهم خرق عادة سماها كرامة. والسلف – كأحمد وغيره – كانوا يسمون هذا وهذا معجزا ويقولون لخوارق الأولياء إنها معجزات، إذا لم يكن في اللفظ ما يقتضي اختصاص الأنبياء بذلك (الجواب الصحيح لابن تيمية، تحقيق علي ناصر وصاحبيه ، نشر دار العاصمة ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤ هـ ٤/٦٧-٧٠)

وقال أيضا : ولهذا لم يسمها الله في كتابه إلا آيات وبراهين، فإن ذلك اسم يدل على مقصودها ويختص بها لا يقع على غيرها، لم يسمها معجزة ولا خرق عادة وإن كان ذلك من بعض صفاتها، فهي لا تكون = آية وبرهانا حتى تكون قد خرقت العادة وعجز الناس عن الإتيان بمثلها، لكن هذا بعض صفاتها

واتبعوه [1]. والمراد بالمعجزة أن الخلق عجزوا عن الإتيان بمثلها[2]. ويمكن تقسيمها إلى نوعين:

١- ما هو واقع تحت قدرة البشر ولكن الله يصرفهم عن فعله كصرفهم عن تمني الموت.

٢- ما هو خارج عن قدرة البشر ، كإحياء الموتى.[3]

وشرط فيها وهو من لوازمها لكن شرط الشيء ولازمه قد يكون أعم منه (النبوات لابن تيمية ص ٢٢٠).

[1] التحدي يكون على وجهين : الأول : التحدي الحقيقي الصريح وهو المطالبة بالمثل، وقد أنكر هذا ابن تيمية رحمه الله . فإن المعجزة تثبت وإن لم يصرح بطلب المثل.

الثاني : التحدي الحكمي وهو إظهار الدليل على الدعوى فإنه ينزل منزلة التحدي الصريح وإن لم يصرح بذلك.

يقول ابن تيمية : والله تعالى لم يقل (فليأتوا بحديث مثله) إلا حين قالوا: افتراه ، لم يجعل هذا القول شرطا في الدليل (النبوات لابن تيمية ص ١٥٢)

[2] المعجزة في اللغة : من العجز الذي هو نقيض الحزم، عجز عن الأمر يعجز وعجز عجزاً ، والمعجزة ، بفتح الجيم وكسرها، مفعلة من العجز عدم القدرة.

والتعجيز : التثبيط ، ومعنى الإعجاز الفوت والسبق. يقال : أعجزني فلان أي فاتني ،وقد يكون أيضا من العجز. يقال : عجز يعجز عن الأمر إذا قصر عنه والمعجزة : واحدة معجزات الأنبياء، عليهم السلام. (انظر لسان العرب لابن منظور، مادة : عجز) . وبالنظر في كلام شيخ الإسلام وغيره من الأئمة رحمهم الله يمكن أن نعرف المعجزة بأنها: أمر خارق للعادة يجريه الله على يد النبي مجردا عن الأسباب المعتادة على وجه يفوق طاقات العباد مقروناً بالتحدي ضمنا. وأما شروطها فهي :

١- أن تكون بإذن الله ومنه سبحانه، فليس للنبي إلا الدعاء. يقول سبحانه : (وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله) (الرعد أية ٣٨)

٢- أن تكون خارقة للعادة المألوفة في الكون من غير ارتباط بالأسباب المعروفة للبشر إذ لو كانت معروفة الأسباب لم تكن خارقة للعادة.

٣- أن يتحدى بها النبي قومه وهو التحدي الحكمي فليس التحدي الصريح شرطا فيها فالتحدي يفهم من واقع الحال والمقام عند دعوى النبي وظهور المعجز.

٤- أن لا يكون معارضتها بمثلها وعلى الوجه الذي وقع التحدي به في أي زمان أو مكان وهذا حقيقة الإعجاز فيها وهو مطابقة اسمها لمسماها.

٥- أن لا تكون متقدمة على دعوى النبوة بل مقارنة لها أو بعدها على أن تكون في حياة النبي، فما كان خارجا عن ذلك فهو من دلائل النبوة وعلاماتها. (انظر الجواب الصحيح لابن تيمية ، ٤/ ٦٧،٦٩، ٧٠،٢٥١،٢٥٤، النبوات لابن تيمية ص ١٢).

(٣) انظر الشفا للقاضي عياض ١/ ٢٢١ - ٢٢٣.

المبحث الثاني

إثبات المعجزات والرد على منكريها

تعددت معجزاته عليه الصلاة والسلام، وسلَّم بإعجازها المناوئون.

ومعجزاته صلى الله عليه وسلم أظهر من سائر معجزات الرسل وذلك لوجهيـــن :

١- كثرة معجزاته،وأنه لم يؤت نبي معجزة إلا وعند نبينا مثلها أو ما هو أبلغ منها.

٢- وضوحها ، فإن معجزات الرسل كانت بقدر أهل زمانهم وبحسب العلم الذي سما فيه أهل قرنه.

فموسى بعث في قوم غاية من السحر فأعطى معجزة أبطلت سحرهـــم.

وكذلك زمن عيسى أغنى ما كان الطب ، فأتاهم بأمر لا يقدرون عليـــه مـــن إحياء الميت وإبراء الأكمة والأبرص .

وبعث محمد صلى الله عليه وسلم في قوم علومهم أربعة : البلاغة ، والشـــعر والخبر والكهانة ، فأنزل عليه القرآن الكريم الخارق لهذه الأربعة كلها .

ثم إن معجزات الأنبياء انقرضت بانقراضهم ، ومعجزة نبينا محمد صلـــى الله عليه وسلم لا تبيد ولا تنقطع ، وآياته تتجدد ولا تضمحل [١].

ولهذا أشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: " ما من الأنبياء، نبي إلا أعطـــي مـــن الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله إلي، فـــأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة" [٢].

ومع تأييد النبي صلى الله عليه وسلم بآية الوحي العظيمة ، أيد بآيات أخـــرى، تواتر النقل في بعضها، ولم يرفضها أو يكذب بها إلا مكابـــر.

---

[١] يقول الله عز وجل : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) سورة الحجر آية (٩)

[٢] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب فضائل القرآن ح (٤٩٨١) ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمـــان ح (١٥٢)

فمن ذلك ما حصل من انشقاق القمر حين سأل المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر فرقتين حتى رأوا حراء بينهما[1].

وفي رواية فقال كفار قريش: سحركم ابن أبي كبشة. فقال رجل منهم: إن محمداً إن كان سحر القمر فإنه لا يبلغ من سحره أن يسحر الأرض كلها، فاسألوا من يأتيكم من بلد آخر: هل رأوا هذا ؟ فأتوا، فسألوهم فأخبروهم أنهم رأوا مثل ذلك. وفي رواية: فقال أبو جهل: هذا سحر فابعثوا إلى أهل الأفاق حتى تنظروا: أرأوا ذلك أم لا ؟ فأخبر أهل الأفاق أنهم رأوه منشقا فقالوا – يعني الكفار – : هذا سحر مستمر.

ومن ذلك ما حصل لرسول الله صلى الله عليه وسلم في مواطن عديدة من نبع الماء من بين أصابعه ، وتكثيره ببركته . والأحاديث في هذا كثيرة جداً .

فمنها حديث أنس بن مالك رضى الله عنه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت صلاة العصر فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوا فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الإناء يده ، وأمر الناس أن يتوضئوا منه قال : فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه ، فتوضأ ، حتى توضؤا من عند آخرهم .

وفي رواية : قال : كم كنتم ؟ قال : كنا زهاء ثلاثمائة .

وفي رَوايَة : ثمانين ، وفي أخرى : وهم نحو من سبعين رجلا [2].

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه تفسير القرآن من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ح (٤٨٦٤)ومسلم في صحيحه ، كتاب صفة القيامة ح (٢٨٠٠)

[2] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب ح (٣٥٧٣) ومسلم في صحيحه كتاب الفضائل ح (٢٢٧٩)

ومنها حديث ابن مسعود رضى الله عنه قال : بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس معنا ماء فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم " اطلبوا من معه فضل ماء " فأتي بماء فصبه في إناء ثم وضع كفه فيه ، فجعل الماء ينبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم[1].

وفي الصحيح عن جابر في عطش الناس يوم الحديبية. وفيه فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون. وفيه فقيل له كم كنتم ؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا. كنا خمس عشرة مائة [2].

ومثل هذه المواطن الحفلة والجموع الكثيرة ، التي يذكر وقوع هذه الحوادث فيها من أقوى الأدلة على ثبوتها ، إذ تحديث البعض عنها وعدم وجود إنكار من الناس لما حدثوا به. دليل على قطعيتها وتصديق الجميع بها.

وشبيه بهذا من المعجزات النبوية ما حصل من تكثير الطعام ببركته عليه الصلاة والسلام ودعائه.

كما روى من حديث جابر رضى الله عنه أن رجلاً أتي النبي صلى الله عليه وسلم يستطعمه ، فأطعمه شطر وسق شعير ، فمازال يأكل منه وامرأته وضيفه حتى كاله . فأتي النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فقال : " لو لم تكله لأكلتم منه ولقام بكم " [3].

ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن أبي بكر رضى الله عنهما قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثين ومائة ، وذكر في الحديث أنه عجن صاعا من

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المناقب ح (٣٥٧٩)

[2] أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المناقب ح (٣٥٧٦) ومسلم في كتاب الإمارة (١٨٥٦)

طعام ، وصنعت شاة فشوى سواد بطنها ، قال : وأيم الله ما من الثلاثين ومائـه ، إلا وقد حز له حزة من سواد بطنها ثم جعل منها قصعتين فأكلنـا منـهما أجمعـون ، وفضل في القصعتين فحملته على البعير [1].

بل إن الطعام تجاوب مع النبي صلى الله عليه وسلم بأكثر من هذا كما أخـبر ابـن مسعود أنهم كانوا يسمعون تسبيح الطعام وهو يؤكل [2].

ومن ذلك ما نقل عنه صلى الله عليه وسلم من كلام الشجر واستجابته له . كمـا ورد في الصحيح من حديث جابر رضى الله عنه - الطويل- وفيه: ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضى حاجته فلم ير شيئاً يستتر به. فإذا بشجرتين في شاطئ الـوادي فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إحداهما فأخذ بغصن من أغصانها فقال : " انقادي على بإذن الله فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائـده " [3].

وفي حديث ابن مسعود رضى الله عنه : آذنت النبي صلى الله عليه وسلم بالجن ليلـة استمعوا له شجرة [4].

وقصة حنين الجذع لما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم القيام عليه حين صنـع له المنبر ، حتى سمع الصحـابة له صوتا كصوت العشـار وهى قصـة

---

[3] أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الفضائل ح (٢٢٨١)

[1] أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأطعمة ح (٥٣٨٢) ومسلم في ، كتاب الأشربة ح (٢٠٥٦).

[2] أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المناقب ح (٣٥٧٩) .

[3] أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الزهد والرقائق ح (٣٠١٤).

[4] أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المناقب ح (٣٧٥٩) ومسلم في كتاب الصلاة ح (٤٥٠).

مشهورة وخبرها متواتـــر [١].

وكذا ما حصل له من مواقف مع الجمادات كما في حديث جابر بـــن ســـمرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إني لأعرف حجرا بمكة كـــان يسلم على" [٢].

وعن أنس رض الله عنه قال : صعد النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكـــر وعمـــر وعثمان أحداً، فرجف بهم، فقال: أثبت أحد فإنما عليك نبي وصديـــق وشـــهيدان. [٣][٤]

---

[١] وردت القصة عن عدد من الصحابة كأنس وابن عمر وابن عباس وأبي بن كعب وسهل بـــن ســـعد وأبي سعيد رضي الله عنهم أجمعين. وانظر خبرها في صحيح البخاري في كتاب المنـــاقب ح (٣٥٨٥) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

[٢] أخرجه مسلم في كتاب الفضائل ح (٢٢٧٧)

[٣] أخرجه البخاري في كتاب المناقب ح (٣٦٧٥) ورواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنـــه في كتاب فضائل الصحابة ح (٢٤١٧).

(٤)انظر الشفا ١/٢٤٨-٢٧١؛٣٢١-٣٢٧

المبحث الثالـــث

إثبـــات الكرامـــات

ذكر القاضي رحمه الله عددا من الكرامات [1] التي حصلت لبعض صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فمن ذلك ما وقع لكثير من الصحابة من رؤية بعض الملائكة الذين أيد الله بهم رسوله في مغازيه ، وسماعهم لأصواتهم وزجرهم لخيولهم .

فقد رأى سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه عن يمين النبي صلى الله عليه وسلم وعن يساره جبريل وميكائيل في صورة رجلين عليهما ثياب بيض [2].

ورأى ابن عباس وأسامة وغيرهما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل في صورة دحية [3].

---

[1] قال ابن منظور :

التكريم والإكرام بمعنى، الاسم منه الكرامة. قال ابن بري، وقال أبو المثلم : (ومن لا يكرم نفسه لا يكرم)

وإكرام الرجل وكرَّمه : أعظمه ونزهه.

قال الأخفش : وقرأ بعضهم ومن يهن الله فما له من مكرَم، بفتح الراء إكرام.

والكرامة : اسم موضع للإكرام (انظر لسان العرب مادة : كرم)

فالكرامة بهذا المعنى اللغوي من الأسماء الجامعة فهي تطلق على كل إنعام حسي أو معنوي وهي ضد الإهانة ، وخير الإكرام ما كان من الله عز وجلّ.

وأما المراد بالكرامة في الإصلاح فهي: الأمر الخارق للعادة يجريه الله على يد عبد صالح له متبع للشرع، فإذا كان غير متبع للشرع فهو استدراج وإهانة. (انظر الأولياء والكرمات لأبي السمح ص ٣)

[2] أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب اللباس ح (٥٨٢٦) ومسلم في كتاب الفضائل ح (٢٣٠٦)

[3] حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما أن جبريل كان يأتي في صورة دحية " أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب فضائل القرآن ح (٤٩٨٠) ومسلم في كتاب فضائل الصحابة ح (٢٤٥١)

وأخرج الإمام أحمد بسند صحيح من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : كان جبريل يأتي النبي صلى الله عليه وسلم في صورة دحية مسند بن عمر ح (٥٥٩٢)

ورآه جماعة من صحابته في صورة رجل يسأل عن الإسلام والإيمان [١].

ورأى بعض الصحابة تطاير الرؤوس من الكفار ولا يرون الضارب وسمع بعضهم زجر الملائكة خليها يوم بدر [٢].

وكانت الملائكة تصافح عمران بن الحصين [٣].

ورأى ابن مسعود رضى الله عنه الجن وسمع كلامهم وشبههم برجال الزط [٤] [٥].

---

[١] أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ح (٨)

[٢] أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الجهاد والسير ح (١٧٦٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ولفظه : بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول : أقدم حيزوم ، فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقيا، فنظر فإذا هو قد خطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط فاخضر ذلك أجمع ، فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله صلى اله عليه وسلم فقال : صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة .

[٣] أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الحج ح (١٢٢٦). ولفظه : وكان يُسلَّم علي حتى اكتويت، فتُرِكتُ، ثم تَرَكتُ ، فعاد.

[٤] أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب الأمثال ح (٢٨٦١) وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه ، وانظر دلائل النبوة للبيهقي (٢/٢٣١).

[٥] انظر الشفا للقاضي عياض ، ١/٣١٦-٣١٨

المبحث الرابع

التفريق بين معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء

كما أن الساحر يتفق مع النبي في خرق العادة له ، مع تفاوت بينهما ، يحصل اتفاق فيمًا بين النبي والولي في خرق العادة أيضاً ويفترق الولي عن الساحر بأن ما يحصل له من خرق للعادة إنما هو من معجزات النبي وثمرات متابعته [١].

والمتتبع لكثير من كرمات الأولياء يجدها محتفة بالدعوة الأصلية لأنبيائهم وامتداداً لمعجزاتهم [٢].

ثم إن الولي لا يتحدى فيما يظهر على يديه ولا يستعجز به الخلق ، وما يصدر منه غير مقرون بدعوى النبوة أو نحو ذلك [٣].

وما يقع من الأولياء فإنه كثيراً ما يكون بالاتفاق من استدعاء أو شعور به.[٤]

---

[١] قال شيخ الإسلام : وقد ذكر غير واحد من العلماء أن كرمات الأولياء معجزات لنبيهم وهي من آيات نبوته، وهذا هو الصواب كقصة أبي مسلم الخولاني وغيره مما جرى لهذه الأمة من الآيات، ومثل ما كان يظهر على أيدي الحواريين وعلى يد موسى واتباعه (النبوات لابن تيمية ص ١٣٠) .

[٢] قال شيخ الإسلام رحمه الله : كرامات الأولياء هي من آيات الأنبياء فإنها مختصة بمن شهد لهم بالرسالة، وكل ما استلزم صدق الشهادة بنبوتهم فهو دليل على صدق الشهادة سواء كان الشاهد بنبوتهم المخبر بها هم أو غيرهم ، بل غيرهم إذا أخبر بنبوتهم وأظهر الله على يديه ما يدل على صدق هذا الخبر كان أبلغ في الدلالة على صدقهم من أن يظهر على أيديهم. (النبوات لابن تيمية ص ١٥٢)

[٣] قال ابن تيمية رحمه الله : وأما كرامات الأولياء فهي أيضا من آيات الأنبياء فإنها إنما تكون لمن تشهد لهم بالرسالة، فهي دليل على صدق الشاهد لهم بالنبوة وأيضا فإن كرامات الأولياء معتادة من الصالحين ومعجزات الأنبياء فوق ذلك، فانشقاق القمر والإتيان بالقرآن وانقلاب العصا حية وخروج الدابة من الصخرة لم يكن مثله للأولياء، وكذلك خلق الطير من الطين، ولكن آياتهم صغار وكبار كما قال تعالى : (فأراه الآية الكبرى) فلله تعالى آية كبيرة وصغيرة وقال عن نبيه محمد (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) فالآيات الكبرى مختصة بهم – أي الأنبياء– وأما الآيات الصغرى فقد تكون للصالحين مثل تكثير الطعام،-فهذا قد وجد لغير واحد من الصالحين لكن لم يوجد كما وجد للنبي صلى الله عليه وسلم أنه أطعم الجيش من شيء يسير فقد يوجد لغيرهم من جنس ما وجد لهم لكن لا يماثلون في قدره، فهم – أي الأنبياء– مختصون إما بجنس الآيات فلا يكون لمثلهم كالإتيان بالقرآن وانشقاق القمر وقلب العصا حية وانفلاق البحر وأن يخلق من الطين كهيئة الطير، وإما بقدرها وكيفيتها كنار الخليل، فإن أبا مسلم الخولاني وغيره صارت النار عليهم بردا وسلاما لكن لم تكن مثل نار إبراهيم في عظمتها كما وصفوها، فهو مشارك للخليل في جنس الآية كما هو مشارك في جنس الإيمان محبة الله وتوحيده ومعلوم أن الذي امتاز به الخليل من هذا لا يماثله فيه أبو مسلم وأمثاله. ويقول : وأما كرامات الصالحين فهي من آيات الأنبياء كما تقدم ، ولكن ليست من آياتهم الكبرى، ولا يتوقف إثبات النبوة عليها (النبوات ص ٢١١،٢١٢، ٣٠٠).

[٤] انظر إكمال العلم للقاضي عياض ، ٨٩/٧ .

المبحث الخامس

الفرق بين المعجـــزة والسحـــر

ذكر القاضي رحمه الله أن خرق العادة يقع على يدي النبي، وعلى يدي الساحر[1]، ولكن النبي يتميز بتحديه في ذلك الأمر، ويستعجز به سائر الخلق. ويخبر عن الله بأن ما حصل منه من خرق للعادة إنما هو لتصديقه في دعوى النبوة، ولو كان كاذبا لم يخرق العادة على يديه [2].

وأما الساحر فإنه لا يتحدى، ولا يستعجز الخليقة فيما يظهر على يديه، ويستدل بذلك على صدقه أو نبوته ، وإذا حاول شيئاً من ذلك لم تنخرق له العادة ،

---

[1] السحر في اللغة كما نقل ابن منظور عن الأزهري: عمل تُقُرب فيه إلى الشيطان وبمعونة منه، وكل ذلك الأمر كينونة للسحر، ومن السحر الأخذة التي تأخذ العين حتى يظن أن الأمر كما يرى وليس الأصل على ما يرى.

والسحر : الآخذة وكل ما لطف مأخذه ودق، فهو سحر والجمع أسحار وسُحُور وسَحَرَه يسحره سَحرا وسِحرا وسَحر ، والسحر : البيان في فطنة ، قال الأزهري : وأصل السحر صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره ، فكأن الساحر لما أرى الباطل في صورة الحق وخيّل الشيء على غير حقيقته قد سحر الشيء عن وجهه أي صرفه. وقال الفراء : في قوله تعالى : (فأنى تسحرون) معناه فأني تصرفون . وروى شحر عن ابن عائشة قال : العرب إنما سمت السحر سحرا لأنه يزيل الصحة إلى المرض. قال مسحوراً ذاهب العقل مفسداً ، والسَحر : الخديعة.

والساحر : العالم ، والسحر : الفساد (انظر لسان العرب لابن منظور ، مادة سحر)

وأما في الاصطلاح : فعرفه ابن قدامة بقوله :

السحر : عزائم ورقى وعقد في الأبدان، والقلوب فيمرض ويقتل، ويفرق بين المرء وزوجه، ويأخذ أحد الزوجين عن صاحبه. (انظر الكافي لابن قدامة ، تحقيق د. التركي، نشر دار هجر، الطبعة الأولى، عام ١٤١٧ هـ ٣/١٦٤)

[2] يقول ابن تيمية رحمه الله : ولما كان الذين يعارضون آيات الأنبياء من السحرة والكهان لا يأتون بمثل آياتهم بل يكون بينهما شبه كشبه الشعر بالقرآن (النبوات لابن تيمية ص ٢٢)

أو تنخرق ولكن يظهر هناك من يعارضه وتنخرق له العادة أيضاً [1].

ثم إن الساحر يحصل منه ما يحصل بأشياء يفعلها وقوى يمزجها ومعاناة وعلاج[2].

---

[1] يقول ابن تيمية : فإنه يمتنع في حكمة الرب وعدله أن يسوي بين هؤلاء خيار الخلق وبين هؤلاء شرار الخلق لا في سلطان العلم وبراهينه وأدلته ولا في سلطان النصر والتأييد، بل يجب في حكمته أن يظهر الآيات والبراهين الدالة على صدق هؤلاء. وينصرهم ويؤيدهم ويعزهم ويبقى لهم سلطان الصدق ويفعل ذلك بمن اتبعهم وأن يظهر الآيات المبينة لكذب أولئك ويذلهم ويخزيهم ويفعل ذلك بمن اتبعهم كما قد وقع في هؤلاء وهؤلاء. وقد دل القرآن على الاستدلال بهذا في غير موضع.

ويقول : والتحقيق أن إظهار المعجزات الدالة على صدق الأنبياء على يد الكاذب لا يجوز. لكن قيل لامتناع ذلك في نفسه كما قاله الأشعري. وقيل لأن ذلك يمتنع في حكمة الرب وعدله، وهذا أصح فإنه قادر على ذلك لكن لو فعله بطلت دلالة المعجز على الصدق. (النبوات لابن تيمية ص ١٣٣، ٢٥٨- ٢٥٩)

[2] انظر إكمال المعلم للقاضي عياض ٨٩/٧ .

الفصـــل الثانـــي

المعجـــزات المعنويـــة والحسية

وفيـــه خمسة مباحـــث :

المبحث الأول : المعجزات المعنويـــة .

المبحث الثاني : فيما وقع من النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وهل يكون معجزا

المبحث الثالث : معجـــزات التحـــدي للكفـــار

المبحث الرابع : بركته عليه الصـــلاة والسلام

المبحث الخامس: معجزاته صلى الله عليه وسلم في أمور أخبرعنها فوقعت كما أخبر

المبحث الأول

المعجزات المعنويـــة

إذا تأملنا بإنصاف جميل أثر المصطفى صلى الله عليه وسلم وحميد سيره، وشاهد حاله وصواب مقاله لم يكن هناك مجال للشك في صحة نبوته وصدق دعوته كما شهد بذلك عبد الله بن سلام رضي الله عنه بقوله : " لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جئت لأنظر إليه ، فلما استبنت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب" [1].

وهذا ما يمكن أن يسمى بإعجاز مضمون الشريعة ومبلغها[2] .

ومن المعجزات المنقولة إلينا بالتواتر القرآن العظيم . الذي تحدى النبي صلى الله عليه وسلم الكفار أن يأتوا بسورة من مثله . وكتاب الله العزيز مشتمل على وجوه من الإعجاز كثيرة، ويمكن إجمالها تحت أربعة أوجه :

أولاً : حسن تأليفه والتئام كلمه ، وفصاحته وبلاغته البديعة، وقد كان العرب فرسان الكلام وأرباب الفصاحة ولم يرعهم إلا ذلك الرسول الكريم الذي أتى بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد. صارخا بهم في كل حين ، ومقرعا لهم بضعة وعشرين عاما على رؤوس الملأ أجمعين: ﴿ أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم

---

[1] أخرجه الإمام أحمد في مسنده بسند حسن ح (٢٢٦٦٨) وانظر سنن الترمذي ح (٢٤٠٩) وسنن ابن ماجة ح (١٣٢٤) .

[2] ويرى ابن رشد أن هذه المعجزات أي المعجزات المعنوية هي التي تحدى بها الناس وجعلها دليلاً عل صدقه فيما أدعى من رسالته وهي الشرائع أو ما يمكن أن يطلق عليه مضمون الرسالة، وهو القرآن الكريم الذي يتضمن الإنباء بأمور غيبية، وما فيه من المعتقدات والعلوم التي غايتها سعادة الإنسان وهذه هي المعجزة التي تدل دلالة قطعية على نبوة صاحبها وأنها ليست مما يمكن أن يكتسب بتعلم ولا بحيلة بل بوحي من الله. (انظر الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، لابن رشد، تحقيق مصطفى عثمان، نشر المكتبة المحمودية ، مصر ، الطبعة الثالثة ، عام ١٣٨٨ هـ ص ١٢٩).

صادقيـــن ﴾ [١] ﴿ أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات﴾ [٢].

وذلك أن المفترى أسهل ، ووضع الباطل والمختلق على الاختيار أقرب ، ولم يكـــن لهم تجاه هذا إلا ادعاء القدرة مع عجزهم. يقول سبحانه عنهم: ﴿ لو نشاء لقلنا مثـــل هذا﴾ [٣] ، وحاولوا تنقص القرآن بعبارات مختلفة افتراء منهم : ﴿إن هذا إلا ســـحر يؤثر﴾ [٤]﴿ إن هذا إلا إفك افتراه﴾ [٥] ؛ ﴿ إن هذا إلا أساطير الأولين﴾ [٦] بل وصـــل بهم الأمر إلى أن رضوا بالدينة ، كقولهم:﴿ قلوبنا غلف﴾ [٧] وقولهم: ﴿ قلوبنـــا فـــي أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب﴾ [٨] ، أما من أنصـــف منهم بقوله ، فأقر بسمو القرآن وعلو مكانته وجزالة ألفاظه وفصاحة عبارته ، كمـــا في قصة الوليد بن المغيرة لما سمع النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ قوله ســـبحانه، ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عـــن الفحشـــاء والمنكـــر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون﴾ [٩] فقال : والله إن له لحلاوة ، وإن عليـــه لطـــلاوة ، وإن أسفله لمغدق ، وإن أعلاه لمثمر ، ما يقول هذا بشر.

ثانياً : صورة النظم العجيب، والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب

---

[١] سورة يونس آية (٣٨).

[٢] سورة هود آية (١٣).

[٣] سورة الأنفال آية (٣١).

[٤] سورة المدثر آية (٢٤).

[٥] سورة الفرقان آية (٤).

[٦] سورة الأنعام آية (٢٥).

[٧] سورة البقرة آية (٨٨).

[٨] سورة فصلت آية (٥).

[٩] سورة النحل آية(٩٠).

ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليه، ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له، ولا استطاع أحد مماثلة شيء منه ، حارت فيه عقولهم وتدلهت دونه أحلامهم. يوضح مدى مـــا بلغ منهم ، حيرتهم في تصنيفه أهو من الشعر أم من قبيل الســحر، أو مــن أفعــال الكهان . وإعجازه في إيجازه وبلاغته ، وفى أسلوبه الغريب بذاته.

ثالثاً : ما جاء فيه من أخبار القرون السالفة والأمم البائدة مما لم يكــن معروفــا إلا بعض آحاده لأفراد من أحبار أهل الكتاب. وهم يعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمي لا يقرأ ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسة ولا مثافنة ولم يغب عنهم ولا جــهل حاله أحد منهــم[1].

رابعاً : اشتماله على أخبار كثيرة من المغيبات التي لم تحدث ، فوقعت كما أخــبر. كقوله سبحانه: ﴿ لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين﴾ [2] ، وقوله سبحانه﴿ وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم﴾ [3]. وقــد وقع كل هــذا.

ومن وجوه إعجازه المعدودة كونه آية باقية لا تعــــدم، فقــد تكفــل ربنــا بحفظــه. قال سبحانه: ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنــا لــه لحــافظون﴾ [4] إذ ســائر

---

[1] يقول سبحانه : (وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين) سورة يس آية (٦٩)، ويقول عز وجل : (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي) سورة الأعراف آية (١٥٧).

[2] سورة الفتح آية (٢٧).

[3] سورة الأنفال آية (٧).

[4] سورة الحجر آية (٩).

معجزات الأنبياء تنقضي بانقضاء أوقاتـــها، وتبقـــى أخبارهـــا إلا هـــذه المعجـــزة العظيمة [1].

[1] انظر الشفا ١/٢٢٧-٢٤٧.

المبحث الثاني

فيما وقع من النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وهل يكون معجزاً ؟

وردت أخبار عديدة في كرامات حصلت للنبي صلى الله عليه وسلم قبل بعثتـــه.

فمن ذلك ما أخبرت به أمه من ولادته وهو رافع رأسه وقد أشخص ببصـــــره إلـــى السمـــاء[١] .

وما ذكرت من النور الذي خرج معه عند ولادتـــه[٢] .

وما تعرفت به حليمة وزوجها من بركته، ودرور لبن ثديها لـــــه، ولبـــن شـــارفها، وخصب غنمه ، وسرعة شبابه ، وحسن نشأته[٣] .

وما نشأ عليه من العفة ، وستر الله له عند بناء الكعبة لما حل إزاره فجعلـــه علـــى منكبيه دون الحجارة، فسقط إلى الأرض، ولم ير بعد ذلك اليـــوم عريـــانـــا[٤] [٥].

---

[١] أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب المناقب، باب ما جاء في ميلاد النبي صلـــى الله عليـــه وســـلم ح (٣٦١٩) وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد بن إسحاق.

[٢] أخرجه ابن إسحاق في السيرة، وقال ابن كثير عقب ذكره لهذا الحديث هذا إسناد جيد، (انظر تفســير ابن كثير ١٣٦/٤). وصحح هذا الحديث الحاكم ووافقه الذهبي (انظـــر المســـتدرك ٦٠٠/٢). (وانظـــر السيرة النبوية لابن هشام ١٥٨/١)، (وانظر إتحاف المهرة ١٦/٩ فقد أورد له طرقا عدة).

[٣] انظر السيرة النبوية لابن حبان ص ٥٧. وانظر السيرة النبوية لابن هشام ١٦٣/١-١٦٤.

[٤] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة ح(٣٦٤) ومسلم في صحيحه ،كتاب الحيض ح (٣٤٠)، من حديث جابر رضي الله عنه.

[٥] انظر الشفا ٣٢١/١-٣٢٢.

والذي يظهر – والله أعلم – أن هذه الحوادث وأمثالها لا يطلق عليها معجزات إذ لم تثبت للنبي صلى الله عليه وسلم نبوة في تلك الفترة. فإطلاق المعجزات عليها فيه تجوز ظاهر. والأقـــرب أن يقـــال بأنـــها إرهاصات وعلامات، أو كما قال القاضي بأنها كرامات . وحصول مثل هذه أو قريباً منها واقع جنســـه لبعض الصالحين أعني مِنّة الله على بعض عباده. وهم صغار وإن لم يكونوا أنبياء وهذا مـــا يمكـــن أن يطلق عليه كرامة. كما في حديث أبي هريرة عند الشيخين في الثلاثة الذين تكلمـــوا فـــي المـــهد ، والله أعلم. – الباحث –

المبحث الثالث

معجـــزات التحدي للكفـــار

تحدى النبي صلى الله عليه وسلم الكفار بمعجزات عديدة أعطـــاه الله إياهـــا، برهانا له على صدقه، ووازعا لهم لعلهم أن يستجيبوا. فأعظم معجزاته معهم القـرآن العظيم الذي تحداهم أن يأتوا بمثله. أو بشيء من مثله. والذي لم يستطيعوا مواجهتـــه إلا بالقدح المجمل بنسبته لضروب الكهانة. أو أنواع السحر، أو علوم السابقين.

ومما تحدى به النبي صلى الله عليه وسلم الكفار ما حصل من انشقاق القمـــر حين سألوه أن يريهم آية. كما ورد من حديث أنس رضى الله عنه قال : سأل أهـــل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمـــر فرقتيـــن، حتى رأوا حراء بينهما[1] .

وفي رواية من حديث ابن مسعود فقال كفار قريش : سحركم ابن أبي كبشة . فقال رجل منهم : إن محمداً إن كان سحر القمر فإنه لا يبلغ من ســـحره أن يســـحر الأرض كلها ، فاسألوا من يأتيكم من بلد آخر : هل رأوا هـــذا ؟ فـــأتوا ، فســـألوه فأخبروهـــم أنهم رأوا امثل ذلك .

وفي رواية : فقالوا - يعنى الكفار - : هذا سحر مستمر.

وفي حادثة الإسراء لما اخبر النبي صلى الله عليـــه وســـلم قومـــه بالرفقـــة والعلامة التي في العير قالوا: متى تجيء ؟ قال: يوم الأربعاء فلما كان ذلـــك اليـــوم

---

[1] حديث أنس رضي الله عنه أخرجه البخاري في صحيحه كتاب تفسير القرآن ح (٤٨٦٧) ومسلم فـــي صحيحه، كتاب صفة يوم القيامة ح (٢٨٠٢). وحديث ابن مسعود رضي الله عنه أخرجه البخاري أيضاً في صحيحه، كتاب تفسير القرآن ح(٤٨٦٤) ومسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة ح(٢٨٠٠).

أشرفت قريش ينظرون وقد ولى النهار ولم يجيء ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزيد له في النهار ساعة ، وحبست عليه الشمس[1] .

ومما بهر الكفار ما تواترت به الأخبار عن الرهبان والأحبار وعلماء أهل الكتاب،وما وجد في التوراة والإنجيل من البشارات به عليه الصلاة والسلام[2].

وما حصل من بعض ملوك النصارى كهرقل، والنجاشي، إضافة إلى ما أنذر به الكهان[3]، كشافع بن كليب [4] وشق [5] وسطيح [6]،

---

[1]أورد الحافظ ابن كثير رحمه الله طرقاً عدة لخبر الإسراء وفي بعضها إشارة لخبر العير وسؤال قريش النبي صلى الله عليه وسلم عنها. وفي بعض تلك الطرق ضعف، ولعل مجموعها يثبت أن لها أصلاً ومن أجود أسانيدها ما رواه الترمذي بسنده عن شداد بن أوس – بنحو القصة التي ذكرها القاضي– وقد أخرجه البيهقي في الدلائل وقال : هذا إسناد صحيح، وقال ابن كثير أيضاً إسناده صحيح (انظر تفسير ابن كثير ٣/١٤؛ وانظر زاد المعاد لابن القيم ٣/٣٩).

وفي حديث أم هاني رضي الله عنها وفيه خبر العير وقوله " وهي تصبحكم بالغداة على الثنية ". وفي سند هذا لحديث عبد الأعلى بن أبي المساور الزهرى، وقد ضعفه غير واحد من أهل العلم، فقد قال فيه ابن معين: ليس بشيء. وقال أبو زرعة: ضعيف جدا. وقال البخاري: منكر الحديث. (انظر تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، للحافظ المزي ، تحقيق بشار عواد ، نشر مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة السادسة ، عام ١٤١٥ هـ ١٦/٣٦٦-٣٦٧) وليس في أي طريق منها ذكر لحبس الشمس له صلى الله عليه وسلم (انظر تفسير ابن كثير ٣/٧-٢٣).

[2] في ذكر شيء من أخبار الأحبار والرهبان، انظر السيرة النبوية لابن حبان ص٥٨ وما بعدها، وفي الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما في خبر هرقل. وفيه قوله : فإن كان ما تقول فيه حقاً فإنه نبي وقد كنت أعلم أنه خارج، ولم أكن أظن أنه منكم" (انظرصحيح البخاري كتاب بدء الوحي ح (٧) وصحيح مسلم كتاب الجهاد والسير ح (١٧٧٣)).

[3] أخرجه البخاري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما سمعت عمر لشيء قط يقول إني لأظنه كذا إلا كان كما يظن. بينما عمر جالس إذ مر به رجل جميل ، فقال عمر : لقد أخطأ ظني أو إن هذا على دينه في الجاهلية، أو لقد كان كأهنهم عليّ الرجل، فدعي له: فقال له ذلك. فقال : ما رأيت كاليوم استقبل به رجل مسلم. قال : فإني أعزم عليك إلا ما أخبرتني قال: كنت كاهنهم في الجاهلية. قال : فما أعجب ما جاءتك به جنيتك؟ قال :بينما أنا يوماً في السوق جاءتني أعرف فيها الفزع، فقالت ألم تر الجن وإبلاسها ويأسها من بعد إنكاسها ولحوقها بالقلاص وأحلاسها. قال : عمر :صدق . بينما أنا نائم عند آلهتهم إذ جاء رجل بعجل فذبحه ، فصرخ به صارخ لم أسمع صارخاً قط أشد صوتاً منه يقول : يا جليح أمر نجيح رجل فصيح يقول لا إله إلا أنت. فوثب القوم. قلت : لا أبرح حتى أعلم ما وراء هذا ثم نادى : يا جليح أمر نجيح رجل فصيح يقول : لا إله إلا الله فقمت فما نشبنا أن قيل : هذا نبي " (انظر الصحيح كتاب مناقب الأنصار ح (٣٨٦٦)).

[4] شافع بن كليب من كهان العرب.

[5] شق بن مصعب بن يشكر وجده الأعلى ربيعة بن المسار.

وسواد بن قارب[1] وخنافر[2] وأفعى بحران[3] وغيرهم[4].

= [6] سطيح بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن غسان.

[1] سواد بن قارب بن سواد الدوسي الصحابي رضي الله عنه، وهو صاحب القصة السالفة في الصفحة السابقة حاشية (٣) كما ذكر ذلك الحافظ في فتح الباريء ١٧٩/٧.

[2] خنافر كاهن من حمير، أسلم على يد معاذ رضي الله عنه.

[3] أفعى بحران، ملك من ملوك نجران، كان كاهناً. حكم بين بنى أولاد نزار لما تشاحنوا في ميراث أبيهم وهم مضر وربيعة وأنمار وإياد، وقال : يا مضر أنت أبو النبي التهامي.

[4] انظر الشفا ٢٤٨/١-٢٥١، ٣١٩-٣٢٠.

المبحث الرابع

بركته عليه الصلاة والسلام

وفيه مطلبان : المطلب الأول : في معنى التبرك

المطلب الثاني : في بركة المصطفى

صلى الله عليه وسلم

المطلب الأول

معنى التبرك

أ- معنى التبرك وحقيقته :

التبرك مأخوذ من البركة، وهي النمـــاء والزيادة والسعادة ، والتبريك الدعـاء بها. ومعنى ﴿ تبارك الله ﴾ أي : تقدس وتنزه وهي تحميد وتعظيم لله تعالى، وتبـارك بالشيء تفاعل به، (والمبارك) ما يأتي من قبله الخير الكثير، وتبركت به تيمنت بـه، (والبركة) ثبوت الخير الإلهي في الشيء [1].

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله : البركة نوعان : أحدها : بركة هي فعـل الله تبارك وتعالى ، والفعل منها (بارك) وهو يتعدى بنفسه تارة وبـأداة (علـى) وبأداة (في)، - والمفعول منها مبارك وهو ما جُعل كذلك فكان مباركـاً بجعلـه تعالى.

النوع الثاني : - بركة تضاف إليـه إضافـة الرحمـة والعـزة، والفعـل منـها (تبارك) ولهذا لا يقال لغيره ذلك ولا يصلح إلا له عز وجل، فهو سبحانه المبـارك وعبده ورسوله صلى الله عليه وسلم المبارك كما قال تعالى على لسان المسيح عليـه السلام ﴿ وجعلني مباركاً أينما كنت﴾[2]، فمن بارك الله فيه وعليه فهو المبارك، وأما صفته تبارك فمختصة به كما أطلقها على نفسه في كثير من آيات كتابه العزيز مثـل قوله تعالى:﴿ تبارك الذي بيده الملـك﴾ [3]؛﴿ فتبـارك الله أحسـن الخـالقين ﴾[4]؛

---

[1] انظر لسان العرب لابن منظور؛ القاموس المحيط للفيروز آبادي،نشر مؤسسة الرسـالة، بـيروت، الطبعة الثانية، عام ١٤٠٧ هـ ؛ المعجم الوسيط د.إبراهيم أنيس ومجموعة من المؤلفين،نشر المكتبـة الإسلامية ، تركيا ، مادة بَرَكَ.

[2] سورة مريم آية (٣١).

[3] سورة الملك آية (١).

[4] سورة المؤمنون آية (١٤).

﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ﴾[1]، ﴿تبارك الذي جعل في السماء بروجاً﴾[2] أفلا تراها كيف اطردت في القرآن جارية عليه مختصة به لا تطلق على غيره ، وجاءت على بناء السعة والمبالغة كتعالى وتعاظم ونحوها ، فجاء بناء (تبارك) على (بناء) تعالى الذي هو دال على كمال العلو ونهايته ، فكذلك تبارك دال على كمال بركته وعظمها وسعتها ، فحقيقة اللفظة أن البركة كثرة الخير ودوامه، ولا أحد أحق بذلك وصفاً وفعلاً منه تعالى، وتفسير السلف يدور على هذين المعنيين وهما متلازمان ، لكن الأليق باللفظة معنى الوصف لا الفعل ، فالبركة كلها لله ومنه فهو المبارك ، ومن ألقى عليه بركته فهو المبارك ، ولهذا كان كتابه مباركاً ورسوله مباركاً والأزمنة والأمكنة التي شرفها واختصها عن غيرها مباركة .[3]

فالتبرك إذا هو: " طلب البركة من الزيادة في الخير والأجر وكل ما يحتاجه العبد في دينه ودنياه ، بسب ذات مباركة أو زمان مبارك".

ويشترط أن تكون هذه البركة قد ثبتت لذلك السبب ثبوتاً شرعياً وثبتت الكيفية التي تنال بها البركة عن النبي صلى الله عليه وسلم [4].

---

(1) سورة الفرقان آية(١) .

(2) سورة الفرقان آية (٦١) .

(3) انظر بدائع الفوائد لابن القيم ١٨٥/٢ - ١٨٦

(4) انظر التبرك المشروع والتبرك الممنوع للدكتور علي العلياني ص ٢١-٢٢.

- أنواع التبرك

يتضح مما سبق أن التبرك نوعان، مشروع: وهو ما ثبتت مشروعيته بالكتاب والسنة وفعل السلف الصالح، وممنوع وهو ما لم تثبت مشروعيته في الكتاب والسنة ولم يفعله سلف هذه الأمة الصالحون.

١- أنواع التبرك المشروع

التبرك المشروع خمسة أنواع :

الأول : التبرك بذات النبي صلى الله عليه وسلم في حياته.

الثاني : التبرك بالأقوال والأفعال والهيئات الشرعية رغبة في الأجر والثواب.

الثالث : التبرك بالأمكنة الفاضلة كالمساجد ومكة والمدينة وغيرها، وذلك بالقيام فيها وذكر الله فيها على الوجه المشروع، بشرط المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعدم التمسح بترابها أو جدرانها ونحو ذلك.

الرابع : التبرك بالأزمنة التي خصها الله بزيادة فضل وبركة، فمن تحرى الخير فيها وتبرك بحلولها عليه وقام بما يشرع له فيها من العبادات على الوجه الشرعي نالته البركات العظيمة ، ومن هذه الأزمنة شهر رمضان المبارك وليلة القدر وعشر ذي الحج ويوم عرفة ويوم الجمعة والثلث الأخير من الليلوغير ذلك.

الخامس : التبرك بالمطعومات وما في حكمها مما ثبت عليه الدليل وجاء الأمر بالتداوي به وأكله والتماس البركة منه، كزيت الزيتون والحبة السوداء والعجوة والكمأة والعسل وماء زمزم وغير ذلك.

فهذه المطعومات والمشروبات المباركات فيها بركة خصها الله بها من بين سائر الأنواع الأخرى، غير أن استعمالاتها لا يتعدى بها الوجه المشـــروع والمباح.

٢- أنواع التبرك الممنوع :

التبرك الممنوع ثلاثة أنواع :

النوع الأول : التبرك بالأمكنة والجمادات الفاضلة على غير الوجه الشرعي، بـــأن تقبل نوافذها وأعتابها أو يتمسح بها، أو يستشفى بترابها سواء كانت مســـاجد أو أماكن مقدسة كمكة والمدينة أو يوقف بالمشاعر المقدسة فيغـــير الأوقـــات المشروعة التماساً للبركة، وذلك لأن التبرك عبادة، والعبادة مبناهـــا علـــى الإتباع لرسول الله صلى الله عليه وسلم والتوقيف عليه،لكن أهل البدع والغلـو من الصوفية وغيرهم لم يقتصروا على الاتباع في التبرك بالأمكنة المباركة ، بل تبركوا بقبور الصالحين وغيرهم وبكل مكان ارتبط بحدث مبارك ، كمكان مولده صلى الله عليه وسلم والأمكنة التي مر بها أو صلى فيها اتفاقاً من غير قصد لبقعة معينة أو جلس فيها اتفاقا كغار ثور وحراء ونحو ذلك.

النوع الثاني : التبرك بالأزمنة المباركة، بالقيام فيها بعمل غير مشـــروع ، كـــأن يخص أمرؤ هذه الأزمنة بصيام ، مثل أن يصوم أيام الجمع والعيديـــن التماساً للبركة ، أو يخصها بالاحتفالات كأن يحتفل بيوم مولد النبي صلـــى الله عليه وسلم ويوم الإسراء والمعراج ويوم الهجرة ويوم بدر وغير ذلـــك ، متقرباً بذلك إلى الله متوخيا الأجر منه على فعله ذلـــك ، ولاشـــك أن هـــذه

الأمور منكرة لا يجوز فعلها، إذ تخصيص شيء من الأزمنة أو الأمكنة بالعبادة وكذا الاحتفال بها مما لا يعلم إلا بالشرع ، فلو كان ديناً لبينه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولفعله أصحابه - رضي الله عنهم - ومن جاء بعدهم بإحسان ، ومالم يكن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته ديناً فلن يكون دينا بعدهم، وبالإضافة إلى هذا فإن الاحتفالات التي يقيمها من ينتسب إلى الإسلام في تلك الأزمنة أو الأمكنة فيها مشابهة بمناسبات الكافرين، ومن المعلوم أن أول من سن هذه الاحتفالات بالمولد النبوي ونحوه هم الباطنيون العبيديون أعداء الإسلام فكيف يجوز تقليدهم فيها ؟ (١)

النوع الثالث : التبرك بذوات الصالحين وآثارهم ، لأن التبرك بالذات خاص برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد كان الصحابة رضي الله عنهم يتبركون بوضوئه وعرقه وشعره وملابسه وغير ذلك مما يتعلق به ولم يفعلوا رضي الله عنهم أجمعين ذلك مع غيره، لا مع الخلفاء الراشدين ولا مع بقية العشرة المبشرين بالجنة ولا غيرهم، لذا لا يجوز أن يقاس عليه صلى الله عليه وسلم أحد من الصالحين، إذ لو كان ذلك جائزاً لفعله الصدر الأول- رضي الله عنهم - فإنه لم يؤثر عن أحد منهم أنه فعل ذلك قط.وما أثر عن تبرك بعض الأئمة ببعضهم فهو من الكذب عليهم، ومعلوم أن التبرك عبادة والعبادة مبنية

---

(١) انظر اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم لابن تيمية ، تحقيق د. ناصر العقل ، نشر دار العاصمة ، الرياض ، الطبعة السادسة ، عام١٤١٩هـ ص ٢٩٥- ٢٩٦ ؛ زاد المعاد لابن القيم ١/٥٧ - ٥٩

على التوقيف والاتباع لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما لم يفعل الصحابة وتابعوهم بإحسان هذا الأمر، دل على عدم جوازه وأنه خاص برسول الله صلى الله عليه وسلم، ولأن في ترك التبرك بغيره عليه الصلاة والسلام سداً لذرائع الغلو المذموم المؤدي إلى الشرك والبدع ، وفيه أيضاً محافظة على سلامة عقيدة المتبرك بحيث لا يعلق قلبه إلا بالله وحده الضار النافع المانع المعطي، وفيه محافظة أيضاً على دين المتبرك به لئلا يخالطه الغرور والعجب بسبب المتبركين به، فيظن بنفسه الظنون. لذا كان السلف الصالح - رحمهم الله - من الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم بإحسان من أعظم الناس سداً لهذا الباب ومن أشد الناس إنكاراً له[1].

ب - موقف القاضي عياض من التبرك :

١) موافقته للسلف في جواز التبرك بذات النبي صلى الله عليه وسلم في حال حياته

وافق القاضي عياض منهج السلف الصالح في جواز التبرك بذات الرسول صلى الله عليه وسلم وما يتصل به من آثار في حال حياته، وقد استدل بما فعله الصحابة رضي الله عنهم معه عليه الصلاة والسلام فقد قال- رحمه الله: فصل في عادة الصحابة في تعظيمه وتوقيره وإجلاله ،

وقال عروة بن مسعود حين وجهته قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية ورأى من تعظيم أصحابه له ما رأى ، وأنه لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه

---

[1] أنظر الإعتصام للشاطبي ، تحقيق عبد الرزاق مهدي ، نشر دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى عام ١٤١٧هـ ص ٨ ؛ وجاؤوا يركضون مهلا يا دعاة الضلالة لأبي بكر الجزائري نشر =

وكادوا يقتتلون عليه ، ولا يبصق بصاقاً ولا يتنخم نخامة إلا تلقوها بأكفهم فدلكوا بها وجوهم وأجسامهم، ولا يسقط منه شعرة إلا ابتدروها، وإذا أمرهم بأمر ابتدروا أمره، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون النظر إليه تعظيماً له، فلما رجع إلى قريش قال: يا معشر قريش إني جئت كسرى في ملكه، وقيصر في ملكه، والنجاشي في ملكه ، وإني والله ما رأيت ملكاً في قوم قط مثل محمد في أصحابه - وفي رواية - إن رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم محمداً أصحابه، ولقد رأيت قوماً لا يسلمونه أبداً .[1] وعن أنس رضي الله عنه: " لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق يحلق وأطاف به الصحابة فما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل ".[2]

٢) تأثر القاضي عياض بالصوفية في تجويزه التبرك بمواضعه صلى الله عليه وسلم وبآثار المدينة وتقبيل ذلك ومناقشته في هذا الأمر .

لقد خالف القاضي عياض - غفر الله لنا وله - منهج السلف في التبرك حيث أجاز تقبيل تربة قبر النبي صلى الله عليه وسلم والجدران والمواضع التي جلس عليها ونزل فيها الوحي عليه ، فقد قال : (وجدير لمواطن عمرت بالوحي والتنزيل وتردد بها جبريل وميكائيل، وعرجت منها الملائكة والروح، وضجت عرصاتها بالتقديس والتسبيح، واشتملت تربتها على جسد سيد البشر وانتشر عنها من دين الله

= دار الحرمين، مصر، الطبعة الأولى١٤٠٥هـ ص ٧٦ ؛ التبرك المشروع والممنوع للعلياني ص ٨١ ومابعدها؛ التبرك أنواعه وأحكامه للجديع، نشر مكتبة الرشد،ط٣،١٤١٥هـ ص ٢٠١ - ٤٦٤

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الشروط ح (٢٧٣١-٢٧٣٢).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الفضائل ح (٢٣٢٥).

وسنة رسوله ما انتشر، مدارس آيات ومساجد وصلوات، ومشاهد الفضائل والخيرات، ومعاهد البراهين والمعجزات، ومناسك الدين ومشاعر المسلمين، ومواقف سيد المرسلين ومتبوأ خاتم النبيين حيث انفجرت النبوة وفاض عبابها، ومواطن طويت فيها الرسالة ، وأول أرض مس جلد المصطفى صلى الله عليه وسلم ترابها أن تعظم عرصاتها ، وتنتسم نفحاتها وتقبل ربوعها وجدرانها ، وانشد غفر الله له قائلاً :

يا دار خير المرسلين ومن به * هدى الأنام وخص بالآيات
عندي لأجلك لوعة وصبابة * وتشوق متوقد الجمرات
وعلي عهد إن ملأت محاجري * من تلكم الجدران والعرصات
لأعفرن مصون شيبي بينها * من كثرة التقبيل والرشفات
لولا العوادي والأعادي زرتها * أبداً ولو سحباً على الوجنات
لكن سأهدي من حفيل تحيتي * لقطين تلك الدار والحجرات
أزكى من المسك المفتح نفحة * تغشاه بالآصال والبكرات
وتخصه بزواكي الصلوات * ونوامي التسليم والبركات[1]

وقال أيضاً (رئي ابن عمر - رضي الله عنهما - واضعاً يده على مقعد النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر ثم وضعها على وجهه. ونقل عن ابن قسيط والعتبي قولهم: وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خلا المسجد حسوا رمانة المسجد التي تلي القبر بميامنهم، ثم استقبلوا القبلة يدعون) [10].

---

[1] انظر الشفا للقاضي عياض ٢/٦٠-٦١.

[10] انظر الشفا للقاضي عياض ٢/٨٩

٣- الرد على القاضي عياض فيما خالف فيه من التبرك :

الحقيقة إن المرء ليعجب كل العجب كيف أن القاضي عياض - وهو من هو في العلم والفقه - يجيز مثل هذه الأمور الخرافية المبتدعة ، والتي هي من علامات الصوفية الضالين.

ولعله ظن - رحمه الله - أن ما ذكره وقرره إنما هو علامة على صدق محبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونحن لا نطعن بصدق هذه المحبة للرسول صلى الله عليه وسلم ، فإن كتبه ودفاعه عن السنة مشهور معروف به ، ولكن تقبيل الجدران والأماكن التي جلس أو دفن فيها صلى الله عليه وسلم أو نزل عليه التنزيل فيها ليس من علامات محبته ولا دليل عليها، بل الاتباع لهذا الرسول ولما جاء به من عند الله والسير على نهج صحابته الكرام- وخاصة الخلفاء الراشدين - الذين أمرنا باتباع سنتهم هي العلامة الظاهرة، والدليل الصادق على صدق هذه المحبة كما قال أصدق القائلين﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾ (١) قال الإمام ابن كثير رحمه الله:(هذه الآية حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هوعلى الطريقة المحمدية، فإنه كاذب في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي، في جميع أقواله وأفعاله، ولهذا قال﴿ إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ أي يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه، وهو محبته إياكم، وهو أعظم من الأول، كما قال بعض العلماء الحكماء ليس الشأن أن تحب إنما الشأن أن تحب. قال غير واحد من السلف: زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية (٢).

---

(١) سورة آل عمران آية (٣١) .

(٢) تفسير ابن كثير ٢/٣٥٨ .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة " [1].

فهل كان الخلفاء الراشدون وبقية الصحابة رضي الله عنهم يقبلون تربة قبر النبي صلى الله عليه وسلم وجدرانها والمواضع التي جلس عليها ونزل الوحي عليه فيها ؟ ! كلا وربي، إنهم لم يفعلوا شيئا من ذلك، ولو كان هذا من الدين ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم لفعلوه، لأنه لا أحد أتقى لله ولا أكثر حباً لله ولرسوله من هؤلاء الأطهار الكرام، فلما لم يفعلوا من ذلك شيء دل على أنه غير مشروع.

وأما ما ذكره القاضي عنهم من أنهم كانوا يحسون رمانة المسجد التي تلي قبره الشريف، فيكفي في رده أنه لا إسناد له، ولولا الإسناد في الدين لقال من شاء ما شاء كما قال أحد السلف.

وروايته عن ابن عمر - رضي الله عنهما - إنما ذكرها بصيغة التمريض، ومعلوم أن أمراً مهماً من أمور العقيدة لا يؤخذ بطريق ضعيف أو واه، بل ما ثبت عن كبار الصحابة رضي الله عنهم في هذا الشأن يرد ما ادعاه القاضي وغيره من العلماء على هؤلاء، فهذا الفاروق الملهم ثاني الخلفاء الراشدين - رضي الله عنه وأرضاه - يقول عندما جاء إلى الحجر الأسود وقبله (إني لأعلم أنك حجر لا

---

[1] أخرجه الإمام أحمد في مسنده ١٢٦/٤ - ١٢٧ وأبو داود في سننه ، كتاب السنة ح (٤٦٠٧) والترمذي في سننه ، كتاب العلم ح (٢٦٧٦) ، والحديث صحيح كما قال الألباني . أنظر صحيح الجامع ٢/ ٣٤٦ ح (٢٥٤٦) .

تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك)[1].

فلو علم رضي الله عنه هو وبقية الصحابة أن القبر وما في حكمه من آثار تتصل بالنبي مما يستحب أو يجوز تقبيله لسارع إلى ذلك، وهم المحبون الصادقون للحبيب صلى الله عليه وسلم، بل على العكس من ذلك ، فإننا نرى عمر - رضي الله عنه - ينهى أشد النهي عن تتبع آثار النبي وينكر الصلاة عندها كما ثبت ذلك عنه، فإنه لما حج رأى في طريقه من مكة إلى المدينة أناساً يذهبون مذهباً فقال: أين يذهب هؤلاء ؟ فقيل: يا أمير المؤمنين مسجد صلى فيه الرسول صلى الله عليه وسلم هم يأتون يصلون فيه فقال: إنما أهلك من كان قبلكم بمثل هذا يتبعون آثار أنبيائهم فيتخذونها كنائس وبيعاً، فمن أدركته الصلاة في هذا المسجد فليصل ومن لا فليمض ولا يتعمدها).

ولما بلغه - رضي الله عنه - أن الناس يأتون الشجرة التي يقال لها شجرة الرضوان فيصلون عندها فأوعدهم فيها وأمر بقطعها [2].

فإذا كان ينهى عن تعمد الصلاة في الأماكن التي صلى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أوالتي ثبت فيها فضل ومزية، فكيف يرضى بتقبيلها والتمسح بها؟!.

ولهذا حكى شيخ الإسلام ابن تيمية - تغمده الله برحمته - إجماع العلماء على حرمة تقبيل حجرة النبي صلى الله عليه وسلم أو حجرة الخليل عليه السلام أو

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الحج (١٥٩٧) ومسلم في صحيحه ، كتاب الحج ح (١٢٧٠)

[2] انظر البدع والنهي عنها لابن وضاح ، تحقيق أحمد دهمان ، نشر دار البصائر، سوريا ،الطبعة الثانية ،عام ١٤٠٠ هـ ص ٤١ .

غيرهما من المدافن التي فيها رجل صالح أو التمسح بها[1]، ونص رحمه الله- أيضا أن قصد الذهاب إلى قبره صلى الله عليه وسلم أو قبر غيره من الأنبياء والصالحين لا لغرض الزيارة بل لأجل بركتها وكذا تتبع آثاره صلى الله عليه وسلم مثل الذهاب والسفر إلى غار ثور وحراء وغيرهما من الأماكن والصلاة فيها والدعاء عندها، كل ذلك مما لم يشرع في الدين إذ لو كان خيرا لبينه صلى الله عليه وسلم ولفعله أصحابه الكرام رضي الله عنهم[2] .

وقد نبه الإمام سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله وأسكنه فسيح جناته - ورد على مجموعة من الكتاب الذين طالبوا بإحياء آثار النبي صلى الله عليه وسلم ووضح أن ذلك يؤدي إلى تعظيمها أو الصلاة عندها، وبالتالي يفضي إلى الشرك بالله العظيم.[3]

وهكذا يظهر بعد كل ما ذكرت أن تقبيل الحجرة الشريفة وغيرها من آثار النبي صلى اله عليه وسلم أو تخصيصها بالصلاة أو الدعاء عندها، - فضلا عن آثار غيره عليه السلام - مما لا يجوز شرعا ، بل هو من البدع المنكرة التي تجب محاربتها ، لأنه لو كان ذلك جائزا لما قطع الفاروق - رضي الله عنه - شجرة الرضوان ولما نهى عن تحري الصلاة عندها وفي المكان الذي صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطريق بين مكة والمدينة.

---

(١)أنظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٣٦/٢٧ .

(٢) انظر اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ، ٣٣٤ و ٤٢٤ - ٤٢٦ .

(٣) انظر مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز ، جمع سعد الشويعر،نشر الرئاسة العامة للبحوث العلمية ،الطبعة الثانية ، عام ١٤١٦ هـ ٣٣٤/٣ .

ففي فعله – رضي الله عنه – وقوله أبلغ رد على من زعم أن بقايا الأنبياء والصالحين يمكن التوسل والتبرك بها في استجلاب الخير واستدفاع الشر، وقد ثبت عن الصادق صلى الله عليه وسلم أنه قال " إن الله تعالى جعل الحق على لسان عمر وقلبه[1] .

وقال أيضاً : " اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر " [2]. وغير ذلك من النصوص.

---

(1) أخرجه الإمام احمد في المسند ٥٣/٢ وصححه الألباني في صحيح الجامع ١٠٣/٢ ح (١٠٣/٢)

(2) أخرجه الإمام احمد في المسند ٣٨٢/٢ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٣٧٣/١ ح (١١٥٥) .

المطلب الثاني :

في بركة المصطفى صلى الله عليه وسلم

من الآيات التي من الله بها على نبيه صلى الله عليه وسلم ، بركته في إبـــراء المرضى وذوي العاهات[١].

وقد ظهرت هذه المعجزات مرات عدة فمنها ، ما حصل لقتادة بن النعمان لما أصيب فوقعت عينه على وجنته فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت أحسـن عينيـــه[٢].

وبصق على أثر سهم في وجه أبي قتادة في يوم ذي قرد . يقـــول أبو قتادة : فما ضرب علي ولا قاح[٣].

وأمر الأعمى أن يتوضأ ويصلي ركعتين ويسأل الله به صلى الله عليه وســـلم أن يكشف عن بصره فكشف الله عن بصره[٤] .

وتفل في عين علي يوم خيبر وكان رمدا فبرئ[٥] .

وانكفأ القدر على ذراع محمد بن حاطب وهو طفل فمسح عليه ودعا له وتفـــل فيـــه فبرأ لحينه[٦] .

---

[١] انظر السيرة النبوية لابن هشام ٣٠/٢.

[٢] أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة ص (٤١٨)، وأورده الهيثمي مجمع الزوائد (٢٩٧/٨) وعزاه لأبـــي يعلى وقال: في إسناده يحي بن الحميد الحماني وهو ضعيف، وقال الألباني: هو عند أبـــي نعيـــم مـــن طريقين آخرين فهو يتقوى بهما (حاشية بداية السول لعبد العزيز بن عبد السلام ص ٤٢).

[٣] أخرجه الإمام أحمد في المسند ١٦٨/١.

[٤] أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤١٨/٣.

[٥] أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الدعوات ح(٦٣٣٤) ومسلم في صحيحـــه ، كتـــاب فضـــائل الصحابة ح(٢٤٨٠).

[٦] انظر دلائل النبوة، للبيهقي ٢٣٤/٢

ومن بركته عليه الصلاة والسلام ما حصل من إجابة دعائه لمن دعـــا لـــهم وهذا مطلب واسع جداً وإجابة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لجماعة بمـــا دعـــا عليهم متواتر على الجملة معلوم ضرورة .

فمن ذلك دعاؤه لأنس بن مالك رضى الله عنه بقوله : " اللـــهم أكـــثر مالـــه وولـــده " ، قال أنس : فوالله إن مالي لكثير، وإن ولدى وولد ولدى ليتعادون علـــى نحو المائة اليوم[1].

ودعا لابن عباس بقوله:" اللهم فقه في الدين وعلمه التأويل" [2] . وتحقق لابن عبـلس ما دعا به النبي صلى الله عليه وسلم له ، فكان يدعى بالحبر وترجمان القرآن .

ودعا لعروة بن أبي الجعد بالبركة . فقال : فلقد كنت أقوم بالكناســـة ، فمـــا أرجع حتى أربح أربعين ألفا . وعند البخاري : فكان لو اشترى التراب ربح فيـــه[3].

ودعا لأم أبي هريرة فأسلمت [4] [5] [6].

---

[1] أخرجه البخاري اللفظ النبوي في صحيحه ، كتاب الدعوات ح (٦٣٤٤) وأخرجه مسلم بكامله في صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة ح (٢٤٨١).

[2] حديث ابن عباس أخرج البخاري في صحيحه جزءا منه " اللهم فقه في الدين " في كتاب الوضوء ح(١٤٣)، وأخرج مسلم لفظة " اللهم فقهه" في كتاب الفضائل ح(٢٤٧٧). وأما الحديث بجملته فقد أخرجه أحمد في مســنده ح (٢٢٧٤).

[3] أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب المناقب ح(١١٧٩) وفيه : فيربح الربح العظيم، فكان من أكثر أهل الكوفة مالاً. وللحديث أصل عند البخاري في سننه ،كتاب المناقب ح(٣٦٤٣)، وفيه دعوة النبي صلى الله عليه وسلم له بالبركة حينما أرسله ليشتري له شاة بدينار فاشترى بالدينار شاتين، وباع إحداهما بدينار، يقول رضي الله عنـه : فكان لو اشترى التراب ربح فيه !.

[4] قصة أسلم أم أبي هريرة، أخرجها مسلم في صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة ح (٢٤٩١).

[5] انظر الشفا للقاضي عياض ٢٨١/١-٢٨٧.

[6] وللتوسع في مباحث التبرك انظر الرسالة القيمة " التبرك أنواعه وأحكامه " للدكتور ناصر بن عبد الرحمن الجديع.

المبحث الخامس

معجزاته في أمور أخبر عنها فوقعت كما أخبر

ذكر القاضي رحمه الله أن الأحاديث في هذا بحر لا يدرك قعره ولا يـــنزف غمـــره .

ومما ورد في هذا حديث حذيفـــة رضى الله عنه قال : قام فينا رسول الله صلـــى الله عليه وسلم مقاما ، فما ترك شيئا يكون في مقامه ذلك إلى قيام الســـاعة إلا حدثـــه ، حفظه من حفظه ، ونسيه من نسيه، قد علمه أصحابي هؤلاء وإنّه ليكون منه الشـــيء فأعرفه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ، ثم إذا رآه عرفه[1].

ثم قال حذيفـــة : ما أدرى أنسي أصحابي أم تناسوه، والله ما ترك رســول الله صلى الله عليه وسلم من قائد فتنة إلى أن تنقضي الدنيا يبلـــغ مـــن معـــه ثلاثمائـــة فصاعدا ، إلا قد سماه لنا باسمه ، واسم أبيه ، وقبيلتـــه.

وأخبر أن الأرض زويت له فأُري مشارقها ومغاربها وأن ملك أمته سيبلغ مـــا زوي له منها[2] . وكذلك كان فامتدت دولة المسلمين مما بين أرض الهند أقصى المشـــرق إلى بحر طنجة، وذلك مما لم تملكه أمة من الأمم.

وأخبر أن عمارا تقتله الفئة الباغية[3]. فقتله أصحاب معاوية .

وأنذر بالردة . وأخبر بشأن الخوارج ، وصفتهم ، والمخدج الذي فيـــهم وأن سيماهم التحليـــق[4]. وأعلم قريشا بأن الأرضة أكلت ما في صحيفتهم ولم يبق فيـــها إلا اسم الله[5].

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب القدر ح(٦٦٠٤) ومسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة ح(٢٨٩١).

[2] أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الفتن وأشراط الساعة ح(٢٨٨٩).

[3] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الصلاة ح(٤٤٧) ومسلم في كتاب الفتن واشراط الساعة ح(٢٩١٥).

[4] حديث الخوارج وصفتهم أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب أحاديث الأنبياء ح(٣٣٤٤) ومسلم في صحيحه ، كتاب الزكاة ح(١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

[5] أخرجه الإمام أحمد في المسند ١٣٧/٥، وابن ماجة في المقدمة ١٩٩.

وأعلمهم بعيرهم التي مر عليها في طريقه لبيت المقدس ، وأنذرهم بوقت وصولها[1].

ومن ذلك ما أخبر به من آيات وعلامات الساعة ، منها ما ظهر كقوله : " عمران بيت المقدس خراب يثرب ، وخراب يثرب خروج الملحمة ، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية " [2].

ومنها ما لم يظهر حتى الآن[3].

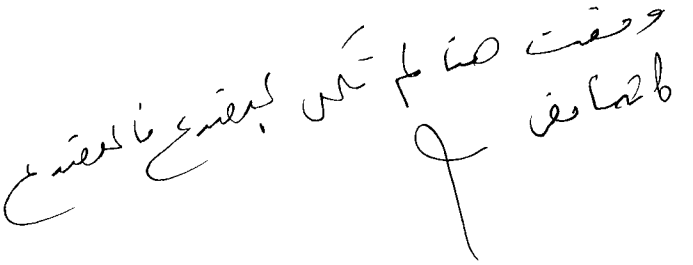

---

[1] انظره حاشية (١) ص ١٣٩ . مبحث : معجزات التحدي للكفار.

[2] أخرجه الإمام أحمد في مسند الأنصار ٥/٢١٠ وأبو داود في سننه ، كتاب الملاحم ح (٣٧٤٢)

[3] انظر الشفا للقاضي عياض ١/٢٩٢-٣٠٣.

الباب الثالث

العصمة

ويشمل على ثلاثة فصول

الفصل الأول : العصمة في التبليغ

الفصل الثاني : عصمته فيما يتصل بأمور الدنيا والعوارض البشرية

الفصل الثالث : موقف أهل السنة والجماعة من العصمة

الفصـــل الأول

العصمـــة في التبليـــغ

وفيـــه مبحثـــان :

المبحث الأول : إثبات العصمة فيما يتعلق بالتشريع

المبحث الثاني : عصمته صلى الله عليه وسلم من الوقوع في الـــذنـــوب

المبحث الأول

إثبات العصمة فيما يتعلق بالتشريـــع

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : تقرير العصمة فيما يتعلق بالتشريع.

المطلب الثاني : الرد على استدلالات تنافي القول بالعصمة.

المطلب الثالث : قصة الغرانيق وموقف القاضي منها.

المطلب الأول

تقرير العصمة فيما يتعلق بالتشريع

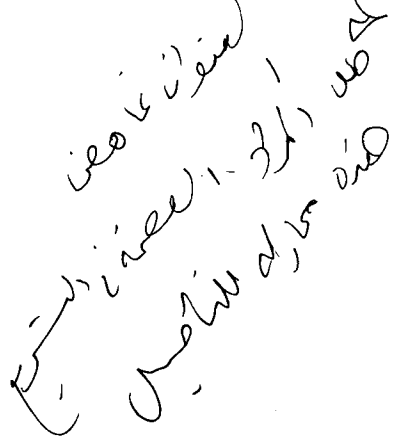

ذكر القاضي رحمه الله أن الأنبياء في معرفتهم بالله وعلمهم بـــه وبصفاتـــه والإيمان به وبما أوحي إليهم أنهم على غاية المعرفة فيـــها ، معصومـــون [1] عـــن الجهل بشيء من ذلك أو الشك فيه .

وهم في هذا معصومون حتى قبل النبوة إذ لم ينقل أحد من أهل الأخبـــار أن من الأنبياء من عرف قبل نبوته بكفر أو إشراك مع أن كفار الأمم عيروا أنبيـــاءهم بكل ما أمكنهم اختلاقه مما ذكر الله في كتابه ، ومع هذا لم يجدوا سبيلاً للطعن فيـــهم من هذا الباب مما يدل قطعا على عدم وقوعه منهم [2].

---

[1] العصمة في اللغة في أصلها دالة على الإمساك والمنع والملازمة كما قال ابن فارس : العين والصـاد والميم أصل واحد صحيح يدل على إمساك ومنع وملازمة، والمعنى في ذلك كله معنى واحد..
وأصل العصمة في كلام العرب المنع، وعصمة الله عبده: أن يعصمه مما يوبقه، عصمه يعصمه عصماً : منعه ووقاه..) والعرب تقول : (عصمه الطعام : منعه من الجوع) ويقال : (...اعتصم فلان بـــالله إذا امتنع به...واعتصمت بالله إذا امتنعت بلطفه من المعصية...) (انظر معجم مقاييس اللغة لابن فـــارس ، ولسان العرب لابن منظور ، مادة عصم).
وأما في الاصطلاح فالعصمة هي : (حفظ الله الرسل مما ينفر عن القبول قبل النبـــوة، وحفظـــهم مـــن الكذب والكتمان في التبليغ بعد النبوة، وكذا من الكبائر، وتوفيقهم للتوبة والاستغفار من الصغائر وعـــدم إقرارهم عليها).

[2] رواه مسلم في صحيحه من حديث أنس ابن مالك أن رسول الله ﷺ أتاه جـــبريل وهـــو يلعـــب مـــع الغلمان، فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه، ثم أعاده في مكانه وجاء الغلمان يسعون إلى أمـــه – يعنى ظئره – فقالوا : إن محمداً قد قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون، قال أنس : وقد كنت أرى أثر ذلـــك المخيط في صدره . (صحيح مسلم ، كتاب الطهارة ح (٢٦١)
قال ابن تيمية رحمه الله : والمنقول أنه عليه السلام كان قبل النبوة يبغض عبادة الأصنام ولكن لم يكـــن ينهى عنها الناس نهياً عاماً، وإنما كان ينهى خواصه (انظر تفسير آيات أشكلت لابن تيمية ٢١٣/١)
وأما ما يتعلق بباقي الأنبياء عليهم السلام فإن أهل السنة مختلفون في عصمتهم من الكفر قبـــل النبـــوة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : وكثير من أهل السنة يقولون إن الأنبياء معصومون من الكفر قبل النبـــوة كما قال ذلك ابن الأنباري، والزجاج وابن عطية وابن الجوزي والبغوي (المحرر الوجيز لابن عطيـــة ، نشر المجلس العلمي بفاس ، المغرب ، بدون رقم وتاريخ الطبع ، ١١٢/٧) .

وأقوال المصطفى صلى الله عليه وسلم معصوم فيها الإجماع من الإخبار عن شيء بخلاف ما هو عليه لا قصداً ولا سهواً ولا غلطاً [1].

وفي حديث عبد الله بن عمرو قلت : يا رسول الله ، أكتب كل ما أسمع منك ؟ قال: نعم .قلت : في الرضا والغضب ؟ قال : نعم . فإني لا أقول في ذلك كله إلا حقاً [2].

فإذا ثبت أنه لا يقول إلا حقا ﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ﴾ [3] فلا يصح أن يوجد منه خبر بخلاف ما أخبر به على أي وجه كان ، ولو جوز عليه الغلط والسهو لما تميز عن غيره ، ولحصل امتزاج للحق بالباطل [4] [5].

---

[1] هذا فيما يتعلق بالتشريع ، سواء كانت أقوالاً أم أفعالاً وإذا وقع منها شيء خلاف ما الأصل أن تكون عليه فإن الوحي يأتي لتصحيح ما صدر من النبي من زلل.

[2] الحديث أخرجه أحمد وأبو داود (انظر فتح الباري ٢٠٩/١)

[3] سورة النجم الآيات (٣-٤)

[4] هذا على فرض أنه يقر عليها، وإلا فكما تقدم من نزول الوحي للتصحيح. (انظر الفصل الثالث : موقف أهل السنة من العصمة).

[5] انظر الشفا للقاضي عياض ١٠٦/٢؛ ١٣٠-١٣١؛١٥٣-١٥٤.

المطلب الثاني

الرد على استدلالات تنافي القول بالعصمة

استطرد القاضي رحمه الله في ذكر أدلة يقول بها بعض من ينفي عصمة الأنبياء ، وأسهب في الرد عليها وتوجيه استدلالاتها . فمن ذلك ما جاء عن إبراهيم في قوله سبحانه : ﴿ قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ﴾ [1].

فإنه بهذا أراد طمأنينة القلب ، فإن العلم بوقوعه حاصل له ، ولكنه أراد العلم بمشاهدته وكيفيته . فيترقى من علم اليقين إلى عين اليقين [2].

وقوله صلى الله عليه وسلم :"نحن أحق بالشك من إبراهيم"[3] .

---

[1] سورة البقرة الآية (٢٤٥)

[2] وهذا هو ما ذهب إليه الجمهور من أن إبراهيم عليه السلام لم يكن شاكا في إحياء الموتى قط، بل كان يعلم قدرة الله تعالى على ذلك علما يقينيا، ولكن أحب أن يشاهد ذلك عيانا، ويترقى من علم اليقين إلى عين اليقين، وفي الحديث " ليس الخبر كالمعاينة" (انظر مسند الإمام أحمد ح (١٨٤٢) وقد صحح الحديث أحمد شاكر، والألباني في صحيح الجامع ح (٥٣٧٤)) .

[3] أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ح (٤٥٣٧) ومسلم في كتاب الإيمان ح (١٥١) .
والحديث ليس فيه إثبات الشك للخليل، وللعلماء أقوال في معنى الحديث ومن أظهرها :

أ- أن إبراهيم عليه السلام طلب الترقي من علم اليقين بالخبر إلى عين اليقين بالشهود، فطلب أن يكون اليقين عيانا، والمعلوم مشاهدا، ومعلوم أن إبراهيم كان مؤمنا كما أخبر الله عنه بقوله " أو لم تؤمن، قال : بلى " ولكن طلب طمأنينة قلبه، فالتفاوت بين الإيمان والطمأنينة سماه النبي ﷺ شكا بإحياء الموتى، وإن كان إبراهيم موقنا ليس عنده شك يقدح في يقينه، فنبينا محمد ﷺ لم يشك ولا إبراهيم، حاشاهما من ذلك، وإنما عبر عن هذا المعنى بهذه العبارة.

ب- أن المعنى: إذا لم نشك فإبراهيم أولى أن لا يشك، أي: لو كان الشك متطرقا إلى الأنبياء لكنت أنا أحق به منهم، وقد علمتم أني لم أشك فاعلموا أنه لم يشك، وإنما قال ذلك تواضعا منه، أو من قبل أن يعلمه الله بأنه أفضل من إبراهيم.

ج- أن المعنى: نحن أشد اشتياقا إلى رؤية ذلك من إبراهيم.

د- أن المعنى : لا شك عندنا جميعا، لأن أفعل هنا لنفي المعنى عن الشيئين نحو قوله تعالى :﴿ أهم خير أم قوم تبع ﴾ الدخان : (٣٧)، أي لا خير في الفريقين، ونحو قول القائل : الشيطان خير من فلان، أي لا خير فيهما، فعلى هذا فمعنى قوله : نحن أحق بالشك من إبراهيم – لا شك عندنا جميعا.

وأظهر هذه المعاني – والله أعلم- المعنى الأول وهو الذي عليه الجمهور (انظر مدارج السالكين لابن القيم ٤٧١/١-٤٧٢، فتح الباري لابن حجر ٤٧٥/٦؛ البداية والنهاية لابن كثير ١٥٧/١).

أي : نحن موقنون بالبعث وإحياء الله الموتى ، فلو شك إبراهيم في هذا ؛ لكنا أولى بالشك منه .

وقوله سبحانه عن نبيه يونس : ﴿ وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه ﴾ [1] الصحيح في المعنى : مغاضبا لقومه لا لربه عز وجل . ومعنى أن لن نقدر عليه ، أي : أن لن نضيق عليه [2].

---

[1] سورة الأنبياء الآية (٨٧)

[2] ظاهر الآية أن يونس عليه السلام قد عصى ربه ووقع منه الزلل وأدلة هذا :

١- أن يونس عليه السلام قد غاضب ربه فكما قال : (وذا النون إذ ذهب مغاضبا) ومغاضبة الله ذنب، وعلى تقدير أن المغاضبة كانت مع القوم ففي ذلك محظور أيضاً، لأن الله تعالى قال :(فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت) وهو يقتضي أن ذلك الفعل كان محظوراً.

٢- أنه اعترف بوقوع الظلم منه في قوله : (إني كنت من الظالمين)

٣- أن الله عاقبه بإلقائه في بطن الحوت، والعقوبة إنما تكون على معصية.

٤- أنه أتى ما يلام عليه بنص قوله تعالى : (فالتقمه الحوت وهو مليم).

وقد قال بقول القاضي عدد من علماء وهو أنه مغاضباً لقومه لا لربه عز وجلّ، ومنهم ابن كثير، والرازي، والألوسي والشنقيطي، بل رواه ابن جرير عن ابن عباس والضحاك. (انظر تفسير ابن كثير ٣/٣٦٠، أضواء البيان للشنقيطي ٤/٧٤٦، عصمة الأنبياء للحديدي ص ١١٤) وذهبت طائفة من العلماء إلى أن معنى "مغاضباً" أي مغاضبا لربه، إذ كشف عنهم العذاب بعد ما وعدهموه ، وقد روى هذا القول ابن جرير عن سعيد بن جبير والحسن والشعبي، وروى عن ابن عباس القصة وفيها خروج يونس من القرية بعد ما أنذر قومه العذاب، وما كان من توبتهم ورفع العذاب عنهم وفيها" فقال يونس عند ذلك وغضب " والله لا ارجع إليهم كذاباً أبداً، وعدتهم العذاب في يوم ثم ردّ عنهم، ومضى على وجهه مغاضباً" وهذه الرواية تدل على أن ابن عباس يرى أن معنى مغاضباً أي مغاضبا لربه ، وهذا ما فهمه ابن جرير رحمه الله وهو يختار – أي ابن جرير – أن مغاضبة يونس عليه السلام كانت لربه، ويرى أن هذا القول أخف من القول بأنه غاضب قومه، يقول رحمه الله : وهذا القول أعني قول من قال : ذهب عن قومه مغاضباً لربه أشبه بتأويل الآية، وذلك لدلالة قوله : (فظن أن لن نقدر عليه) على ذلك، على أن الذين وجهوا تأويل ذلك إلى أنه ذهب مغاضباً لقومه، إنما زعموا أنهم فعلوا ذلك استنكارا منهم أن يغاضب نبي من الأنبياء ربه، واستعظاماً له، وهم بقولهم إنه ذهب مغاضباً لقومه قد دخلوا في أمر أعظم مما أنكروا، وذلك أن الذين قالوا : ذهب مغاضباً لربه، اختلفوا في سبب ذهابه كذلك، فقال بعضهم : إنما فعل ما فعل من ذلك كراهة أن يكون بين قوم قد جربوا عليه الخلف فيما وعدهم، واستحيا منهم، ولم يعلم السبب الذي دفع به عنهم البلاء. وقال بعض من قال هذا القول : كان من أخلاق قومه الذين فارقهم قتل من جربوا عليه الكذب، عسى أن يقتلوه من أجل أنه وعدهم العذاب، فلم ينزل بهم ما وعدهم من ذلك.

وقال آخرون : بل إنما غاضب ربه من أجل أنه أمر بالمسير إلى قوم لينذرهم بأسه، ويدعوهم إليه، فسأل ربه أن ينظره، ليتأهب للشخوص إليهم، فقيل له : الأمر أسرع من ذلك ولم ينظر حتى شاء أن ينظر، إلى أن يأخذ نعلاً ليلبسها، فقيل له نحو القول الأول، وكان رجلاً في خلقه ضيق، فقال: أعجلني ربي أن آخذ نعلاً فذهب مغاضباً. وليس في واحد من هذين القولين من وصف نبي الله يونس شيء إلا وهو دون ما وصفه بما وصفه الذين قالوا: ذهب مغاضباً لقومه، لأن ذهابه عن قومه مغاضباً لهم، وقد أمره الله تعالى بالمقام بين أظهرهم ليبلغهم رسالته، ويحذرهم بأسه وعقوبته على تركهم الإيمان به والعمل بطاعته، لا شك أن فيه ما فيه.

وقوله سبحانه : ﴿ ووجدك ضالا فهدى ﴾ [1] فليس هو من الضلال الذي هو الكفر، وإنما المراد : ضالا عن النبوة فهداك إليها [2] [3].

= ولولا أنه قد كان ﷺ أتى ما قاله الذين وصفوه بإتيان الخطيئة، لم يكن الله تعالى ليعاقبه العقوبة التي ذكرها في كتابه، ويصفه بالصفة التي وصفه بها، فيقول لنبيه ﷺ : ﴿ ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم ﴾ القلم ٤٨ ، ويقول ﴿ فالتقمه الحوت وهو مليم. فلولا أنه كان من المسبحين. للبث في بطنه إلى يوم يبعثون﴾ الصافات : ١٤٢-١٤٤ (انظر تفسير الطبري ٨/٥١٣-٥١٤)، وشيخ الإسلام يرى أيضا أن يونس عليه السلام ذهب مغاضباً لربه. حيث يقول: وصاحب الحوت ذهب مغاضبا لربه لأجل الأمر السماوي (انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٦/٧٠).

والأظهر والله أعلم هو القول الثاني للأدلة السالفة.

[1] سورة الضحى الآية (٧)

[2] قال البغوي : يعنى ضالا عما أنت عليه فهداك للتوحيد والنبوة (معالم التنزيل للبغوي ٨/٤٩٦) وقال ابن عطية : أي وجده قبل إنعامه بالنبوة والرسالة على غير الطريقة التي هو عليها في نبوته .(المحرر الوجيز لابن عطية ١٦/٣٢٢)

[3] انظر الشفا للقاضي عياض ٢/ ١٠٦-١١٢ ، ١٢٠-١٢١.

المطلب الثالث

قصة الغرانيق وموقف القاضي منها

روى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ:﴿ والنجم - وقال - أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى﴾[1] قال: "تلك الغرانيق العلا وإن شفاعتهنّ لـــترتجى". فلما ختم السورة سجد، وسجد معه المسلمون والكفـــار، لمـــا ســـمعوه أثنـــى علـــى آلهتهـــم[2].

وفي رواية : أن جبريل جاء فعرض على النبي صلى الله عليه وسلم الســـورة فلما بلغ الكلمتين قال له : ما جئتك بهاتين . فحزن النبي صلى الله عليه وسلم فـــأنزل الله تعالى تسلية له : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنـــى ألقـــى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيـــم﴾[3] وقوله:﴿ وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره وإذا لاتخـــذوك خليلا ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليـــلاً﴾[4].

وهـــذا القصة باطلة من وجـــوه عـــدة :

١- أن هذا الأثر لم يخرجه أحد من أهل الصحة ولا روي بسند سليم متصل. وإنمـــا أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون ، المولعون بكل غريب المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم [5] .

٢- الاضطراب الشديد في رواياته وانقطاع إسناده. فقائل يقول: إنه فـــي الصـــلاة. وآخر يقول : قالها في نادي قومه. وآخر يقول: بل حدث نفسه فسها.

---

[1] سورة النجم الآيات (١-٢٠).

[2] انظر القصة بكاملها في تفسير ابن كثير ٣/٢٢٩-٢٣٠.

[3] سورة الحج آية (٥٢).

[4] سورة الإسراء آية (٧٣).

[5] والحاصل أن جميع الروايات في هذا الباب إما مرسلة أو منقطعة لا تقوم الحجة بها.
ونقل الشوكاني عن البيهقي قوله : هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل ونقل عن إمام الأئمة ابن خزيمة أنه قال: هذه القصة من وضع الزنادقة (انظر فتح القدير للشوكاني ٣/ ٤٦٢).

٣- أن الرسول صلى الله عليه وسلم معصوم بالإجماع من مثل هذا الرذيلة سواء تمنى أن ينزل عليه مثل هذا من مدح آلهة غير الله - وهذا كفر- أو أن يتسور عليه الشيطان ويلبس عليه القرآن. أو أن يقول هذا من عند نفسه - وهذا كفر أيضاً - فإن النبي صلى الله عليه وسلم معصوم من هذا كله قال سبحانه : ﴿ ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين﴾ [1].

٤- استحالة هذه القصة نظراً وعرفاً ، لأن الرواية بعيدة الالتئام ، متناقضة الأقسام ممتزجة المدح بالذم متخاذلة التأليف والنظم ، ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم ومن بحضرته من المسلمين وصناديد المشركين ممن يخفى عليه ذلك.

إذ لا يخفى على أدني متأمل فكيف بمن رجح حلمه واتسع عمله في البيان ومعرفة فصيح الكلام.

٥- أن من عادة المنافقين، ومعاندي المشركين نفورهم لأول وهلة، وتخليط العدو على رسول الله صلى الله عليه وسلم لأقل فتنة. ومع هذا لم يحك أحد هذه القصة، سوى هذه الرواية الضعيفة الأصل، ولو كانت صحيحة لوجد من المشركين واليهود صولة وجولة كما حصل في قصة الإسراء .

٦- ذكر الرواة لهذه القصة أن فيها نزلت:﴿ وإن كادوا ليفتنوك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره وإذا لاتخذوك خليلاً ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً ﴾. وهاتان الآيتان تردان الخبر الذي رووه ، لأن الله سبحانه ذكر أنهم كادوا يفتنونه حتى يفتري، وأنه لولا تثبيته سبحانه له، لكاد يركن إليهم .

---

[1] سورة الحاقة الآيات (٤٤-٤٦)

وقد روي عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : كل ما في القرآن "كاد" فهو ما لا يكون . قال سبحانه : ﴿ يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار ﴾ ولم يذهب .

وذكر القاضي رحمه الله أنه مع هذا على فرض الصحة لتلك الرواية المتهالكة فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان – كما أمره ربه – يرتل القرآن ترتيلا، ويفصل الآي تفصيلا في قراءته ، كما رواه الثقات عنه، فيمكن ترصد الشيطان لتلك السكتات، ودسه فيها ما اختلقه من تلك الكلمات محاكيا نغمة النبي صلى الله عليه وسلم بحيث يسمعه من دنا إليه من الكفار، فظنوها من قول النبي صلى الله عليه وسلم وأشاعوها. ولم يقدح ذلك عند المسلمين لأنهم يحفظونها قبل ذلك على ما أنزلها الله ، ومتحققون من حال النبي صلى الله عليه وسلم وذمه للأوثان[1] [2].

وقوله سبحانه : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم﴾

---

[1] انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٨٤/١٢. فقد قال الإمام القرطبي بنحو هذا.

[2] ومن الأوجه التي يستدل بها على بطلان القصة :

١-أن في نفس سياق آيات سورة النجم، التي تخللها الإلقاء المزعوم من الشيطان قرينة واضحة على بطلان هذا القول، لأن النبي ﷺ قرأ بعد موضع الإلقاء المزعوم بقليل قوله تعالى في اللات والعزى، ومناة الثالثة الأخرى : (إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وأباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان) " النجم (٢٣) وليس من المعقول أن النبي ﷺ يسب آلهتهم هذا السب العظيم ولايغضبون ، ولم يسجدوا لأن العبرة بالكلام الأخير.

٢-أن الشيطان لا يقدر أن يجري ذلك على لسانه ﷺ لأنه ليس له عليه من سلطان كما دل على ذلك القرآن، قال تعالى : (إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون. إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون) النحل آيتي (٩٩-١٠٠)

٣-أن الله تعالى قال (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) الحجر آية ٩، فأخبر تعالى أنه حافظه في كل وقت من الزيادة والنقصان، والتحريف والتبديل، وحادث الغرانيق فيه زيادة، فهو باطل لأن =

فمعنى تمنى أي: تـــلا. قال سبحانه: ﴿لا يعلمون الكتاب إلا أمـــاني﴾ أي: تـــلاوة. وقـــولـــه : ﴿فينسخ الله ما يلقي الشيطان﴾ أي : يذهبه ويزيل اللبس بـــه ويحكـــم آياتـــه [1].

= القرآن محفوظ من تلك الزيادة. (انظر أضواء البيان للشنقيطي ٥/٧٢٩-٧٣٠، فتح القدير للشوكاني ٣/٤٦٢)، وانظر رسالة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني : نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق .

[1] انظر الشفا للقاضي عياض ٢/ ١٣٢-١٣٧.

المبحـــث الثاني

عصمتـــه صلى الله عليه وسلم من الوقوع في الذنوب

أجمع المسلمون على عصمة الأنبياء من الفواحش والكبائر الموبقات وجمهور العلماء على أنهم معصومون من قبل الله، معتصمون باختيارهم وكسبهم. وأما الصغائر فجوز وقوعها من الأنبياء جماعة من السلف ، وذهبت طائفة إلى عصمتهم من الصغائر كعصمتهم من الكبائر لاختلاف الناس في حد الصغير وتعيينها[1] .

---

[1] أما ما يتعلق بالذنوب فالكبائر منها هم معصومون من الوقوع فيها وهذا هو قول أكثر علماء الإسلام وجميع الطوائف، ولم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين إلا ما يوافق هذا القول بل حكى بعض العلماء الإجماع على عصمتهم من الكبائر كالمازري. (انظر منهاج السنة لابن تيمية ٢/٤٢٦؛ شرح مسلم للنووي ٧/١٥٨)

أما ما يتعلق بصغائر الذنوب فكما قرر شيخ الإسلام أن السلف لا يرون عصمة الأنبياء عليهم السلام من الوقوع في الصغائر بل يجيزونها عليهم، ولكنهم يقولون إنهم يتوبون منها ولا يقرون عليها بل يتداركها الله عليهم.

قال ابن تيمية : وعامة ما ينقل عن جمهور العلماء أنهم غير معصومين عن الصغائر ولا يقرون عليها ولا يقولون إنها لا تقع بحال. وقال : الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم معصومون من الإقرار على الذنوب، كبارها وصغارها وهم بما أخبر الله به عنهم من التوبة يرفع درجاتهم، ويعظم حسناتهم، فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وليست التوبة نقصا، بل هي من أفضل الكمالات، وهي واجبة على جميع الخلق كما قال تعالى : (وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا. ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات) الأحزاب : (٧٢-٧٣) فغاية كل مؤمن هي التوبة، ثم التوبة تتنوع كما يقال : حسنات الأبرار سيئات المقربين.

والله تعالى قد أخبر عن عامة الأنبياء بالتوبة والاستغفار، عن آدم ونوح وإبراهيم وموسى وغيرهم، فقال آدم (ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) الأعراف (٢٣) وقال نوح : (رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين) هود: (٣٧) وقال الخليل :(ربنا اغفرلي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) إبراهيم (٤١)، وقال هو وإسماعيل (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم) البقرة : (١٢٨).

وفي الصحيحين عنه ﷺ أنه كان يقول : اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي هزلي وجدي، وخطئي وعمدي وكل ذلك عندي ..(انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ٤/٣٢٠ و ١٥/٥١).

ولقـــول ابن عباس رضى الله عنهما: كل ما عصي الله به فهو كبـــيرة. وتســـميتها صغائر إنما هو من باب الإضافة، ونسبة إلى ما هو أكبر منها.

واختارت طائفة الوقوف في هذه المسألة. لأن العقل لا يحيل وقوعها منهم، ولم يـأت في الشرع قاطع بأحد الوجهين.

قال القاضي : (ومما لا خلاف فيه عند الجميع أن الأنبياء معصومون عن تكـــرار الصغائر، وكثرتها. إذ يلحقها ذلك بالكبائر وكذا هم معصومون مـــن الوقـــوع فـــي الصغائر المنافية للحشمة المزرية بصاحبها.

ثم إن من جوز الصغائر ومن نفاها عن رسول الله صلـــى الله عليـــه وســـلم مجمعون على أنه لا يقر على منكر من قول أو فعل) [١].

وأنه متى رأى شيئاً فسكت عنه دل على جوازه ، فكيف يكون هذا حاله فـــي حـــق غيرة ، ثم يجوز وقوعه منه في نفســـه .

وقـــد علم من دين الصحابة قطعا الاقتداء بأفعال النبي صلى الله عليه وســـلم كيف توجهت ، وكيفما كانت حالها، فقد نبذوا خواتمهم حين نبذ خاتمه [٢].

وخلعوا نعالهم حين خلـــع [٣].

وقد احتج المجوزون للصغائر على الأنبياء من الفقهاء والمحدثين بظواهر كثيرة مـــن القرآن والحديث . والتزامهم بظواهرها يفضي بهم إلى القول بتجويز الكبائر عليهم ، وخرق الإجماع القائم على هذا . وهذا مما لا يقول به مسلم .

---

[١] في نقل القاضي الإجماع على أنه صلى الله عليه وسلم لا يقر على منكر..ما يبطل قولـــه إذ ثبـــوت الإجماع على عدم الإقرارعلى المنكر يدل على جواز وقوعه منه – الباحث – .

[٢] أخرجه البخاري في كتاب اللباس ح (٥٨٧٨) ومسلم في كتاب اللباس والزينة ح (٢٠٩٣).

[٣] أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة ح (٦٤٨) وصححه الألباني كما في صحيح سنن أبي داود .

كيف، وكل ما احتجوا به مما اختلف المفسرون في معناه ونقل عن السلف خلاف قولهم فيه.

فمن ذلك قوله سبحان لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم : ﴿ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ﴾ [1] ، وقوله سبحانه : ﴿ لو لا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم ﴾ [2] وقوله سبحانه : ﴿ عبس وتولى أن جاءه الأعمى ﴾ [3].

وما قص الله عن غيره من الأنبياء كقوله سبحانه : ﴿ وعصى آدم ربه فغوى ﴾ [4].

وقوله عن يوسف : ﴿ ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه ﴾ [5] . وقوله عن موسى : ﴿ فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان ﴾ [6]وقوله لنوح : ﴿ ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون ﴾ [7].

وقد أجاب القاضي عن هذه الأدلة واسترسل في تفنيد الاحتجاج بها وبأمثالها .

فأما قوله سبحانه . ﴿ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ﴾ ، فقيل : المراد بهذا ما كان قبل النبوة وبعدها .

وقيل : بل المراد ما وقع لك من ذنب وما لم يقع فأعلمه أنه مغفور له.

وقيل : المتقدم ما كان قبل النبوة ، والمتأخر عصمتك بعدها.

وقيل : المراد ما كان عن سهو وغفلة وتأويل.

---

[1] سورة الفتح آية (٢)

[2] سورة الأنفال آية (٦٨)

[3] سورة عبس الآيات (١-٢)

[4] سورة طه آية (١٢١)

[5] سورة يوسف آية (٢٤)

[6] سورة القصص آية (١٥)

[7] سورة هود آية (٣٧)

وأما قوله سبحانه: ﴿ لو لا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عـــذاب عظيـــم﴾ . فهي بعد قوله: ﴿ ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن فـــي الأرض تريـــدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم﴾ ، فليس فيه إلزام ذنب للنبي صلـى الله عليه وسلم بل فيه بيان ما خص به وفضل من بين سائر الأنبياء. فكأنه قـــال : ما كان هذا لنبي غيرك . كما في قوله صلى الله عليه وسلم : " أحلت لي الغنائم ولـم تحل لنبي قبلي "[1] .

والمعنى في الخطاب : من أراد ذلك منهم وتجرد غرضه لعـرض الدنيـا وحـده . وليس المراد النبي صلى الله عليه وسلم ولا علية أصحابه .

ثم قال سبحانه : ﴿ لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيها أخذتم عذاب عظيم﴾ معناها : لولا أنه سبق مني ألا أعذب أحدا إلا بعد النهي لعذبتكم.

وقيل : لولا أنه سبق في اللوح المحفوظ أنها حلال لكم لعوقبتم.

فهذا كله ينفي الذنب والمعصية لأن من فعل ما أحل له فليس بعاص [2]. وقـد قـال سبحانه :﴿ فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا ﴾

---

[1] الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التيمم ح (٣٣٥) ومسلم في صحيحه ، كتاب المســاجد ومواضع الصلاة ح (٥٢١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

[2] أورد ابن كثير كلا التوجيهين عن ابن عباس رضي الله عنهما ، فعن عطاء عن ابن عباس – لما قرأ هذه الآيات – قال : غنائم بدر قبل أن يحلها لهم، يقول : لولا أني لا أعذب من عصاني حتى أتقدم إليـه لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم. وقد روي هذا القول عن سعد بن أبي وقاص وسعيد بن جبير ومجـاهد والأعمش، وأما التوجيه الثاني فهو من طريق على ابن أبي طلحة ومن طريق العوفي عن ابن عبـاس في قوله (لولا كتاب من الله سبق) يعني في أم الكتاب الأول أن المغانم والأسارى حلال لكم لمسكم فيما أخذتم من الأسارى عذاب عظيم ، قال الله تعالى (فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا) وروي هذا القول عـن أبي هريرة وابن مسعود وسعيد بن جبير وعطاء والحسن البصري وقتادة والأعمش، وهو اختيار ابـن جرير رحمه الله .

ويظهر أن ابن كثير يميل إلى هذا القول. والله أعلم. (انظر تفسير ابن كثير ٣٢٦/٢)

وأما قوله سبحانه : ﴿ عبس وتولى أن جاءه الأعمى﴾ فليس فيها إثبات ذنب له صلى الله عليه وسلم بل إعلام الله له بأن ذلك المتصدى له ممن لا يتزكى، وأن الأولى – لو كشف لك حال الرجلين – الإقبال على الأعمى [1].

وأما قوله سبحانه: ﴿ وعصى آدم ربه فغوى ﴾ أي : جهل وقيل : أخطأ .

وقد أخبر الله بعذره في قوله تعالى:﴿ ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما ﴾ . قال ابن زيد : نسي عداوة إبليس له . وما عهد الله إليه من ذلك بقوله : ﴿ إن هذا عدو لك ولزوجك ﴾ [2].

---

[1] قال الشوكاني عند تفسيره لهذه الآية : وهذا الواقع من النبي صلى الله عليه وسلم من باب ترك الأولى (انظر فتح القديرللشوكاني ٥/٥٤٠)

[2] السلف رحمهم الله يعتقدون ما دلت عليه الآيات من وقوع المعصية من آدم عليه السلام وأن ذلك ليس قدحا فيه عليه السلام إذ الأنبياء تجوز عليهم الصغائر ودل الكتاب العزيز على وقوعها منهم، وعصمتهم هي من أن يقروا عليها، وهذا ما وقع في حق آدم إذ نبهه الله تعالى (وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة....) الأعراف :(٢٢) ووفقه للتوبة، ولقد فسر ابن جرير قوله سبحانه : (وعصى آدم ربه فغوى) طه : (١٢١) بقوله : يقول – أي الله تعالى – وخالف أمر ربه فتعدى إلى ما لم يكن له أن يتعدى إليه من الأكل من الشجرة التي نهاه عن الأكل منها، وقوله " ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى" يقول : اصطفاه ربه من بعد معصيته إياه فرزقه الرجوع إلى ما يرضى عنه، والعمل بطاعته، وتلك كانت توبته التي تابها عليه، وقوله " وهدى " يقول : وهداه للتوبة فوفقه لها " (انظر تفسير الطبري ١٨/٣٨٨) وأما ما استدل به القاضي رحمه الله وغيره.من قوله تعالى : (فنسي ولم نجد له عزما) طه (١١٥) إذ حملوا النسيان على حقيقته، وزعموا أن آدم عليه السلام كان مؤاخذا بالنسيان أو عتاب الله له كان على ترك التحفظ من أسباب الغفلة والنسيان، والأنبياء يعاتبون على مثل ذلك، فإن ما ذهب إليه هؤلاء غير صحيح، فقد أورد ابن جرير رحمه الله مقالات عن الصحابة والتابعين تبين فهمهم لنسيان آدم فهو يروي عن ابن عباس أن نسي بمعنى ترك، وكذلك عن مجاهد قال : ترك أمر ربه ، وتفسير الطبري للنسيان بمعنى الترك قد ذكره أيضا ابن كثير في تفسيره ونقل عن السلف ما يؤيده، وقال الشوكاني: والمراد بالنسيان هنا ترك العمل بما وقع به العهد إليه فيه. وبه قال أكثر المفسرين " وكذلك فسر ابن قتيبة النسيان بالترك وقال : وقد أكل آدم من الشجرة التي نهي عنها باستزلال إبليس وخداعه إياه بالله والقسم به إنه لمن الناصحين، حتى دلاه بغرور، ولم يكن ذنبه عن إرصاد وعداوة وإرهاص كذنوب أعداء الله، فنحن نقول : عصى وغوى، كما قال الله تعالى، ولا نقول: آدم عاص ولا غاو، لأن ذلك لم يكن عن اعتقاد متقدم ولا نية صحيحة، كما تقول لرجل قطع ثوبا وخاطه، ولا تقل خائط ولا خياط حتى يكون معاودا لذلك الفعل، معروفا به. (انظر تفسير الطبري

وأما قوله سبحانه : ﴿ ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه ﴾ فكثير من الفقهاء والمحدثين على أن هم النفس لا يؤاخذ به العبد وليس بمعصية، لقوله صلى الله عليه وسلم - فيما يروي عن ربه - : " إذا هم عبدي بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة " [1] .

٣٨٣/١٨، تفسير ابن كثير ٣١٣/٣، فتح القدير للشوكاني ٣٨٩/٣، تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص (٥٠٠)

يقول ابن تيمية رحمه الله " إن أول ذنب عصي الله به كان من أبي الجن وأبي الإنس، أبوي الثقلين المأمورين، وكان ذنب أبي الجن أكبر وأسبق، وهو ترك المأمور به، وهو السجود إباء واستكبارا، وذنب أبي الإنس كان ذنبا صغيرا (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه) البقرة (٣٧) وهو إنما فعل المنهي عنه، وهو الأكل من الشجرة، وإن كان كثير من الناس المتكلمين في العلم يزعم أن هذا ليس بذنب، وأن آدم تأول حيث نهي عن الجنس بقوله : (ولا تقربا هذه الشجرة) البقرة (٣٥) فظن أنه الشخص فأخطأ أو نسي والمخطئ والناسي ليسا مذنبين وهذا القول يقوله طوائف من أهل البدع والكلام والشيعة، وكثير من المعتزلة، وبعض الأشعرية، وغيرهم ممن يوجب عصمة الأنبياء من الصغائر، وهؤلاء فروا من شيء ووقعوا فيما هو أعظم منه من تحريف كلام الله عن مواضعه، وأما السلف قاطبة من القرون الثلاثة الذين هم خير قرون الأمة، وأهل الحديث والتفسير، وأهل كتب قصص الأنبياء والمبتدأ، وجمهور الفقهاء والصوفية، وكثير من أهل الكلام كجمهور الأشعرية وغيرهم، وعموم المؤمنين، فعلى ما دل عليه الكتاب والسنة، مثل قوله تعالى: (وعصى آدم ربه فغوى) طه(١٢١) وقوله : (ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفرلنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) الأعراف (٢٣) بعد أن قال لهما : (ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين) الأعراف (٢٢) وقوله تعالى: (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم) مع أنه عوقب بإخراجه من الجنة. وهذه نصوص لا ترد إلا بنوع من تحريف الكلم عن مواضعه، والمخطئ والناسي إذا كانا مكلفين في تلك الشريعة فلا فرق، وإن لم يكونا مكلفين امتنعت العقوبة، ووصف العصيان والإخبار بظلم النفس، وطلب المغفرة والرحمة، وقوله تعالى : (ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين) وعندما ابتلى الله الأنبياء بالذنوب رفعا لدرجاتهم بالتوبة، وتبليغا لهم إلى محبته وفرحه بهم، فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين، ويفرح بتوبة التائب أشد الفرح، فالمقصود كمال الغاية لا نقص البداية فإن العبد تكون له الدرجة لا ينالها إلا بما قدره الله له من العمل أو البلاء (انظر الفتاوى لابن تيمية ٨٨/٢٠-٨٩)، ويقول ابن القيم في معرض استدلاله على أن الله تعالى جعل عقوبات أصحاب لمعاصي بضد ما قصدوا له بتلك المعاصي، يقول : ولهذا عاقب أبا البشر آدم عليه السلام بأن أخرجه من الجنة لما عصاه بالأكل من الشجرة ليخلد فيها، فكانت عقوبته إخراجه منها، ضد ما أمله (انظر إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن القيم ، تحقيق حامد الفقي ، نشردار المعرفة، بيروت ، بدون رقم وتاريخ الطبع ٣٥٩/١).

[1] أخرجه البخاري في صحيحه ،كتاب الرقاق ح (٦٤٩١) ومسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ح (١٣١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

ومذهب المحققين من الفقهاء والمتكلمين – وهو الحق – أن الهم إذا وطنت عليه النفس صار سيئة .

أما ما كان من قبيل الهموم والخواطر فهو المعفو عنه.

ومن هذا الباب هم يوسف عليه الصلاة والسلام . فيكون قوله : ﴿ وما أبرئ نفس إن النفس لأمارة بالسوء﴾ أي ما أبرئها من هذا الهم [1].

وأما قوله سبحانه : ﴿ فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان ﴾ فقد نص الله تعالى على أنه من عدوه .

وقال قتادة : وكزه بالعصا ولم يتعمد، فعلى هذا لا معصية في ذلك .

---

[1] يقول الحافظ ابن كثير: وأكثر أقوال المفسرين ههنا متلقى من كتب أهل الكتاب، فالإعراض عنه أولى بنا، والذي يجب أن يعتقد أن الله عصمه وبرأه ونزهه عن الفاحشة وحماه عنها وصانه منها (انظر البداية والنهاية لابن كثير ١/١٩٠)، ويقول شيخ الإسلام : ويوسف عليه السلام صبر على الذنب مطلقا، ولم يوجد منه إلا هم تركه لله، كتب الله له به حسنة. ويقول : يوسف عليه الصلاة والسلام لم يذكر الله تعالى عنه في القرآن أنه فعل مع المرأة ما يتوب منه أو يستغفر منه أصلا، وقد اتفق الناس على أنه لم تقع منه الفاحشة، ولكن بعض الناس يذكر أنه وقع منه بعض مقدماتها، مثل ما يذكرون أنه حل السراويل وقعد منها مقعد الخاتن ونحو هذا، وما ينقلونه في ذلك ليس هو عن النبي ﷺ ، ولا مستند لهم فيه إلا النقل عن بعض أهل الكتاب، وقد عرف كلام اليهود في الأنبياء وغضهم منهم، كما قالوا في سليمان ما قالوا، وفي داود ما قالوا فلو لم يكن معنا ما يرد نقلهم لم نصدقهم فيما لم نعلم صدقهم فيه، فكيف نصدقهم فيما قد دل القرآن على خلافه ، وقال رحمه الله : والله تعالى يقول في القرآن : (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء) فدل القرآن على أنه صرف عنه السوء والفحشاء مطلقا، ولو كان قد فعل صغيرة لتاب منها، والقرآن ليس فيه ذكر توبته، ومن وقع منه بعض أنواع السوء والفحشاء لم يكن ذلك قد صرف عنه بل يكون قد وقع وتاب الله عليه منه، والقرآن يدل على خلاف هذا وقد شهدت النسوة له أنهن ما علمن عليه من سوء، ولو كان قد بدت منه هذه المقدمات لكانت المرأة قد رأت ذلك وهي من النسوة اللاتي شهدن وقلن : (ما علمنا عليه من سوء) ، وقالت مع ذلك : (ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) وقالت : (أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين) وقوله " سوء" نكرة في سياق النفي ، فدل ذلك على أن المرأة لم تر منه سوءا، فإن الهم في القلب لم تطلع عليه، ولو اطلعت عليه فإنه إذا تركه لله كان حسنة، ولو تركه مطلقا لم يكن حسنة ولا سيئة، فإنه لا إثم عليه إلا مع القول أو العمل. (انظر الفتاوى لابن تيمية ١٥/١٤٨-١٤٩، ١٧/٣٠-٣١).

وقال ابن جرير : قال ذلك من أجل أنه لا ينبغي لنبى أن يقتل حتى يؤمر.

وقيل : إن هذا كان قبل النبوة ، وهو مقتضى التلاوة [1].

وأما قوله سبحانه : ﴿ ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون ﴾ فالعذر فيها ظاهر، لأن الله سبحانه قال له : (وأهلك) فطلب مقتضى هذا اللفظ ، وأراد علم ما طوى عليه ، ولم يشك في وعد الله . وكل هذا لا يقضي على نوح بمعصية سوى تأويله وإقدامه بالسؤال فيما لم يؤذن له فيه، ولم ينه عنه [2].

---

[1] أقوال أهل العلم فيما حصل من موسى عليه السلام حيث قتل القبطي :

القول الأول : أن ما حصل من موسى عليه السلام كان بعد نبوته، روى ابن جرير بسنده عن قتادة: " فوكزه موسى " نبي الله، ولم يتعمد قتله، وقال ابن جرير في تفسير قوله تعالى : (قال رب إني ظلمت نفسي فاغفرلي فغفرله إنه هو الغفور الرحيم) القصص آية(١٦) يقول تعالى ذكره مخبرا عن ندم موسى على ما كان من قتله النفس التي قتلها، وتوبته إليه منه، ومسألته غفرانه من ذلك : (رب إني ظلمت نفسي) بقتل النفس التي لم تأمرني بقتلها، فاعف عن ذنبي ذلك، واستره علي، ولا تؤاخذني به فتعاقبني عليه، ثم روى بسنده عن ابن جريج في قوله : (رب إني ظلمت نفسي)" قال : بقتلي من أجل أنه لا ينبغي لنبي أن يقتل حتى يؤمر، ولم يؤمر (انظر تفسير الطبري ٥٤١/١٩) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : وقال موسى عليه السلام لما ذكر الذي هو عدوه فقضى عليه (قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين. قال رب إني ظلمت نفسي فاغفرلي فغفر له) فاعترف بظلمه نفسه فيما كان من جناية على غيره لم يؤمر بها (انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢٧٨/٢٩)

القول الثاني :" أن هذا الفعل وقع منه قبل النبوة، ويدل عليه سياق الآيات فإنها تفيد أن هذا الفعل كان قبل فرار موسى عليه السلام من مصر وهجرته إلى مدين. ولما أتم موسى الأجل في مدين أتاه التكليف بدعوة فرعون وملئه (انظر سورة القصص الآيات ٣٢-٣٥).

وقد قال الله سبحانه حكاية عنه : (ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين) الشعراء آية (٢١). ويدل على هذا أيضا وصف موسى نفسه بالضلال في قوله تعالى (قال فعلتها إذا وأنا من الضالين) الشعراء آية (٢٠).

والمعنى : أي قبل أن يوحي إلى وينعم الله على بالرسالة والنبوة كما يقول ابن كثير رحمه الله (انظر تفسير ابن كثير ٣٣٢/٣).

[2] وقد قال بنحو قول القاضي ابن كثير رحمه الله (انظر تفسيرابن كثير ٢٥٦/٤؛ عصمة الأنبياء للحديدي ص ٢٦٨ وما بعدها) والأظهر والله أعلم أن سؤال نوح عليه السلام ربه نجاة ابنه كانت =

وأما ما ورد وتكرر - في الجملة - في القرآن والصحيح من الأحاديث من اعتراف الأنبياء بذنوبهم وتوبتهم واستغفارهم عما سلف منهم ، فذاك لأن درجة الأنبياء فيها من الرفعة والعلو والمعرفة بالله ما يحملها على الخوف منه جل جلاله، والإشفاق من المؤاخذة بما لا يؤاخذ به غيرهم ، وما حصل منهم من تصرفهم في أمور لم ينهوا عنها ولم يؤمروا بها ثم عوقبوا بسببها أوجد عندهم الخوف والوجل فهي ذنوب بالإضافة إلى علو منصبهم ، ومعاص بالنسبة إلى كمال طاعتهم ، لا أنها كذنوب غيرهم ومعاصيهم . وما يكون لهم من المؤاخذة فهي في الدنيا ليكون ذلك زيادة في درجاتهم قال سبحانه : ﴿ ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى﴾ [1].

ومن الثمرات العظيمة في هذا تنبيه غير الأنبياء من البشر بمؤاخذة الأنبياء بتلك الأفعال فيستشعروا الحذر ويعتقدوا المحاسبة [2].

= -كما قال ربنا- عملا غير صالح، يدل على ذلك ظاهر الآيات، وتسمية نوح عليه السلام ما وقع منه بأنه خطيئة واعتذاره عن الشفاعة بسببها ويمكن حمل الآيات على أن نوحا عليه السلام مع علمه بكفر ابنه وأنه ليس من أهله الذين وعد الله بنجاتهم لأن الله استثنى من سبق عليه القول منهم حيث قال (وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن) هود(٤٠) ، وفي سورة المؤمنين (وأهلك إلا من سبق عليه القول منهم) المؤمنون (٢٧) .أي من سبق عليه القول من أهلك، يمكن أن نوحا مع علمه بذلك وأن الله نهاه عن مخاطبته في الذين ظلموا أدركته الشفقة والرقة التي جبل عليها الوالد تجاه ولده، سيما وقد رأى ابنه في تلك الحال، وهو يعلم يقينيا أن من لم يركب السفينة فهو من الكافرين المغرقين، وكانت تلك منه زلة تاب إلى الله منها.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : " فالشفاعة مقصودها قبول المشفوع إليه، وهي الشفاعة التامة فهذه هي التي لا تكون إلا بإذنه وأما إذا شفع شفيع فلم تقبل شفاعته كانت كعدمها، وكان على صاحبها التوبة والاستغفار منها كما قال نوح : (رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين) (انظر الفتاوى لابن تيمية ١٤/٣٨٦-٣٨٧).

[1] سورة طه آية (١٢٢) .

[2] يقول شيخ الإسلام وما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من توبة الأنبياء عليهم السلام من الذنوب التي تابوا منها، وهذه التوبة رفع الله بها درجاتهم فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين =

وفي التوبة والاستغفار ومعنى لطيف وهو استدعاء محبة الله. قال سبحانه :﴿ إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾ [1].

وكثرة الاستغفار من النبي صلى الله عليه وسلم وتوبته وغيره من الأنبياء على وجه ملازمة الخضوع والعبودية والاعتراف بالتقصير شكرا لله على نعمه كما قال صلى الله عليه وسلم – وقد أمن من المؤاخذة مما تقدم وتأخر-: " أفلا أكون عبدا شكورا"[2].

وأما ما ورد في قصة إبراهيم عليه السلام[3] فهي داخلة في باب المعاريض التي فيها مندوحة عن الكذب وتأويلها ظاهر .

= وقال رحمه الله : الذنب الذي يضر صاحبه هو ما لم يحصل منه توبة، فأما ما حصل منه توبة فقد يكون صاحبه بعد التوبة أفضل منه قبل الخطيئة، كما قال بعض السلف: كان داود بعد التوبة أحسن منه حالا قبل الخطيئة، ولو كانت التوبة من الكفر والكبائر، فإن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار هم خيار الخليقة بعد الأنبياء، وإنما صاروا كذلك بتوبتهم مما كانوا عليه من الكفر والذنوب، ولم يكن ما تقدم قبل التوبة نقصا ولا عيبا، بل لما تابوا من ذلك وعملوا الصالحات كانوا أكمل إيمانا وأقوى عبادة وطاعة ممن جاء بعدهم. (انظر الفتاوى لابن تيمية ١٥/٥١-٥٣).

[1] سورة البقرة آية (٢٢٢).

[2] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير ح (٤٨٣٦) ومسلم في صحيحه ، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، ح (٢٨١٩) من حديث المغيرة بن شعبة. وورد أيضا من حديث عائشة رضي الله عنها.

[3] عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث كذبات : اثنتين منهن في ذات الله عز وجل، وقوله (إني سقيم) وقوله (بل فعله كبيرهم هذا) قال بينا هو ذات يوم وسارة إذا أتى على جبار من الجبابرة، فقيل له إن هنا رجلا معه امرأة من أحسن الناس، فأرسل إليه فسأله عنها فقال : من هذه ؟ قال : أختي، فأتى سارة قال: يا سارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك، وإن هذا سألني عنك فأخبرته أنك أختي، فلا تكذبيني، فأرسل إليها، فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده فأخذ، فقال : ادعي الله لي ولا أضرك، فدعت الله فأطلق،ثم تناولها الثانية فأخذ مثلها أو أشد فقال :ادعي الله لي ولا أضرك، فدعت فأطلق، فدعا بعض حجبته فقال: إنكم لم تأتوني بإنسان إنما أتيتموني بشيطان، فأخدمها هاجر، فأتته وهو قائم يصلي،فأومأ بيده: مهيم ؟ قالت : رد الله كيد الكافر – أو الفاجر – في نحره، وأخدم هاجر، قال أبو هريرة : تلك أمكم يا بني ماء السماء. (أخرجه البخاري في صحيحه كتاب أحاديث الأنبياء ح (٣٣٥٨) ومسلم في صحيحه كتاب الفضائل ح (٢٣٧١).

فقوله : ﴿ إني سقيـــم ﴾ أي سأسقم .

وقيل : بل مراده سقيم بما قدر عليه من الموت.

وقيل : بل كانت حمى تأخذه عند طلوع نجم معلوم، فلما رآه اعتذر بعادته، وكل هذا ليس فيه كذب .

وقوله : ﴿ بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون ﴾ فهنا علق خبره بشـــرط نطقه ، وكأنه قال : إن كان ينطق فهو الذي فعل، على طريق التبكيت لقومه . وهـذا صدق أيضا . وقوله لامرأته : إذا سألوك فقولي لهم إنك أختـــي . فإنه ذكـــر وجـــه ذلك في الحديث حيث قال : فإنك أختي في الإسلام وهذا صـــدق فـــإن الله يقـــول : ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾ .

وتسمية النبي صلى الله عليه وسلم لها كذبات ، في قوله : (لم يكـــذب إبراهيـــم إلا ثلاث كذب) وقال في حديث الشفاعة :" ويذكر كذباته " . فمعناه أنه لم يتكلم بكـــلام صورته صورة الكذب وإن كان حقا في الباطن إلا هذه الكلمات . ولما كان مفـــهوم ظاهرها خلاف باطنها أشفق إبراهيم عليه الصلاة والسلام من مؤاخذته بهـــا [1].

---

[1] أهل العلم في وقوع الكذب من إبراهيم الخليل عليه السلام على قولين : فمنهم من يري أن إبراهيـــم عليه السلام كذب، ولكن لمصلحة دينية فهو جائز، ويستندون إلى الحديث لم يكذب إبراهيـــم إلا ثـــلاث كذبات وقد رجحه ابن جرير حيث قال : واختلف في وجه قيل إبراهيم لقومـــه" إنـــي ســـقيم " وهـــو صحيح، فروى عن رسول الله ﷺ أنه قال : لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات " ثم رجح القول بأنه كـــذب لمصلحة دينية فهو جائز استنادا إلى ظاهر الحديث، فقال : والخبر عن رسول اللهﷺ بخلاف هذا القـــول، وقول رسول الله ﷺ هو الحق دون غيره " (انظر تفسير الطبري ٢١/٦٤-٦٥)

وممن قال بهذا ابن حزم، واستدل بقوله ﷺ " ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خـــيرا (أخرجـــه البخاري في صحيحه كتاب الصلح ح (٢٦٩٢) ومسلم في صحيحه كتاب البر والصلـــة ح (٢٦٠٥) (انظر الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم،نشر دار الجيل، بيروت،ط٥،١٤٠٥هـــ ٤/١٥-١٦)

وذهب الأكثر من أهل العلم إلى أن ما صدر من إبراهيم عليه السلام في المواضع الثلاثة إنما هو مـــن قبيل معاريض المقال، وليس كذبا، وعلى هذا القول يكون معنى قول الخليـــل " إنـــي ســـقيم " بالنســـبة إلى ما يستقبل، يعني مرض الموت، إذ أن كل من كان في عقبه المـــوت فـــهو ســـقيم، وإن لـــم يكـــن به حين قالها سقم ظاهر ، أو المعنى : إني سقيم القلـــب لكفركـــم وعنـــادكم، وهـــو ســـقم معنـــوي ، والقـــوم فهمـــوه على أنه سقم حسي لا يستطيع الخليل معه أن يخـــرج بصحبتهم إلى عيـــدهم =

وأما تورية النبي صلى الله علية وسلم : إذا أراد غزوة ورى بغيرها [1].

فليس فيه خلف في القول، وإنما هو ستر لمقصده لئلا يأخذ عدوه حذره . وكتم لوجه ذهابه بالسؤال عن موضع آخر والبحث عن أخباره والتعريض بذكره [2].

= وأما قوله (بل فعله كبيرهم هذا) فقد حملوه على أوجه – أظهرها وهو الذي ذكره كثير من المفسرين ورجحه ابن كثير والقاسمي أن إبراهيم عليه السلام نسب الفعل إلى كبيرهم، وقصده تقريره لنفسه وإثباته لها بأسلوب تعريضي، تبكيتا لهم، وإلزاما للحجة عليهم، لأنهم إذا نظروا النظر الصحيح علموا عجز كبيرهم ، وأنه لا يصلح إلها، فإن إثبات فعل دائر بين اثنين أحدهما عاجز عنه، والآخر قادر عليه للعاجز منهما استهزاء به وإثبات للقادر، وهنا تكسير الأصنام إما أن يكون من إبراهيم عليه السلام وإما أن يكون من كبيرهم، وكبيرهم عاجز عنه قطعا، فنسبته إليه إذن استهزاء، وإثباته لإبراهيم بأسلوب تعريضي يتحقق به غرضه من إلزام قومه الحجة، وتبكيتهم على عبادة ما لا يصلح إلها حيث لا يقدر على شيء. وممن ذهب من علماء أهل السنة إلى أن ما وقع من الخليل عليه السلام في تلك المواضع إنما هو من قبيل معاريض الكلام ابن قتيبة، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم وابن كثير رحمهم الله، (انظر تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص (٢٦٨) مفتاح دار السعادة ومنشورولاية العلم والإرادة لابن القيم، نشر رئاسة البحوث العلمية بالمملكة، بدون رقم وتاريخ الطبع ٣٦/٢، تفسير ابن كثير ٣٤٣/٣) .

يقول شيخ الإسلام : فالكذب على شخص حرام كله، سواء كان الرجل مسلما أو كافرا، برا أو فاجرا، لكن الافتراء على المؤمن أشد بل الكذب كله حرام، ولكن تباح عند الحاجة الشرعية المعاريض، وقد تسمى كذبا، لأن الكلام يعني به المتكلم معنى، وذلك المعنى يريد أن يفهمه المخاطب، فإذا لم يكن علي ما يعنيه فهو الكذب المحض، وإن كان على ما يعنيه ولكن ليس على ما يفهمه المخاطب فهذا المعاريض، وهي كذب باعتبار الإفهام،وإن لم تكن كذبا باعتبار الغاية السائغة، ومنه قول النبيﷺ " لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات " وهذه الثلاثة معاريض (انظر الفتاوى لابن تيمية ٢٢٣/١٥).

[1] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المغازي ح (٤٤١٨) ومسلم في صحيحه كتاب التوبة ح ((٢٧٦٩) من حديث أبي بن كعب في قصة توبته رضي الله عنه وقد قال عليه الصلاة والسلام : الحرب خدعة (أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجهاد ح (٣٠٣٠) ومسلم في صحيحه ، كتاب الجهاد والسير ح (١٧٣٩).

[2] انظر الشفا للقاضي عياض ٢/ ١٤٩-١٥٢، ١٦١-١٧٤.

الفصـــــل الثانـــــي

عصمته فيما يتصل بأمور الدنيـــا والعوارض البشريـــة

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : صفـــة البشرية فيه عليه الصلاة والسلام .

المبحث الثاني : سهوه عليه الصلاة والســـلام .

المبحث الثالث : أحداث تنفى عصمته في أمور الدنيا .

المبحث الرابع : فيما ورد من سحره عليه الصلاة والسلام .

المبحث الأول

صفـــة البشريـــة فيه عليه الصلاة والسلام

ذكر القاضي رحمه الله في كلامه على حقيقة الأنبياء أن ظواهرهم وأجسادهم متصفة بصفات البشر، يطرأ عليها ما يطرأ على البشر من الأعراض والأسقام والموت. ونحو ذلك.

كمافي قوله سبحانه :﴿ وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق﴾ [١] . وكما في قوله : ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ﴾ [٢] .

وهذا مما لا ينقص قدرهم ، ولا يغض من رتبهم.

وقد مرض النبي صلى الله عليه وسلم واشتكى[٣] ، وأدركه الجوع والعطش[٤]، ومسه الضعف والكبر[٥]، وسقط فجحش شقه [٦] وشجه الكفار، وكسروا رباعيته[٧].

---

[١] سورة الفرقان آية (٢٠).

[٢] سورة آل عمران آية (١٤٤).

[٣] عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوعك فمسسته بيدي فقلت : يا رسول الله إنك لتوعك وعكا شديدا ،. فقال : أجل، إني أوعك كما يوعك رجلان منكم " أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المرضى ح (٥٦٦٠) ومسلم في صحيحه ، كتاب البر والصلة والآداب ح (٢٥٧١) .

[٤] عن أبي هريرة رضي الله قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم أو ليلة فإذا هو بأبي بكر وعمر فقال : ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة ؟ قالا : الجوع يا رسول الله . قال : وأنا والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما ٠٠" أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الأشربة ح (٢٠٣٨).

[٥] كما في تعليل جلسته للاستراحة بأنه قد بدن.

[٦] عن أنس رضي الله عنه قال : سقط النبي صلى الله عليه وسلم عن فرس فجحش شقه الأيمن، فدخلنا عليه نعوده ٠٠٠". أخرجه البخاري في كتاب الأذان ح(٦٨٨) ومسلم في كتاب الصلاة ح(٤١١).

[٧] عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : جرح وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكسرت رباعيته، وهشمت البيضة على رأسه، ٠٠" أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجهاد ح(٢٩١١) ومسلم في صحيحه ، كتاب الجهاد والسير ح (١٧٩٠).

ووضع له السم في طعامه[1]، وسحر[2]، واحتجم[3] ، وهذه سمات البشر، التي لا محيص لهم عنها . وأصاب غيره من الأنبياء ما هو أعظم من ذلك ، فقتلوا ، ورموا في النار، ووشروا بالمياشير .

أما أرواحهم فهي متعلقة بالملأ الأعلى متشبهة بصفات الملائكة سليمة من التغير والآفات ، لا يلحقها في الغالب عجز البشرية ولا ضعف الإنسانية ، ولو كانت بواطنهم كظواهرهم خالصة للبشرية لما أطاقوا الأخذ عن الملائكة ورؤيتهم ومخاطبتهم .

وقد قال عليه الصلاة والسلام : " إن عيني تنامان ولا ينام قلبي "[4] ، وقال عليه الصلاة والسلام : " إني لست كهيئتكم إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني"[5] [6].

---

[1] عن أنس رضي الله عنه أن امرأة يهودية أتت رسول الله صلى الله عليه وسل بشاة مسمومة فأكل منها فجيء بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها عن ذلك فقالت : أردت لأقتلك. قال: ما كان الله ليسلطك على ذاك ..قال أنس : فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم -- يعني أثر السم في لهاته- أخرجه البخاري في كتاب الهبة ح(٢٦١٧) ومسلم في كتاب السلام ح(٢١٩٠).

[2] عن عائشة رضي الله عنها قالت : سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم يهودي من يهودي بني زريق يدعى لبيد بن الأعصم. (أخرجه البخاري ومسلم ويأتي في مبحث : ما جاء في سحره).

[3] عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم وأعطى الحجام أجره (أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب العمل في الصلاة ح(١٢٠٢) ومسلم في كتاب السلام ح(١٢٠٥).

[4] جاء عن البخاري في رواية لحديث ابن عباس رضي الله عنهما في قصة نومه عند النبي صلى الله عليه وسلم قلنا لعمرو إن ناسا يقولون إن رسول الله صلى الله عليه وسلم تنام عينه ولا ينام قلبه قال عمرو سمعت عبيد بن عمير يقول : " رؤيا الأنبياء وحي ". انظر الصحيح كتاب الوضوء ح(١٣٨).

[5] أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الصوم ح(١٩٦٦) ومسلم في صحيحه ، كتاب الصيام ح(١١٠٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

[6] انظر الشفاللقاضي عياض ٢/١٠٣-١٠٤، ١٨٤-١٨٥.

المبحث الثاني

سهوه عليه الصلاة والسلام

ثبت وقوع السهو منه صلى الله عليه وسلم في عدة أحاديث ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر فسلم في ركعتين، فقام ذو اليدين، فقال : يا رسول الله أقصرت الصلاة أم نسيت ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " كل ذلك لم يكن "[1] .

وفي الرواية الأخرى، "ما قصرت وما نسيت"[2] .

والناس في السهو والغلط أقسام :

فمنهم من يقول بتجويز الوهم والغلط فيما ليس طريقة من القول البلاغ ،وهذا لا اعتراض عليه بهذا الحديث وأشباهه .

ومنهم من يمنع السهو في أفعاله صلى الله عليه وسلم جملة، ويرى أنه في فعله هذا عامد لصورة النسيان فهو صادق في خبره، لأنه لم ينس ولا قصرت ولكنه أراد التشريع[3] .

---

[1] أخرجه البخاري في كتاب السهو ح(١٢٢٩) ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ح(٥٧٣).

[2] قال ابن حجر رحمه الله : قوله (فقال : لم أنس ولم تقصر) كذا في أكثر الطرق ، وهو صريح في نفي النسيان ونفي القصر، وفيه تفسير للمراد بقوله في رواية أبي سفيان عن أبي هريرة عند مسلم " كل ذلك لم يكن " وتأكيد لما قاله أصحاب المعاني : أن لفظ كل إذا تقدم وعقبها النفي كان نفيا لكل فرد لا للمجموع بخلاف ما إذا تأخرت كأن يقول لم يكن كل ذلك. ولهذا أجاب ذو اليدين في رواية أبي سفيان بقوله " قد كان بعض ذلك " وأجابه في هذه الرواية بقوله " بلى قد نسيت " ، لأنه لما نفى الأمرين وكان مقررا عند الصحابي أن السهو غير جائز عليه في الأمور البلاغية جزم بوقوع النسيان لا بالقصر ، وهو حجة لمن قال : إن السهو جائز على الأنبياء في طريقة التشريع، وإن كان عياض نقل الإجماع على عدم جواز دخول السهو في الأقوال التبليغية وخص الخلاف بالأفعال، لكنهم تعقبوه، نعم اتفق من جوز ذلك على أنه لا يقر عليه بل يقع له بيان ذلك إما متصلا بالفعل أو بعده كما وقع في هذا الحديث من قوله " لم أنس ولم تقصر " ثم تبين أنه نسى. (انظر فتح الباري لابن حجر ١٠١/٣).

[3] قال ابن حجر رحمه الله : وفائدة جواز السهو في مثل ذلك بيان الحكم الشرعي إذا وقع مثله لغيره. وقال أيضا : من يقول : بأن قوله لم أنس على ظاهره وحقيقته وكان يعتمد ما يقع منه من ذلك ليقع التشريع منه بالفعل لكونه أبلغ من القول. وتعقب بحديث ابن مسعود رضي الله عنه ففيه " إنما أنا بشر

ومنهم من يرى إحالة السهو عليه في الأقوال، وتجويزه فيما ليس طريقه القول.

ولأصحاب هذا القول عن هذا الحديث أجوبة، منها :

١- أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر عن اعتقاده وضميره، أما إنكار القصر فحق وصدق، وأما النسيان فقد أخبر عن اعتقاده وأنه لم ينس في ظنه. وهذا صدق أيضا.

٢- أن قوله : " لم أنس " إنكار للفظ الذي نفاه عن نفسه بقوله : " لست أنسى ولكن أنسى" وأنكره على غيره بقوله : " بئس ما لأحدكم أن يقول : نسيت آية كذا وكذا ولكنه نسي[١] " .

ونسيانه إنما هو من قبل نفسه، وقد نسي حتى سأل غيره ، فتحقق أنه نسي ، وأجرى عليه ذلك ليسن. فقوله: " لم أنس ولم تقصر " حق وصدق، فالصلاة لم تقصر ولم ينس حقيقة ولكنه نسي[٢] [٣].

= أنسى كما تنسون"(أخرجه البخاري في كتاب الصلاة ح (٤٠١) ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ح (٥٧٢) فأثبت العلة قبل الحكم وقيد الحكم بقوله " إنما أنا بشر " ولم يكتف بإثبات وصف النسيان حتى دفع قول من عساه يقول ليس نسيانه كنسياننا فقال : كما تنسون " (انظر فتح الباري لابن حجر ١٠١/٣).

[١] وقد تعقب الحافظ من يقول بهذا بقوله : حديث إني لا أنسى لا أصل له فإنه ممن بلاغات مالك التي لم توجد موصولة بعد البحث الشديد، ثم إنه لا يلزم من ذم إضافة نسيان الآية، ذم إضافة نسيان كل شيء فإن الفرق بينهما واضح جدا. (انظر فتح الباري لابن حجر ١٠١/٣) وحديث " بئس ما لأحد منكم ..." أخرجه البخاري في كتاب التفسير ح(٥٠٣٢) ومسلم في كتاب صلاة المسافرين ح(٧٩٠).

[٢] عن عائشة رضي الله عنها قالت : سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يقرأ في المسجد فقال : - رحمه الله - لقد أذكرني كذا وكذا آية أسقطتهن من سورة كذا وكذا " أخرجه البخاري في كتاب الشهادات ح(٦٥٥).

[٣] انظر الشفا للقاضي عياض ٢/ ١٥٥-١٦٠.

المبحث الثالث

أحداث تنفى عصمته في أمور الدنيا

وفيه مطلبـــان :

المطلب الأول : أخبـــاره صلى الله عليه وسلم الدنيوية وعصمته فيها .

المطلب الثاني : ما كان من قبيل الرأي، هل هو معصوم فيه ؟

المطلب الأول

أخبـــاره صلى الله عليه وسلم الدنيوية وعصمتها فيها

ذكر القاضي رحمه الله أن ما كان دارجا تحت باب الخبر فإن الخلف فيه ممتنع في كل حال وعلى أي وجه من عمد أو سهو أو صحة أو مرض أو رضا أو غضب.

أما المعاريض الموهم ظاهرها خلاف باطنها فجائز ورودها منه في الأمور الدنيوية لا سيما لقصد المصلحة ، كتوريته عن وجه مغازيه لئلا يأخذ العدو حذره[1].

وكما روى في ممازحته ، كقوله : " لأحملنك على ابن الناقة "[2] .

وقوله للتي سألته عن زوجها : " أهو الذي بعينه بياض" ؟ وهذا كله صدق فإن كل جمل ابن ناقة وكل إنسان بعينه بياض وقد قال صلى الله عليه وسلم : " إني لأمزح ولا أقول إلا حقا " [3].

وأما ما كان من غير باب الخبر مما صورته الأمر والنهي في الأمور الدنيوية فلا يصح منه أيضا ، ولا يجوز أن يأمر أحدا بشيء أو ينهي أحدا عن شيء

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المغازي ح (٤٤١٨) ومسلم في كتاب التوبة ح ((٢٧٦٩) من حديث أبي بن كعب في قصة توبته رضي الله عنه وقد قال عليه الصلاة والسلام : " الحرب خدعة " أخرجه البخاري في كتاب الجهاد ح (٣٠٣٠) ومسلم في كتاب الجهاد والسير ح (١٧٣٩).

[2] أخرجه أبو داود في سننه كتاب الأدب، باب ما جاء في المزاح ح(٤٩٩٩)، والترمذي في سننه كتاب البر والصلة، باب ما جاء في المزاح ح(١٩٩١) وأحمد في المسند (٢٦٧/٣)، وقال الألباني إسناده صحيح (انظر مشكاة المصابيح للألباني ١٣٦٩/٣ ح (٤٨٨٦)

[3] أخرجه الترمذي في سننه كتاب البر والصلة باب ما جاء في المزاح ح (١٩٩٠) وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد، كتاب علامات النبوة، باب خلقه وحياته وحسن معاشرته، وقال: رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن ١٧/٩.

وهو يبطن خلافه . وقد قال صلى الله عليه وسلم " ما كان لنبى أن تكون له خائنة الأعين" [1] فكيف تكون له خيانة قلب .

وأما قصته مع زيد في قوله سبحانه :﴿ وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق أن تخشاه﴾ [2].

فأصح ما قيل فيها أن الله تعالى أعلم نبيه صلى الله عليه وسلم أن زينب ستكون من أزواجه ، فلما شكاها إليه زيد قال له: ﴿ أمسك عليك زوجك واتق الله ﴾ وأخفى في نفسه ما أعلمه الله به من أنه سيتزوجها ، مما الله مبديه ومظهره بتمام التزويج وتطليق زيد لها [3] .

وأما حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال: لما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت رجال، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " هلموا أكتب كتابا لن تضلوا بعده ".

فقال بعضهم : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجع [4].

وفي رواية: فقال بعضهم: ماله أهجر ! استفهموه. فقال: دعوني فإن الذي أنا فيه خير ، وفي بعض طرقه : أن النبي صلى الله عليه وسلم يهجر.

وفي رواية : هجر ، ويروى : أهجر .

ويروي : أهجرا .

---

[1] أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الحدود، باب الحكم فيمن ارتد ح(٤٣٥٩).

[2] سورة الأحزاب آية (٣٧).

[3] انظر تفسير ابن كثير ٣/٤٩١.

[4] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجهاد ح(٣٠٥٣) ومسلم في كتاب الوصية ح(١٦٣٧).

فالنبي صلى الله عليه وسلم غير معصوم من الأمراض وما يكون من عوارضها منها من شدة وجع، وغشي ونحوه، مما يطرأ على جسمه، ولكنه معصوم أن يكون منه من القول أثناء ذلك ما يطعن في معجزته، أو يؤدى إلى فساد شريعته من هذيان واختلال كلام ، وعليه فلا يصح من الروايات إلا : أهجر على طريق الإنكار على من قال : لا نكتب ، لأن هجر معناه : هذى وأهجر هجرا إذا أفحش ، وقد تحمل رواية من رواه هجر على حذف ألف الاستفهام والتقدير : أهجر، أو يكون قائل ذلك قاله دهشة وحيرة من عظيم ما رأى من حال النبي صلى الله عليه وسلم[1] .

وأما حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اللهم إنما محمد بشر ، يغضب كما يغضب البشر ، وإني قد اتخذت عندك عهدا لن تخلفنيه فأيما مؤمن آذيته أو سببته أو جلدته فاجعلها كفارة له، وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة[2].

---

[1] نقل الحافظ في الفتح عن القرطبي كلاما في هذه الروايات وهذا ملخصه قال رحمه الله: هجر الراجح فيها إثبات همزة الاستفهام وفتحها على أنه فعل ماض قال : ولبعضهم : أهجرا بضم الهاء وسكون الجيم والتنوين على أنه مفعول لفعل مضمر أي: قال هجرا. والهجر بالضم ثم السكون الهذيان، والمراد به هنا ما يقع من كلام المريض الذي لا ينتظم ولا يعتد به لعدم فائدته ووقوع ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم مستحيل لأنه معصوم في صحته ومرضه لقوله تعالى : (وما ينطق عن الهوى) ولقوله صلى الله عليه وسلم "إني لا أقول في الغضب والرضا إلا حقا"، وإذا عرف ذلك فإنما قاله من قاله منكرا على من توقف في امتثال أمره بإحضار الكتف والدواة فكأنما قال: كيف تتوقف أتظن أنه كغيره يقول الهذيان في مرضه ؟ امتثل أمره وأحضره ما طلب فإنه لا يقول إلا الحق. قال القرطبي هذا أحسن الأجوبة ، قال ابن حجر رحمه الله : ويظهر لي ترجيح ما ذكره القرطبي من احتمال أن قائل ذلك بعض من قرب دخوله في الإسلام وكان يعهد أن من اشتد عليه الوجع قد يشتغل به عن تحرير ما يريد أن يقوله لجواز وقوع ذلك، ولهذا وقع في الرواية الثانية: "فقال بعضهم إنه قد غلبه الوجع" (انظر فتح الباري لابن حجر ١٣٣/٨).

[2] أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب البر والصلة والآداب ح(٢٦٠١).

وفي رواية : فأيما أحد دعوت عليه بدعـــوة.

وفي رواية : ليس لها بأهل. فكيف يصح أن يلعن النبي صلى الله عليه وسلم مـــن لا يستحق اللعن ويسب من لا يستحق السب ويجلد من لا يستحق الجلـــد ؟ !

والجواب عن هذا بأن يقال: المراد هنا بقوله " ليس لها بأهل " أي عندك يا رب فـــي باطن أمره فإن حكمه صلى الله عليه وسلم على الظاهر كما قال.

ثم إنه صلى الله عليه وسلم لشفقته على أمته وحذره أن يتقبل الله دعوته فيمن دعـــا عليه منهم ؛ دعا ربه أن يجعل دعاءه ولعنه رحمة لمن دعا عليه. فهو معنى قولـــه: "ليس لها بأهل". وقد يحمل دعاؤه هنا بما جرت عليه عادة العرب، وليس المراد بـــها الإجابة. ولا يراد بها حقيقة الدعاء. كقوله صلى الله عليه وسلم "تربـــت يمينـــك"[١] وقوله: "لا أشبع الله بطنك"[٢].

وأما ما ورد من حديث عائشـــة رضى الله عنها في الداخل عليه قال عليـــه الصلاة والسلام: بئس ابن العشيرة. فلما دخل ألان له القول وضحك معه. فلما سألته عائشة عن ذلك قال: إن من شر الناس من اتقـــاه الناس لشره[٣].

وكيف جاز أن يظهر خلاف ما يبطن.

فإن فعله هنا كان استئلافا لمثله وتطييبا لنفسه ليتمكن إيمانه فهذا من السياسة الدينية.

وقوله فيه: "بئس ابن العشيرة" من باب التعريف به لا مـــن الغيبـــة. حتـــى يحـــذر ويحترز منه، ولئلا يوثق بجانبه كل الثقـــة[٤].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الحيض من حديث أم سلمة بلفظ " يداك " ح(٣١٣).

[٢] أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب البر والصلة ح(٢٦٠٤).

(٣)أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب ح(٦١٣١) ومسلم في كتاب البر والصلة ح(٢٥٩١).

[٤] انظر الشفا للقاضي عياض ٢/ ١٩٣-٢٠٧ .

المطلب الثانـــي

ما كان من قبيل الرأي هل هو معصوم فيه ؟

قد يعتقد النبي صلى الله عليه وسلم في أمور الدنيا الشيء على وجه ويظهر خلافه ، أو يكون منه على شك أو ظن، وقد يقول قولا فيستدرك، أو يعترف بوهم اعتراه في شيء أخبر به. كما دلت على هذا حوادث متعددة. منها حديث رافع بن خديج رضى الله عنه قال: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يأبرون النخل. فقال: ما تصنعون ؟ قالوا: كنا نصنعه. قال: لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا. فتركوه فنقصت. فذكروا ذلك له. فقال: إنما أنا بشر، إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر؟[1].

وفي رواية أنس رضى الله عنه: " أنتم أعلم بأمر دنياكم " .

وفي رواية: " إنما ظننت ظنا فلا تؤاخذوني بالظن".

وفي حديث ابن عباس رضى الله عنهما في قصة الخرص – فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إنما أنا بشر ، فما حدثتكم عن الله فهو حق وما قلت فيه من قبل نفسي فإنما أنا بشر أخطئ وأصيب ".

ولما نزل بأدنى مياه بدر قال له الحباب بن المنذر: أهذا منزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: "لا؛ بل هو الرأي والحوب والمكيدة". قال: فإنه ليس بمنزل، انهض حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزل، ثم نغور ما وراءه من القلب، فنشرب ولا يشربون. فقال: "أشرت بالرأي" وفعل ما قاله[2].

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الفضائل ح(٢٣٦٢). والرواية الثانية : " إنما ظننت ظنا " عند مسلم من حديث طلحة رضي الله عنه، انظر الصحيح كتاب الفضائل ح(٢٣٦١).

[2] أوردها ابن هشام في السيرة النبوية ٦٢٠/٢، وسندها حسن إلى عروة بن الزبير، لكنه مرسل.

وأراد مصالحة بعض عدوه على ثلث ثمر المدينة فاستشار الأنصار فلما أخبروه برأيهم رجع عنه .

وقال صلى الله عليه وسلم: " والله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيرا منها إلا فعلت الذي حلفت عليه وكفرت عن يميني"[1].

وقد قال الله سبحانه : ﴿ وشاورهم في الأمر ﴾ [2].

وهذا - أي اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه ونحوه - جائز في بعض الأمور ويجوز في النادر فيما سبيله التدقيق في حراسة الدنيا واستثمارها لا في الكثير المؤذن بالبله والغفلة.

وأما ما يعتقد في أمور أحكام البشر الجارية على يديه وقضاياهم ومعرفة المحق من المبطل وعلم المصلح من المفسد فبهذه السبيل . لقوله صلى الله عليه وسلم : "إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو مما أسمع، فمن قضيت له من حق أخيه بشيء، فلا يأخذ منه شيئا، فإنما أقطع له قطعة من النار" [3] [4].

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب كفارات الأيمان ح(٦٧١٨) ومسلم في صحيحه ، كتاب الأيمان والنذور ح (١٦٤٩).

[2] سورة آل عمران آية (١٥٩).

[3] أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأحكام ح(٧١٨١) ومسلم في كتاب الأقضية ح(١٧١٣).

[4] انظر الشفا ٢/ ١٨٩-١٩٢.

المبحث الرابع

فيما ورد من سحره عليه الصلاة والسلام

عن عائشـــة رضى الله عنها قالت : " سحر رسول الله صلى الله عليه وسـلم حتى إنه ليخيل إليه أنه فعل الشيء وما فعله "[1] .

وفي رواية: حتى كان يخيل إليه أنه يأتي النساء ولا يأتيهن. والسحر مـرض من الأمراض وعارض من العلل ، يجوز عليه كأنواع الأمراض مما لا يقـدح فـي نبوته. وأما قول عائشـة رضى الله عنها: " حتى إنه ليخيل إليه أنه فعل الشيء ومـا فعله" فليس في هذا ما يقدح من صدقـه. ولا يدخل عليه داخلـة فـي شـيء مـن شريعته. فإن الإجماع قائم على عصمته من هذا، وإنما هو فيما يجوز طروؤه عليـه في أمر دنياه، التي هو فيها عرضة للآفات كسائر البشر. فغير بعيد أن يخيـل إليـه من أمورها ما لا حقيقة له، ثم ينجلـي عنه كما كان.

ولم ينقل عنه في هذا قول بخلاف ما كان أخبر أنه فعله ولم يفعلـه وإنمـا كـانت خـواطر وتخيـلات [2].

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الطب ح (٥٧٦٣) ومسلم في صحيحه كتاب السلام ح (٢١٨٩).

[2] والجمهور على أن للسحر حقيقة وتأثير بإذن الله كما قال سبحانه : (وما هم بضارين به من أحـد إلا بإذن الله) فأثبت الضرر وقرنه بالمشيئة له عز وجل. (انظر فتـح البـاري لابـن حجـر ٢٣٣/١٠) وقد نقل النووي عن المازري رحمه الله قوله : مذهب أهل السنة وجمهور علماء الأمـة علـى إثبـات السحر وأن له حقيقة، كحقيقة غيره من الأشياء الثابتة خلافا لمن أنكر ذلك، ونفى حقيقته وأضاف ما يقع منه إلى خيالات باطلة لا حقائق لها وقد ذكره الله في كتابه، وذكر أنه مما تعلم وذكر ما فيه إشارة إلـى أنه مما يكفر به وأنه يفرق بين المرء وزوجه وهذا كله لا يمكن فيما لا حقيقة له. وهذا الحديث أيضـا مصرح بإثباته وأنه أشياء دفنت وأخرجت، وهذا كله يبطل ما قالوه، فإحالة كونه من الحقـائق محـال. ولا يستنكر في العقل أن الله سبحانه يخرق العادة عند النطق بكلام ملفق أو تركيب أجسام أو المزج بيـن قوى على ترتيب لا يعرفه إلا الساحر وإذا شاهد الإنسان بعض الأجسام فمنها قاتلة، ومنـها مسـقمة = = كالأدوية الحادة ومنها مضرة كالأدوية المضادة للمرض لم يستبعد عقله أن ينفرد الساحر بعلم قـوي قتالة أو كلام مهلك أو مؤد إلى التفرقة (انظر شرح مسلم للنووي ١٧٤/١٤) .

وقد فسرت هذه الرواية بالرواية الأخرى التي تقول فيها عائشة رضى الله عنه حتى كان يخيل إليه أنه يأتي النساء ولا يأتيهن[1].

وذكر القاضي رحمة الله أنه استبان من بعض روايات الأحاديث أن السحر إنما تسلط على ظاهره وجوارحه لا على قلبه واعتقاده وعقله وإنما أثر في بصره، وحبسه عن وطء نسائه وطعامه وأضعف جسمه وأمرضه .

ويكون معنى قولها : " يخيل إليه أنه يأتي أهله ولا يأتيهن " أي : يظهر له من نشاطه القدرة على النساء فإذا دنا منهن أصابته أخذة السحر، فلم يقدر على إتيانهن كما يعتري من أخذ واعترض.

ولعله لمثل هذا أشار سفيان بقوله : وهذا أشد ما يكون من السحر.

ويكون قول عائشة رضى الله عنها : إنه ليخيل إليه أنه فعل الشيء وما فعله. من باب ما اختل من بصره، فيظن أنه رأى شخصا من بعض أزواجه أو شاهد فعلا من

---

[1] نقل الحافظ في الفتح عن المازرى قوله : أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث وزعموا أنه يحط منصب النبوة ويشكك فيها، قالوا: وكل ما أدى إلى ذلك فهو باطل، وزعموا أن تجويز هذا يعدم الثقة. بما شرعوه من الشرائع إذ يحتمل على هذا أن يخيل إليه أنه يرى جبريل وليس هو ثم. وأنه يوحى إليه بشيء ولم يوح إليه بشيء. قال المازرى : وهذا كله مردود لأن الدليل قد قام على صدق النبي صلى الله عليه وسلم فيما يبلغه عن الله تعالى وعلى عصمته في التبليغ والمعجزات شاهدة بتصديقه، فتجويز ما قام الدليل على خلافه باطل وأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يبعث لأجلها ولا كانت الرسالة من أجلها فهو في ذلك عرضة لما يتعرض البشر كالأمراض فغير بعيد أن يخيل إليه في أمر من أمور الدنيا ما لا حقيقة له مع عصمته عن مثل ذلك في أمور الدين ، وقد قال بعض الناس : إن المراد بالحديث أنه كان صلى الله عليه وسلم يخيل إليه أنه وطئ زوجاته ولم يكن وطأهن، وهذا كثير ما يقع تخيله للإنسان في المنام فلا يبعد أن يخيل إليه في اليقظة.

قال الحافظ : وهذا قد ورد صريحا في رواية ابن عيينة ولفظه " حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن " ح(٥٧٦٥)(انظر فتح الباري ١٠/٢٢٦-٢٢٧).

غيره، ولم يكن على ما يخيل إليه ؛ لما أصابه في بصره وضعف نظره. لا لشـــيء طرأ عليه في تمييزه[1] [2].

---

[1] قال ابن القيم رحمه الله : وهذا الحديث ثابت عند أهل العلم بالحديث متلقى بالقبول بينهم، لا يختلفـون في صحته، وقد اعتاص على كثير من أهل الكلام وغيرهم، وأنكروه أشد الإنكار، وقـــابلوه بـــالتكذيب وصنف بعضهم فيه مصنفا مفردا حمل فيه على هشام بن عروة بن الزبير، قال : لأن النبي صلـــى الله عليه وسلم لا يجوز أن يسحر، فإنه يكون تصديقا لقول الكفار : (إن تتبعون إلا رجلا مسحورا)، قـالوا فالأنبياء لا يجوز عليهم أن يسحروا، فإن ذلك ينافي حماية الله لهم، وعصمتهم من الشيطان. وهذا الـذي قاله هؤلاء مردود عند أهل العلم، فإن هشاما من أوثق الناس وأعلمهم، ولم يقدح فيه أحد من الأئمة بمـا يوجب رد حديثه، فما للمتكلمين وما لهذا الشأن؟ وقد رواه غير هشام عن عائشة، وقد اتفـق أصحـاب الصحيحين على تصحيح هذا الحديث، ولم يتكلم فيه أحد من أهل الحديث بكلمة واحدة، والقصة مشـهورة عند أهل التفسير والسنن والحديث والتاريخ والفقهاء، وهؤلاء أعلم بأحوال الرسول صلى الله عليه وسـلم وأيامه من المتكلمين. قالوا : السحر الذي أصابه كان مرضا من الأمراض عارضا شفاه الله منـــه، ولا نقص في ذلك ولاعيب بوجه ما، فإن المرض يجوز على الأنبياء، وكذلك الإغماء فقد أغمى عليه صلـى الله عليه وسلم في مرضه، ووقع حين انفكت قدمه وجحش شقه، وهذا من البلاء الذي يزيده الله به رفعـة في درجاته ونيل كرامته، وأشد الناس بلاء الأنبياء، فابتلوا من أممهم بما ابتلوا به من القتل والضـــرب والشتم والحبس، فليس ببدع أن يبتلى النبي صلى الله عليه وسلم من بعض أعدائه بنوع من السحر، كمـا ابتلى بالذي رماه فشجه، وابتلي بالذي ألقى على ظهره السلا وهو ساجد، وغير ذلك، فلا نقص عليـــهم، ولا عار في ذلك، بل هذا من كمالهم وعلو درجاتهم عند الله. قالوا : أما قوله تعالى عن الكفـــار أنـــهم قالوا : (إن تتبعون إلا رجلا مسحورا) فالصواب – وهو جواب صاحب الكشاف وغيره – أن المسحور على بابه وهو من سحر حتى جن، فقالوا : مسحور مثل مجنون، أي زائل العقل لا يعقل ما يقول، فـإن المسحور الذي لا يتبع هو الذي فسد عقله بحيث لا يدري ما يقول، فهو كالمجنون ولهذا قالوا فيه (معلم مجنون) " الدخان (١٤). فأما من أصيب في بدنه بمرض من الأمراض يصاب به الناس، فإنه لا يمنـــع ذلك من اتباعه، وأعداء الرسل لم يقذفوهم بأمراض الأبدان، وإنما قذفوهم بما يحذرون به سفهاء هم مـن اتباعهم، وهو أنهم قد سحروا حتى صاروا لا يعلمون ما يقولون بمنزلة المجانين. وأما قولكم : إن سحر الأنبياء ينافي حماية الله لهم، فإنه سبحانه كما يحميهم ويصونهم ويحفظهم ويتولاهم، فيبتليهم بما شاء من أذى الكفار لهم ليستوجبوا كمال كرامته، وليتسلى بهم من بعدهم من أممهم وخلفائهم إذا أوذوا من النـاس فرأوا ما جرى على الرسل والأنبياء، صبروا ورضوا وتأسوا بهم، ولتمتلئ صاع الكفار فيستوجبوا مـا أعد لهم من النكال العاجل والعقوبة الآجلة، فيمحقهم بسبب بغيهم وعدوانـــهم، فيعجـل تطـــهير الأرض منهم، فهذا من بعض حكمته تعالى في ابتلاء أنبيائه ورسله بإيذاء قومهم، وله الحكمة البالغة والنعمة = = السابغة، لا إله غيره، ولا رب سواه. (انظر تفسير المعوذتين لابن القيم ص ٣٢-٣٦ ؛ انظر بدائـــع الفوائد لابن القيم ٢٢٣/٢) قال المازري: لقد قام الدليل على صدق النبي صلى الله عليه وســـلم فيمـا يبلغه عن الله تعالى وعلى عصمته في التبليغ، والمعجزات شاهدات بتصديقه فتجويز ما قام الدليل علـى =

= خلافه باطل، وأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يبعث لأجلها، ولا كانت الرسالة من أجلها، فهو في ذلك عرضة لما يعترض البشر كالأمراض، فغير أن يخيل إليه في أمر من أمور الدنيا، ما لا حقيقة له مع عصمته عن مثل ذلك في أمور الدين.

ثم قال : إن المراد بالحديث أنه صلى الله عليه وسلم كان يخيل إليه أنه وطئ زوجاته، ولم يكن وطأهن، وهذا كثيرا ما يقع تخيله للإنسان في المنام، فلا يبعد أن يخيل إليه في اليقظة، قال ابن حجر: وهذا قد ورد صريحا في رواية ابن عيينة، ولفظه : (حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن) وفي رواية (أنه يأتي أهله ولا يأتيهم).

ويقول الإمام النووي في رده على من أنكر الحديث، وفي بيان عدم المعارضة بين ثبوت الحديث والعصمة له صلى الله عليه وسلم وكيفية الجمع (قال وقد أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث، بسبب آخر فزعم أنه يحط منصب النبوة، ويشكك فيها وأن تجويزه يمنع الثقة بالشرع، وهذا الذي ادعاه هؤلاء المبتدعة باطل، لأن الدلائل القطعية قد قامت على صدقه وصحته وعصمته، فيما يتعلق بالتبليغ والمعجزة شاهدة بذلك، وتجويز ما قام الدليل بخلافه باطل فأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يبعث بسببها، ولا كان مفضلا من أجلها، وهو مما يعرض للبشر، فغير بعيد أن يخيل إليه من أمور الدنيا ما لا حقيقة له وقد قيل أنه إنما كان يتخيل إليه أنه وطئ زوجاته، وليس بواطئ وقد يتخيل الإنسان مثل هذا في المنام فغير بعيد تخيله في اليقظة ولا حقيقة له، وقيل أنه يخيل إليه أنه فعله وما فعله ولكن لا يعتقد صحة ما يتخيله، فتكون اعتقاداته على السداد، قال القاضي عياض وقد جاءت روايات هذا الحديث مبينة، أن السحر إنما تسلط على جسده وظواهر جوارحه لا على عقله، وقلبه واعتقاده ويكون معنى قوله في الحديث حتى يظن أنه يأتي أهله ولا يأتيهن، ويرى (يخيل إليه) أي يظهر له من نشاطه، ومتقدم عادته القدرة عليهن فإذا دنى منهن أخذه أخذة السحر، فلم يأتهن ولم يتمكن من ذلك كما يعتري المسحور، وكل ما جاء في الروايات من أنه يخيل إليه فعل شيء ولم يفعله ونحوه، فمحمول على التخيل بالبصر، لا لخلل تطرق إلى العقل، وليس في ذلك ما يدخل لبسا على الرسالة ولا طعنا لأهل الضلالة (انظر شرح مسلم للنووي ١٤/١٧٤-١٧٥).

(٢) انظر الشفا للقاضي عياض ٢/ ١٨٦-١٨٨.

الفصـــــل الثـــالـــــث

مـــوقـــف أهـــل السنـــة والجمـــاعـــــة

مـــن العصمـــــــة

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : موقفهم من العصمة في التبليغ.

المبحث الثاني: موقفهم من العصمة في أمور الدنيا.

المبحث الأول

موقفهـــم من العصمـــة في التبليـــغ

مذهب أهل السنة والجماعة أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون فيما يبلغونه عن الله تعالى.

قال شيخ الإسلام : فإنهم متفقون – أي المسلمين – على أن الأنبياء معصومون فيما يبلغونه عن الله تعالى، وهذا هو مقصود الرسالة فإن الرسول هو الذي يبلغ عن الله أمره ونهيه وخبره، وهم معصومون في تبليغ الرسالة باتفاق المسلمين، بحيث لا يجوز أن يستقر في ذلك شيء من الخطأ[1] .

وقال : وما أنبأ به النبي عن الله لا يكون كذبا، لا خطأ ولا عمدا فلابد أن يكون صادقا فيما يخبر به عن الله. يطابق خبره مخبره. لا تكون فيه مخالفة لا عمدا ولا خطأ، وهذا معنى قول من قال: هم معصومون فيما يبلغونه عن الله [2].

والعصمة للأنبياء في التبليغ ثابتة بالشرع والعقل والإجماع . فأما الشرع فقد دلت نصوص كثيرة على عصمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فيما يبلغه عن الله، فمن ذلك قوله سبحانه ﴿ ولو تقول علينا بعض الأقاويل * لأخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين * فما منكم من أحد عنه حاجزين﴾[3].

قال ابن كثير – رحمه الله– : أي محمد صلى الله عليه وسلم لو كان كما يزعمون مفتريا علينا فزاد في الرسالة أو نقص منها أو قال شيئا من عنده فنسبه إلينا، وليس كذلك لعاجلناه بالعقوبة، ولهذا قال: ﴿ لأخذنا منه باليمين﴾.

قيل معناه لانتقمنا منه باليمين لأنها اشد في البطش.

---

(٢) منهاج السنة النبوية لابن تيمية ١/٤٧٠-٤٧١؛ ٢/٣٩٦ .

[2] النبوات لابن تيمية ص ٣٣٣ .

[3] سورة الحاقة الآيات (٤٤-٤٧) .

وقيل: لأخذنا منه بيمينه، والمعنى في هذا بل هو صادق بار راشد لأن الله عز وجل مقرر له ما يبلغه عنه ومؤيد له بالمعجزات الباهرات، والدلالات القاطعات[1].

وقال سبحانه: ﴿ وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى﴾[2]. قال ابن كثير: أي ما يقول قولا عن هوى وغرض، إنما يقول ما أمر به يبلغه إلى الناس كاملا موفورا من غير زيادة ولا نقصان[3].

وأما السنة فوردت في تقرير هذا المعنى أيضا.

فمن ذلك قول هرقل في قصته مع أبي سفيان المشهورة. حين سأله عن النبي صلى الله عليه وسلم هل كان متهما بالكذب قبل النبوة ؟ فأجاب أبو سفيان بالنفي. فقال هرقل : إنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله [4].

وفي صحيح مسلم في قصة تأبير النخل قال عليه الصلاة والسلام : " إني إنما ظننت ظنا فلا تؤاخذوني بالظن، ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئا فخذوا به ، فإني لن أكذب على الله عز وجل "[5] .

وأما دليل العقل على العصمة في التبليغ فهو منافاة الكذب لدلالة المعجزة ومقصود الرسالة .

قال شيخ الإسلام : فإن الأمة متفقة على أن ذلك - ما يتعلق بتبليغ الرسالة - معصوم أن يقر فيه على خطأ فإن ذلك يناقض مقصود الرسالة ومدلول المعجزة[6].

---

[1] تفسير ابن كثير ٤/٤٤٥.

[2] سورة النجم الآيات (٣-٤).

[3] تفسير ابن كثير ٤/٢٦٤.

[4] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير ح(٤٥٥٣) ومسلم في كتاب الجهاد والسير ح(١٧٧٣).

[5] أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الفضائل ح(٢٤٦٢).

[6] انظر الفتاوى لابن تيمية ١٥/١٤٧-١٤٨.

وقال: فإن كل من أرسله الله لا بد أن يكون صادقا في كل ما يبلغه عن الله لا يكذب فيه عمدا ولا خطأ، وهذا أمر اتفق عليه النـــاس كلـــهم المســـلمون واليـــهود والنصارى وغيرهم، اتفقوا على أن الرسول لابد أن يكون صادقا معصومـــــا فيمـــا يبلغه عن الله، لا يكذب على الله خطأ ولا عمدا، فإن مقصود الرســـــالة لا يحصـــل بدون ذلك، كما قال موسى عليه السلام لفرعون:﴿يا فرعون إني رســـول مـــن رب العالمين * حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق﴾[1].

وقـــال السفاريني: فالصدق واجب في حقهم - أي الأنبياء - عقلا وشـــــرعا. وهو مطابقة أخبارهم للواقع إيجابا وسلبا إذ لو جاز عليهم الكذب الـــذي هـــو عـــدم مطابقة الواقع لجاز الكذب في خبره تعالى لتصديقه إياهم بالمعجزة ، منزلـــة قولـــه تعالى: صدق عبدي في كل ما يبلغ عنى، وتصديق الكاذب من العالم بكذبه محـــض الكذب والكذب على الله محال، فلزومه كذلك[2].

وأما دليل الإجماع فقد نص عليه غير واحد من الأئمة، كشيخ الإســـلام ابـــن تيمية كما تقدم كلامه في هذه المسألة.

والسفاريني حيث قال: وقد أجمعت الأمـــة على أن ما كان طريقـــه الإبـــلاغ فالأنبياء والرسل معصومون فيه من الإخبار عن شيء منه بخلاف الواقع لا قصـــدا ولا عمدا ولا سهوا ولا غلطا على تفصيل في بعض الأمور[3].

---

[1] سورة الأعراف الآيات (١٠٤-١٠٥).

[2] انظر لوامع الأنوار البهية للسفاريني ٣٠٧/٢.

[3] المصدر السابق .

وممن حكى الإجماع على ذلك الشوكاني فقد قال : وهكذا وقع الإجماع على عصمتهم بعد النبوة من تعمد الكذب في الأحكام الشرعية لدلالة المعجزة على صدقهم[1].

وحكى الإجماع أيضا الآمدي[2]، وغيره من أهل العلم.

---

[1] انظر إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول للشوكاني ، نشر دار الفكر ، بيروت ، بدون رقم وتاريخ الطبع ، ص ٣٣.

[2] انظر الإحكام في أصول الأحكام للآمدي ، تعليق عبد الرزاق عفيفي ، نشر المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، عام ١٤٠٢ هـ ١/١٠٧.

المبحث الثاني

موقفهم من العصمة في أمور الدنيا

انبثق موقف أهل السنة والجماعة تجاه عصمة الأنبياء في أمور الدنيا من خلال النصوص الشرعية الواردة في ذلك والتي تقرر في الأصل أن الأنبياء إنما هم من سائر البشر فليسوا بملائكة، وليس لديهم قدرات على التصرف في نواميس الكون.

يقول سبحانه : ﴿ وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا * أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا * أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا * أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا ﴾ [1].

وقال عليه الصلاة والسلام : " لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم فإنما أنا عبد ، فقولوا : عبد الله ورسوله "[2].

ومن لوازم بشريتهم احتياجهم لما يحتاج البشر، وطروء العوارض عليهم من مرض وجوع كسائر البشر.

ولعلي أشير إلى بعض هذه الأمور على التفصيل، فمن ذلك :

١) الخوف الطبيعي، كما في قوله سبحانه:﴿ وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى أقبل ولاتخف إنك من الآمنين﴾[3].

---

[1] سورة الإسراء الآيات (٩٠-٩٣).

[2] أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء ح(٣٤٤٥).

[3] سورة القصص آية (٣١).

قال ابن كثير رحمه الله : ولى مدبرا ولم يعقب ، أي ولم يكن يلتفت ، لأن طبع البشرية ينفر من ذلك[1].

وفي خبر إبراهيم عليه السلام وضيفه من الملائكة يقول سبحانه :﴿ فلما رأى أيديهم لاتصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة﴾[2] .

٢) الغضب ، كما في قوله سبحانه: ﴿ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا قال بئسما خلفتموني من بعدي أعجلتم أمر ربكم وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه﴾ [3].

قال ابن كثير– رحمه الله – : يخبر تعالى أن موسى عليه السلام لما رجع إلى قومه من مناجاة ربه تعالى وهو غضبان آسف ، قال أبو الدرداء الأسف أشد الغضب ٠٠ ، وقال رحمه الله: ظاهر السياق أنه إنما ألقى الألواح غضبا على قومه وهذا قول جمهور العلماء سلفا وخلفا [4].

وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " اللهم إنما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر" [5].

٣) السهو والنسيان ، كما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: قال سليمان بن داود لأطوفن الليلة على تسعين امرأة كلها تأتي بفارس يقاتل في سبيل الله٠ فقال له صاحبه : قل

---

[1] انظر تفسير ابن كثير ٣٨٩/٣.

[2] سورة هود آية (٧٠).

[3] سورة الأعراف آية (١٥٠).

[4] انظر تفسير ابن كثير ٢٤٩/٢.

[5] أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب ح (٢٦٠١).

إن شاء الله فلم يقل ونسي ، فطاف عليهن جميعا ، فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة، فجاءت بشق رجل وايم الذي نفس محمد بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون " [1]

قال ابن حجر رحمه الله : فيه جواز السهو على الأنبياء وأن ذلك لا يقدح في علو منصبهم [2].

وعند الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا في طلب آدم من ربه أن يزيد عمر داود من عمره أربعين سنة قال : فلما انقضى عمر آدم جاءه ملك الموت قال : أو لم يبق من عمري أربعون سنة ؟ قال : أو لم تعطها ابنك داود ؟ قال : فجحد فجحدت ذريته ونسي آدم فنسيت ذريته وخطئ آدم فخطئت ذريته " [3].

وقد قال الله عز وجل : ﴿ ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما﴾ [4] .

وقد نقل ابن كثير عن ابن أبى حاتم بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : إنما سمى الإنسان لأنه عهد إليه فنسي[5].

٤) الخطأ في إصابة الحق في القضاء ، كما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : بينما امرأتان

---

[1] أخرجه البخاري في كتاب الأيمان والنذور ح(٦٦٣٩) ومسلم في كتاب الأيمان ح(١٦٥٤).

[2] انظر فتح الباري ٤٦٢/٦.

[3] أخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن باب تفسير سورة الأعراف ح(٣٠٧٦).

[4] سورة طه الآية (١١٥).

[5] انظر تفسير ابن كثير ١٦٧/٣.

معهما ابناهما جاء الذئب فذهب بابن إحداهما ، فقالت هذه لصاحبتها : إنما ذهب بابنك أنت ، وقالت الأخرى إنما ذهب بابنك ، فتحكمتا إلى داود فقضى به للكبرى ، فخرجتا على سليمان بن داود عليهما السلام فأخبرتاه ، فقال ائتوني بالسكين أشقه بينكما فقالت الصغرى : لا ؛ يرحمك الله هو ابنها فقضى به للصغرى[1].

وعن أم سلمة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سمع خصومة بباب حجرته فخرج إليهم فقال : " إنما أنا بشر وإنه يأتيني الخصم فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض فأحسب أنه صادق فأقضي له بذلك، فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من النار فليأخذها أو ليتركها "[2].

قال ابن حجر رحمه الله في شرحه لهذا الحديث: وفيه أنه صلى الله عليه وسلم كان يقضي بالاجتهاد فيما لم ينزل عليه فيه شيء، وخالف في ذلك قوم وهذا الحديث من أصرح ما يحتج به عليهم.

وقال: والحديث حجة لمن أثبت أنه قد يحكم بالشيء في الظاهر ويكون الأمر في الباطن بخلافه، ولا مانع من ذلك إذ لا يلزم منه محال عقلا ولا نقلا .

وقال أيضا : ومن حجج ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: " أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم."

---

[1] أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء ح(٦٧٦٩) ومسلم في كتاب الأقضية ح(١٧٢٠).

[2] أخرجه البخاري في كتاب الأحكام ح(٧١٨١) ومسلم في كتاب الأقضية ح(١٧١٣).

فيحكم بإسلام من تلفظ بالشهادتين ولو كان في نفس الأمر يعتقد خلاف ذلك والحكمة في ذلك مع أنه كان يمكن إطلاعه بالوحي على كل حكومة ، أنه لما كان مشرعا كان يحكم بما شرع للمكلفين ويعتمده الحكام بعده، ومن ثم قال " إنما أنا بشر" أي في الحكم بمثل ما كلفوا به.

وقال رحمه الله : ولعل السر في قوله " إنما أنا بشر" امتثال قول الله تعالى : (قل إنما أنا بشر مثلكم) أي في إجراء الأحكام على الظاهر الذي يستوي فيه جميع المكلفين فأمر أن يحكم بمثل ما أمروا أن يحكموا به ليتم الاقتداء به وتطيب نفوس العباد للانقياد إلى الأحكام الظاهرة من غير نظر إلى الباطن [1].

٥) جواز الخطأ عند الاجتهاد في الأمور الدنيوية.

ويدل على هذا حديث رافع بن خديج رضي الله عنه قال : قدم نبى الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يأبرون النخل، يقولون: يلقحون النخل ، فقال : ما تصنعون؟ قالوا: كنا نصنعه. قال: لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا . فتركوه فنفضت أو فنقصت. قال:فذكروا ذلك له فقال:إنما أنا بشر، إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به،وإذا أمرتكم بشيء من رأي فإنما أنا بشر"[2].

وعن طلحة رضي الله عنه قال : مررت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوم على رؤوس النخل، فقال: ما يصنع هؤلاء ؟ فقالوا: يلقحونه يجعلون الذكر في الأنثى فيلقح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما أظن يغني ذلك شيئا"، قال : فأخبروا بذلك فتركوه، فأخبر رسول الله صلى الله

---

[1] انظر فتح الباري ١٣/١٧٤-١٧٥.

[2] أخرجه مسلم في كتاب الفضائل ح (٢٣٦٢).

عليه وسلم بذلك فقال: "إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه فإني إنما ظننـــت فـــلا تؤاخذوني بالظن ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئا فخذوا به فإني لن أكذب على الله عز وجل"[٣].

[٣] أخرجه مسلم في كتاب الفضائل ح(٢٣٦١).

الخـــــاتـــمة

الخاتمة

بعد هذا العرض المختصر لمسائل النبوة في كتاب الشفا للقاضي عياض، والذي حرصت على إتمامه بصورة مناسبة، أود أن أسطر أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث المتواضع، وذلك كما يلي :-

١- يعد القاضي عياض - رحمه الله - من العلماء المبرزين، الذين حفلت بهم الساحة الإسلامية، وهو من أشهر علماء المغرب المالكية.

٢- أثرى القاضي الساحة الإسلامية بالعديد من المؤلفات القيمة، والتي توضح مدى تمكنه من كثير من العلوم الشرعية.

٣- أولى القاضي لمباحث النبوة اهتماماً خاصاً، حيث أفرد في مباحثها الكتاب العظيم : الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم.

٤- وافق مسلك أهل السنة والجماعة في الجملة في معظم عقائدهم الشرعية.

٥- تأثر بالطريقة الأشعرية في الصفات، نظراً لتتلمذه على عدد من أئمتهم.

٦- أثبت الإسراء والمعراج ، وأنها حصلا للنبي صلى الله عليه وسلم يقظة بروحه وجسده، كما هو قول جمهور علماء المسلمين.

٧- أثبت الشفاعة على طريقة أهل السنة والجماعة.

٨- توقف في رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لربه في الدنيا، مع ميله فيما يفهم من كلامه لترجيح الرؤية.

٩- قال برؤية المؤمنين لربهم في الآخرة.

١٠- أثبت المعجزات لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولغيره من الأنبياء، مع ظهور معجزات محمد صلى الله عليه وسلم وفضلها على سائر معجزات الأنبياء.

١١- أثبت الكرامات وساق أمثلة لها، وبين الفرق فيما بينها وبين المعجزة، ومخالفة الكرامة والمعجزة للسحر.

١٢- أثرت عنه بعض الآراء والأفكار الصوفية من مقالات في التبرك ببعض الأماكن .

١٣- أطنب في مباحث العصمة، وغالى في بعض جوانبها.

١٤- وافق أهل السنة والجماعة على القول بعصمة الأنبياء من الكفر والشرك.

١٥- غالى في نفي وقوع الذنوب من الأنبياء، وتأول الآيات الواردة في هذا الباب، وتكلف الرد على القائلين بدلالتها من وقوع بعض الذنوب، وتوبات الأنبياء منها.

١٦- قال بوقوع السهو من النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن سهوه للتشريع.

١٧- وافق أهل السنة والجماعة في إصابته صلى الله عليه وسلم بالسحر، وأن هذا لا يتعارض مع العصمة، إذ لم يؤثر على التشريع، وإنما كان حبسا له عن نسائه.

١٨- ذكر القاضي أن النبي صلى الله عليه وسلم غير معصوم فيما يتعلق بأمور الدنيا، ولكن ليس هذا إلى درجة تؤذن بالبله والغفلة.

١٩- أردفت هذه المباحث بموقف أهل السنة والجماعة من العصمة، وأنهم غير معصومين في أمور الدنيا، وأن وقوع الذنوب منهم وارد، ولكن لا يقرون عليها، بل يأتي الوحي لتنبيههم، وهم بعد الذنوب أحسن حالاً نظرا للتوبة التي ترتبت على الذنب، وإشفاقهم من المؤاخذة.

هذا مجمل النتائج التي استخلصتها من هذا البحث المختصر.

والله أسال أن لا يجعل ما عملنا علينا وبالاً، وأن يرزقنا العمل بما يرضيه عنا تعالى.

والحمد لله أولاً وآخراً.

فهرس الآيات مرتبة حسب ترتيب السور

فهرس الآيات مرتبة حسب ترتيب السور

السورة	الآية	رقمها	الصفحة
الفاتحة	صراط الذين أنعمت عليهم	٧	٦٦
البقرة	يا آدم اسكن	٣٥	٥٩
البقرة	قلوبنا غلف	٨٨	١٣٢
البقرة	الذين أتينهم الكتاب	١٤٦	٥٣
البقرة	إن الله يحب التوابين	٢٢٢	١٨٧
البقرة	قال أولم تؤمن قال بلى	٢٤٥	٥٢
البقرة	تلك الرسل فضلنا بعضهم علىٰ	٢٥٣	٥٢
آل عمران	قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني	٣١	٦٨،٦٦،٥١
آل عمران	قل أطيعوا الله والرسول	٣٢	٦٣
آل عمران	وإذ أخذ الله ميثاق النبيين	٨١	٥٣
آل عمران	وأطيعوا الله والرسول	١٣٢	٦٣
آل عمران	وشاورهم في الأمر	١٥٩	٢٠٥
النساء	يا أيها الذين أمنوا أطيعوا الله	٥٩	٦٩،٦٣
النساء	وما آتاكم الرسول فخذوه	٦٤	٦٣
النساء	فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك	٦٥	٦٦
النساء	وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع	٦٩	٦٤
النساء	من يطع الرسول فقد أطاع الله	٨٠	٦٣
النساء	وأنزل الله عليك الكتاب	١١٣	٥٢
النساء	رسلا مبشرين ومنذرين	١٦٥	٢
المائدة	يا أيها الرسول	٤١	٥٩

السورة	الآية	رقمها	الصفحة
المائدة	يا عيسى ابن مريم	١١٠	٥٩
الأنعام	إن هذا إلا أساطير الأولين	٢٥	١٣٢
الأنعام	لاتدركه الأبصار	١٠٣	١٠١،٩٧
الأعراف	يافرعون إني رسول من رب العالمين	١٠٤	٢١٥
الأعراف	لن تراني	١٤٣	٩٧
الأعراف	ولما رجع موسى إلى قومه	١٥٠	٢١٩
الأعراف	الذين يتبعون الرسول النبي	١٥٧	٥٤
الأعراف	فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي	١٥٨	٦٦
الأنفال	وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين	٧	١٣٣
الأنفال	ياأيها الذين أمنوا استجيبوا	٢٤	٦٥
الأنفال	لو نشاء لقلنا مثل هذا	٣١	١٣٢
الأنفال	يا أيها النبي	٦٤	٥٩
الأنفال	لولا كتاب من الله سبق	٦٨	١٨٠
يونس	أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة	٣٨	١٣٢
هود	أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور	١٣	١٣٢
هود	ولا تخاطبني في الذين ظلموا	٣٧	١٨٠
هود	يا نوح اهبط بسلام	٤٨	٥٩
هود	يا لوط إنا رسل ربك	٨١	٥٩
يوسف	ولقد همت به وهم بها	٢٤	١٨٠
الحجر	إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون	٩	١٣٣
الحجر	لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون	٧٢	٥٨
النحل	إن الله يأمر بالعدل والإحسان	٩٠	١٣٢
الإسراء	سبحان الذي أسرى بعبده ليلا	١	٨٣،٧٩،٧٣

السورة	الآية	رقمها	الصفحة
الإسراء	وما كان معذبين حتى نبعث رسولا	١٥	٥٠
الإسراء	وما جعلنا الرؤيا التي اريناك	٦٠	٨٣،٧٨
الإسراء	عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا	٧٩	٨٣
الإسراء	وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا	٩٠	٢١٨
مريم	يا زكريا إنا نبشرك	٧	٥٩
مريم	يا يحيى خذ الكتاب	١٢	٥٩
مريم	وجعلني مباركا أينما كنت	٣١	١٤٣
طه	ولقد عهدنا إلى آدم	١١٥	٢٢٠
طه	وعصى آدم ربه فغوى	١٢١	١٨٠
طه	ثم اجتباه ربه فتاب عليه	١٢٢	١٨٦
الأنبياء	وذا النون إذ ذهب مغاضبا	٨٧	١٧٠
الحج	وما أرسلنا من قبلك من رسول	٥٢	١٧٣،٤٧
الحج	الله يصطفى من الملائكة رسلا	٧٥	٢
المؤمنون	فتبارك الله أحسن الخالقين	١٤	١٤٣
المؤمنون	أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا	١١٥	٢
النور	وإن تطيعوه تهتدوا	٥٤	٦٣
النور	لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم	٦٣	٦٦،٦٠
الفرقان	تبارك الذي نزل الفرقان	١	١٤٤
الفرقان	إن هذا إلا إفك افتراه	٤	١٣٢
الفرقان	وما أرسلنا قبلك من المرسلين	٢٠	١٩٢
الفرقان	تبارك الذي جعل في السماء بروجا	٦١	١٤٤
القصص	فوكزه موسى فقضى عليه	١٥	١٨٠
القصص	يا موسى إني أنا الله	٣٠	٥٩

السورة	الآية	رقمها	الصفحة
القصص	وأن ألق عصاك	٣١	٢١٨
ص	يا داود إنا جعلنا خليفة	٢٦	٥٩
الأحزاب	لقد كان لكم في رسول الله أسوة	٢١	٦٦
الأحزاب	وإذ تقول للذي أنعم الله عليه	٣٧	٢٠٠
الأحزاب	إن الله وملائكته يصلون على النبي	٥٦	٦٩
الأحزاب	يوم تقلب وجوههم في النار	٦٦	٦٤
فاطر	وإن من أمة إلا خلا فيها نذير	٢٤	٥٠
الصافات	يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا	١٠٥	٥٩
ص	يا داود إنا جعلناك خليفة	٢٦	٥٩
غافر	ولقد جاءكم يوسف من قبل	٣٤	٤٧
فصلت	قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه	٥	١٣٢
الشورى	وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا	٥١	١١٣
الفتح	إنا فتحنا لك فتحا مبينا	١	١٨٠،٥٧
الفتح	لتدخلن المسجد الحرام	٢٧	١٣٣
الحجرات	يا أيها الذين أمنوا لا ترفعوا أصواتكم	٢	٦٠
الذريات	وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون	٥٦	٢
النجم	والنجم إذا هوى	١	٢١٤،١٧٣،١٦٧،٧٣
الحشر	أفتمارونه على ما يرى	١٢	١٠٤
الملك	تبارك الذي بيده الملك	١	١٢٣
الحاقة	ولو تقول علينا بعض الأقاويل	٤٤	٢١٣،١٧٤
عبس	عبس وتولى أن جاءه الأعمى	١	١٨٠
الضحى	ووجدك ضالا فهدى	٧	١٧١
الشرح	ورفعنالك ذكرك	٤	٥٨

فهرس الأحاديث حسب الترتيب الأبجدي

فهرس الأحاديث حسب الترتيب الأبجدي

طرف الحديث	الصفحة
آذنت النبي بالجن ليلة	١١٩
أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟	٥٥
أتيت بالبراق وهو دابة أبيض	٧٣
أثبت أحد فإنما عليك نبي	١٢٠
أجل والله، إنه لموصوف في التوراة	٥٤
احتجم	١٩٣
أحلت لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي	١٨١
أخبر قومه بالرفقة والعلامة التي	١٣٨
أدركه الجوع والعطش	١٩٢
إذا أراد غزوة ورى بغيرها	١٨٩،١٩٩
إذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه	٦٥
إذا هم عبدي بسيئة فلم يعملها	١٨٣
أراهم انشقاق القمر فرقتين	١٣٨
اطلبوا من معه فضل ماء	١١٨
أعلم قريشا بأن الأرضة أكلت	١٦٠
أعلمهم بعيرهم الذي مر عليها	١٦١
اقتدوا بالذين من بعدي	١٥٥
اللهم أكثر ماله وولده	١٥٨
اللهم إنما أنا بشر يغضب كما	٢٠١،٢١٩
اللهم فقهه في الدين	١٥٨
أما نحن بنو هاشم فنقول: إن محمدا	١٠٣
أمر الأعمى أن يتوضأ ويصلي ركعتين	١٥٧
أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا	٢٢١

طرف الحديث	الصفحة
إن الأرض زويت له فأري مشارقها	١٦٠
إن الله اختص موسى بالكلام	١٠٤
إن الله تعالى جعل الحق على لسان عمر	١٥٥
إن بني إسرائيل افترقوا على	٦٨
إن خير الحديث كتاب الله	٦٧
أن رجلا أتى النبي يستطعمه	١١٨
إن عمارا تقتله الفئة الباغية	١٦٠
إن عيني تنامان ولا ينام قلبي	١٩٣
إن الناس يصيرون يوم القيامة جثى	٨٨
أنا أكثر الأنبياء تبعا يوم القيامة	٥٤
انقادي علي بإذن الله	١١٩
إنما أنا بشر، فما حدثتكم عن الله	٢٠٤
إنما أنا بشر، وإنكم تختصمون	٢٠٥
إنما أنا بشر، وإنه ليأتيني الخصم	٢٢١
إنما أهلك من كان قبلكم بمثل هذا	١٥٣
إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به	٦٥
أنه رآه بقلبه	١٠٢
إنه لم يكن ليذر الكذب على الناس	٢١٤
إني إنما ظننت ظنا فلا تؤاخذوني	١١٤
إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي	١٢٠
إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع	١٥٢
إني لأمزح ولا أقول إلا حقا	١٩٩
إني لست كهيئتكم	١٩٣

طرف الحديث	الصفحة
أهو الذي بعينه بياض؟	١٩٩
بصق على أثر سهم في وجه أبي قتادة	١٥٧
بعثت من خير قرون بني آدم	٥٧
بفؤاده مرتين	١٠٣
بئس ابن العشيرة	٢٠٢
بئس ما لأحدكم أن يقول: نسيت	١٩٦
بينما امرأتان معهما ابناهما	٢٢١
بينا أنا نائم في الحجر جاءني جبريل	٨١
بينا أنا نائم في المسجد الحرام	٧٨
تدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم	٨٩
تربت يمينك	٢٠٢
تفل في عين علي يوم خيبر وكان رمدا	١٥٧
تلك الغرانيق العلى	١٧٣
ثلاثمائة وبضعة عشر جما	٥٠
ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة	٥٧
حل إزاره فجعله على منكبيه	١٣٦
خلعوا نعالهم حين خلع	١٧٩
خير الناس قرني ثم الذين يلونهم	٥٧
خيرت بين أن يدخل نصف أمتي الجنة	٩٣
دعا لأم أبي هريرة فأسلمت	١٥٨
دعا لعروة بن أبي الجعد بالبركة	١٥٨
رأى ابن عباس وأسامة وغيرهما	١٢٢
رأى ابن مسعود الجن وسمع	١٢٣

طرف الحديث	الصفحة
رأى بعض الصحابة تطاير الرؤوس	١٢٣
رأى سعد بن أبي وقاص عن يمين النبي	١٢٢
رأى من تعظيم أصحابه ما رأى	١٤٩
رآه جماعة من الصحابة في صورة	١٢٣
رأي ابن عمر واضعا يدعه على مقعد	١٥٠
رأيت رسول الله وحانت صلاة	١١٧
رأيته بفؤادي ولم أره بعيني	١٠٣
سحر	١٩٣
سحر رسول الله حتى	٢٠٧
سرعة شبابه وحسن نشأته	١٣٦
سقط فجحش شقه	١٩٢
سمع الصحابة له صوتا كصوت العشار	١٢٠
سيماهم التحليق	١٦٠
شجه الكفار وكسروا رباعيته	١٩٢
شفاعتي لمن شهد أن لا إله إلا الله	٩٣
صلى بنا رسول الله صلاة العصر	١٩٥
صنع رسول الله شيئا يترخص فيه	٦٧
طلبتك يا رسول الله البارحة	٨١
عرضت علي الأمم فرأيت النبي	٥٥
عليكم بسنتي وسنة الخلفاء	١٥٢،٦٧
عمران بيت المقدس خراب يثرب	١٦١
فأخذ جبريل بيدي فعرج بي	٨٠
فإذا أنا بربي في أحسن صورة	٤٠

طرف الحديث	الصفحة
فأراهم انشقاق القمر فرقتين	١٣٨،١١٧
فإنه مقام محمد المحمود الذي يخرج	٨٩
فإني لا أقول إلا حقا	١٦٧
فجحد فجحدت ذريته	٢٢٠
فردها رسول الله فكانت أحسن	١٥٧
فمسح عليه ودعا له وتفل فيه	١٥٧
فوضع النبي يده في الركوة	١١٨
فيأتوني فيقولوا: يا محمد أنت رسول الله	٥٧
قال سليمان بن داود: لأطوفن الليلة	٢٢٠
قام فينا رسول الله مقاما	١٦٠
كان أصحاب النبي إذا خلا	١٥٠
كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء	٤٧
كانوا يسمعون تسبيح الطعام	١١٩
كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى	٦٥
كانت الملائكة تصافح عمران	١٢٣
كما ترون القمر	١٠٨
كنا مع النبي ثلاثين ومائة	١١٨
لأحمانك على ابن الناقة	١٩٩
لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا	٢٢٢،٢٠٤
لقد رأيت رسول الله والحلاق	١٤٩
لكل نبي دعوة يدعو بها	٨٨
لم يصدق نبي من الأنبياء ما صدقت	٥٤
لما بلغه أن الناس يأتون الشجرة	١٥٣

طرف الحديث	الصفحة
لما قدم رسول الله المدينة	١٣١
ما أسري برسول الله إلا وهو في بيتي	٨١
ما أظن يغني ذلك شيئا	٢٢٢
ما بعث الله نبيا من الأنبياء إلا أخذ	٥٣
ما شأن ثابت؟	٦١
ما فقدت جسد رسول الله	٧٨
ما كان عمر بن الخطاب يسمع رسول	٦١
ما كان لنبي أن تكون له خائنة أعين	٢٠٠
ما من الأنبياء نبي إلا أعطي	١١٦
ما من نبي إلا أعطي آية من الآيات	٥٤
مرض النبي واشتكى	١٩٢
مسه الضعف والكبر	١٩٢
من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه	٣
من أطاعني فقد أطاع الله	٦٤
من دعا إلى هدى كان له من الأجر	٥٥
من صلى علي صلاة	٦٩
نبذوا خواتمهم حين نبذ خاتمه	١٧٩
نحن أحق بالشك من إبراهيم	١٦٩
النور الذي خرج معه عند	١٣٦

طرف الحديث	الصفحة
هلموا أكتب كتابا لن تضلوا بعد ه	٢٠٠
هي رؤيا عين رآها النبي	٨٠
هي الشفاعة	٨٩
والله لا أحلف على يمين فأرى	٢٠٥
وضع له السم في طعامه	١٩٣
ولادته وهو رافع رأسه وقد	١٣٦
ولكن ائتوا محمدا صلى الله عليه وسلم	٥٨
وهو نائم بالمسجد الحرام	٧٨
لا أشبع الله بطنك	٢٠٣
لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته	٦٧
لا، بل هو الرأي والحرب	٢٠٤
لا تطروني كما أطرت النصارى	٢١٨،٣
يا رب ! أمتي أمتي	٩٣
يا محمد، ارفع رأسك، سل تعطه	٩٢
يوضع للأنبياء منابر من نور	٩٢

فهرس الفرق والمذاهب

الأشـــــاعـــرة

فرقة كلامية إسلامية، تنسب لأبي الحسن الأشعري الذي خرج على المعتزلة.

ويتخذ الأشاعرة البراهين والدلائل العقلية والكلامية وســـيلة للمحاجـــة مـــع الخصوم،وإثبات الحقائق الشرعية والعقائد الإسلامية،على طريقة ابن كلاب.

ومؤسس هذه الفرقة هو أبو الحسن الأشعري الذي مـــر بمراحـــل متعـــددة، آخرها السير وفق منهج السلف، كما في كتابه (الإبانة عن أصول الديانة) وبعد وفـــاة أبي الحسن تعددت اتجاهات المذهب نظرا لأنه لم يبن مـــن الأصـــل علـــى منـــهج مؤصل، ومن أبرز مظاهر هذا التطور :-

- القرب من أهل الكلام والاعتزال.
- الدخول في التصوف، والتصاق المذهب الأشعري به.
- الدخول في الفلسفة وجعلها جزاء منه.

ومن أبرز أئمة الأشاعرة، الباقلاني، وأبو إسحاق الإسفراييني، وأبو المعـــالي الجويني، وأبو حامد الغزالي، والفخر الرازي ، وابن فورك وغيرهم.

ومن أبرز أفكارهم ومعتقداتهم تقديم العقل على النقل وعدم الأخـــذ بأحـــاديث الآحاد في العقيدة ، والمتواتر منها يجب تأويله.

وخالف الأشاعرة أهل السنة والجماعة في أول واجـــب علـــى المكلـــف ، إذ يرون أنه النظر، أو القصد- على خلاف بينهم -، وهم في الإيمان قريبـــون من المرجئة، وعليها فهم مضطربون في قضية التكفير.

إلى غير هذا من المعتقدات[1].

---

[1] انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف : د.مانع الجهني، نشر دار الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الطبعة الثالثة، عام ١٤١٨هـ.

الباطنـــيون

هم فرقة متسترة بالتشيع وحب آل البيت، تلبيسا على الناس مع إبطان الكفـــر المحض، ويخلطون بين التصوف والفلسفة،وسموا بذلك لأنهم يرون أن لكل ظـــاهر باطنا،ولكل تنزيل تأويلا، ومن عرف الباطن استغنى به عن الظاهر فمـــن عـــرف معنى العبادة سقط عنه فرضها من صلاة ونحوها.

ويذكر بعض المؤرخين أن أقدم دعاة الباطنية ميمون بن ديصان اليـــهودي، الـــذي أظهر الإسلام عام ٧٦هـــ رغبة في إفساد عقيدة المسلمين، وجعل لكل آية تفســـيرا ولكل حديث تأويلا، بل ذهب إلى أن الفرائض والسنن رموز وإشارات[١].

الخـــوارج

هم كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت عليه الجماعـــة،ســـواء كـــان الخروج في أيام الصحابة على الخلفاء الراشدين،أو غيرهم من التابعين لهم بإحسان.

والخوارج من أوائل الفرق التي ظهرت في تاريخ الإسلام، إلا أنها انقســـمت فرقـــا عديدة ومن أبرز فرقهم : الأزارقة والنجدات والثعالبة والأباضية والصفرية.

ومن أبرز أصولهم تكفير مرتكب الكبيرة،ورتبوا عليه استحلال دمه وقتلـــه، ووجوب الخروج على الأئمة المسلمين إذا ارتكبوا شيئا من الفســـق،أو وقعـــوا فـــي الظلم،وإنكار الشفاعة، وتكفير بعض الصحابة كأهل التحكيم، وتكفير أصحاب الجمـــل بما فيهم عائشة رضي الله عنها.

ومع اختلاف الفرق وتقادم الزمن ازدادت أصولهم وتأثروا ببعـــض الفـــرق فتأثروا بالجهمية في القرآن والرؤية، وبقول المعتزلة في الصفات، وقالوا بعدم حجية خبر الآحاد.

وأصل مذهبهم تعظيم القرآن وطلب اتباعه ولكنهم خرجوا عن السنة والجماعة[٢].

---

[١] انظر الموسوعة الميسرة، للندوة العالمية . ٢/٩٩١-٩٩٢.

[٢] انظر الموسوعة الميسرة، للندوة العالمية . ٢/١٠٦٣-١٠٦٤.

الصـــوفـــية

التصوف حركة دينية انتشرت في العالم الإسلامي في القرن الثالث الـــهجري كنزعات فردية تدعو إلى الزهد وشدة العبادة كرد فعل مضاد للانغماس في الـــترف الحضاري ، ثم تطورت تلك النزعات بعد ذلك حتى صارت طرق مميزة معروفـــة باسم الصوفية،ويتوخى المتصوفة تربية النفس والسمو بها بغية الوصول إلى معرفـــة الله تعالى بالكشف والمشاهدة ، لاعن طريقة اتباع الوسائل الشرعية، ولذا جنحوا فـــي المسار حتى تداخلت طريقتهم مع الفلسفات الوثنية، الهندية والفارسية واليونانية.

ويلاحظ أن هناك فروقا جوهرية بين مفهومي الزهد والتصوف أهمـــها : أن الزهد مأمور به، والتصوف جنوح عن طريق الحق الـــذي اختطـــه أهـــل الســـنة والجماعة.

وأول من عرف بالصوفي كما يرى ابن تيمية أبو هشـــام الكوفـــي (ت ١٥٠هـــ) ويمكن تقسيم طبقات الصوفية في القرنين الثالث والرابع الهجريين إلى ثلاث طبقـــات رئيسية :-

١- تيار اشتهر بالصدق في الزهد إلى حد الوسواس والبعد عن الدنيا، والتنطـــع في العبادة إلى درجة الانحراف بها عن المنهج الذي كان عليه الصـــدر الأول من الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام، ويغلـــب علـــى هـــؤلاء الإستقامة في العقيدة، والإكثار من دعاوى التزام منهج السنة ونهج الســـلف، ومن أبرز رواد هذا التيار : الجنيد، وأبو سليمان الداراني، وسهل بن عبد الله التسترى.

٢- تيار خلط الزهد بعبارات الباطنية، وانتقل فيها الزهد من الممارسات العمليـــة والسلوك التطبيقي إلى مستوى التأمل التجريدي والكلام النظري فظـــهر فـــي كلامهم مصطلحات : الوحدة والفناء، والإتحاد والحلول، والسكر والصحـــو، والكشف والبقاء ....، ومن أعلام هذه الطبقة أبو اليزيد البســـطامي، وذو النون المصري.

٣- تيار خلط التصوف بالفلسفة اليونانية،وظهرت لديهم أفكار الحلول والإتحـــاد ووحدة الوجود، ومن أشهر رموز هذه الطبقة : الحلاج، والسهروردي ، وابن عربي، وابن الفارض، وابن سبعين.

وفي القرن الأخير اختلط الأمر على الصوفية،وانتشرت الفوضى بينهم، وظهرت انقسامات عديدة، ومن أبرز الفرق الصوفية المنحرفـــة فـــي العـــاصر الحـــاضر : التيجانية، الجيلانية، الرفاعية، البدوية،الدسوقية، وغيرها [١].

المـــــرجـــئة

هي إحدى الفرق الكلامية التي تنتسب إلى الإســـلام، ذات المفـــاهيم والآراء العقدية الخاطئة في مفهوم الإيمان، ولم يعد لها كيان واحد حيث انتشرت مقالتهم فـــي كثير من الفرق.

وأول من قال بالإرجاء ذر بن عبد الله المذحجي، ثم تابعه غيـــلان الدمشـــقي والجعد بن درهم.

ويمكن إجمال الفرق المتأثرة بالإرجاء في التالي :-

١- من قال إن الإيمان تصديق القلب وقول اللسان، وهؤلاء مرجئة الفقهاء أبـــو حنيفة وأصحابه،فأخرجوا الأعمال من مسمى الإيمان، ويمكـــن القـــول بـــأن خلاف هؤلاء مع أهل السنة خلاف لفظي لا أثر له في أصل المعتقد.

٢- من قال إن الإيمان باللسان فقط وهؤلاء هم الكرامية، فالمنافقون علـــى هـــذا عندهم مؤمنون كاملو الإيمان مع قولهم باستحقاقهم الوعيد في الآخرة.

٣- من قال إن الإيمان هو التصديق، وعلى رأسهم أبو منصور الماتريدي ومـــن وافقه من الأشاعرة، وعليه فأبو طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم عندهـــم يكون مؤمنا كامل الإيمان.

٤- من قال إن الإيمان هو المعرفة،وهذا قول الجهم بن صفوان، ومـــن وافقـــه، وعليه فإبليس وفرعون كانا مؤمنين كاملي الإيمان [١].

---

[١] انظر الموسوعة الميسرة، للندوة العالمية . ٢٥٣/١-٢٧٨.

[١] انظر الموسوعة الميسرة، للندوة العالمية . ١١٥٣/٢-١١٥٤.

المعتزلة

هي فرقة إسلامية نشأت في أواخر العصر الأموي،وازدهرت في العصر العباسي، تعتمد على العقل المجرد في فهم العقيدة،نظرا لتأثرها بالفلسفات المستوردة مما أدى إلى انحرافها عن عقيدة أهل السنة والجماعة، ويطلق عليهم المعتزلة والقدرية والعدلية والمقتصدة والوعيدية.

ونشأ الاعتزال حينما اعتزل واصل بن عطاء مجلس الحسن البصري، وقوله بمقولة المنزلة بين المنزلتين.

وقد ظهرت مقولات المعتزلة متفرقة، فمعبد الجهني نفى القدر، ثم ظهر غيلاني الدمشقي نافيا القدر كذلك،ثم جاء الجهم بن صفوان وقال بنفي الصفات وخلق القرآن، ثم جاء بعده الجعد بن درهم وقال بنفي الصفات أيضا.

ومن أشهر منظري المعتزلة : أبو الهذيل العلاف، والنظام، وبشر بن المعتمد، والقاضي عبد الجبار.

وقد حرر المعتزلة مذهبهم في خمسة أصول :

١- التوحيد، وخلاصته عندهم نفي الصفات.

٢- العدل، وخلاصته عندهم نفي القدر، وأن العبد يخلق فعل نفسه.

٣- الوعد الوعيد، وخلاصته وجوب مجازاة المحسن إحسانا ، ووجوب معاقبة المسئ سوءا، وعدم المغفرة لصاحب الكبيرة إلا إذا تاب.

٤- المنزلة بين المنزلتين، ويعنون بهذا أن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا بكافر، بل هو في منزلة بينهما.

٥- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وخلاصته التأثر بفكرة الخوارج، في الخروج على الإمام إذا خالف وانحرف عن الحق [1].

---

[1] انظر الموسوعة الميسرة، للندوة العالمية . ١/٦٩-٨٠.

فـــهـــــرس الأعـــلام المترجم لهم

فهرس الأعلام

ابن جريج

عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الإمام العلامة الحافظ شيخ الحرم حدث عن جماعة من التابعين.

قيل لعطاء من نسأل بعدك يا أبا محمد ؟ قال : هذا الفتى إن عاش، يعني ابن جريج، وقال يحيى بن سعيد : ابن جريج أثبت من مالك في نافع،وقال عبد الرزاق : كنت إذا رأيت ابن جريج علمت أنه يخشى الله.

مات رحمه الله سنة مائة وخمسين وله سبعون سنة، فهو كأبي حنيفة في المولد والوفاة (انظر سير أعلام النبلاء ٦/٣٢٥-٣٣٦).

ابن زيد

عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العمري صاحب قرآن وتفسير، جمع تفسيرا في مجلد، وكتابا في الناسخ والمنسوخ، حدث عن أبيه وابن المنكدر، فيه لين.

توفى رحمه الله سنة اثنتين وثمانين ومائة.

(انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ٨/٣٤٩).

أبو العالية

رفيع بن مهران، الإمام المقرئ الحافظ المفسر، كان مولى لامرأة من بني رياح، أدرك زمان النبي صلى الله عليه وسلم وهو شاب، وأسلم في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، وسمع من عدد من الصحابة، حفظ القرآن وقرأه على أبي بن كعب رضي الله عنه، وتصدر للتدريس وبعد صيته.

مات رحمه الله سنة ثلاث وتسعين.

(انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ٤/٢٠٧-٢١٣).

الحسن البصرى

أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار مولى زيد بن ثابت، ولد في خلافة عمر رضي الله عنه كان سيد أهل زمانه علما وعملا.

قال معتمر بن سليمان : كان أبي يقول : الحسن شيخ أهل البصرة، ونقل عن أنس بن مالك أنه قال : سلوا الحسن فإنه حفظ ونسينا، وكان رحمه الله حسن الصورة، ومن الشجعان الموصوفين.

واشتهر رحمه الله بالتدليس،ولذا أعرض أهل الصحيح عن كثير مما يرويه.

(انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ٥٦٣/٤-٥٨٨).

العتبي

فقيه الأندلس، محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن عتبة القرطبي المالكي.

قال أسلم بن عبد العزيز أخبرني ابن عبد الحكم قال : أتيت بكتب حسنة الخط تدعى المستخرجة من وضع صاحبكم محمد بن أحمد العتبي فرأيت جلها كذوبا، ... .

مات سنة خمس وخمسين ومائتين.

(انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ٣٣٥/١٢؛ ترتيب المدارك للقاضي عياض ١٤٥/٣).

عطاء بن أبي رباح

الإمام شيخ الإسلام مفتى الحرم، أبو محمد القرشي مولاهم، حدث عن جماعة من الصحابة.

قال طاووس عن سلمة بن كهيل :

ما رأيت أحدا يريد بهذا العلم وجه الله غير هؤلاء الثلاثة : عطاء وطلووس ومجاهد. ولد في خلافة عثمان، ومات رحمه الله سنة أربع عشرة ومائة.

قـــتـــادة

قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي البصرى الضرير، ولد سنة ستين هجريـة. روى عن بعض الصحابة وجمهرة كبيرة من التابعين وكان من أوعية العلم وممـــن يضرب به المثل في قوة الحفظ، وهو حجة بالإجماع إذا بين السماع، فإنه معـــروف بالتدليس.

قال الإمام أحمد عنه : كان قتادة عالما بالتفسير وباختلاف العلماء وقال : قلما تجد من يتقدمه.

توفى رحمه الله سنة ثمان عشرة ومائة.

(انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ٥/٢٦٩-٢٨٣).

مجاهد

الإمام مجاهد بن جبر مولى السائب بن أبي السائب المخزومي شيخ القـــراء والمفسرين روى عن ابن عباس وأبي هريرة وعائشة وغيرهم من الصحابة رضـــي الله عنهم أجمعين، وقد أثنى عليه غير واحد من السلف، منهم سفيان الثوري وقتـــادة ويحيى بن معين، قال الذهبي : ولمجاهد أقوال وغرائب في العلم والتفسير تستنكر.

(انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ٤/٤٤٩-٤٥٧).

النقـــاش

الإمام الحافظ البارع الثبت، أبو سعيد، محمد بن علي بن عمرو الأصبـــهاني الحنبلي النقاش.

ولد بعد الثلاثين وثلثمائة. كان من أئمة الأثر، مات في ســـنة أربـــع عشـــرة وأربعمائة.

(انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ٧/٢٤٨)

فـــهـــرس المـــراجع

فهرس المراجع

القرآن الكريم.

(أ)

الإبانة عن أصول الديانة، لأبي الحسن الأشعري، تحقيق الدكتورة فوقية محمود، نشر دار الأنصار، مصر، الطبعة الأولى، عام ١٣٩٧هـ.

إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطرا ف العشرة، لابن حجر العسقلاني، تحقيق زهير الناصر،نشر مجمع الملك فهد بالتعاون مع وزارة الشؤون الإسلامية، السعودية، الطبعة الأولى، عام ١٤١٥هـ.

الإحاطة في أخبار غرناطة، لابن الخطيب الأندلسي، تحقيق محمد عدنان، نشر مكتبة الخانجي،مصر،الطبعة الثانية، عام ١٣٩٢هـ.

الإحكام في أصول الأحكام، للآمدي ، تعليق عبد الرزاق عفيفي، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، عام ١٤٠٢هـ.

إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، للشوكاني،نشر دار الفكر، بيروت، بدون رقم وتاريخ الطبع.

أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، للشهاب الدين أحمد التلمساني، نشر اللجنة المشتركة للنشر والتراث الإسلامي في المغربي والإمارات، بدون رقم الطبعة وتاريخ النشر.

أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين الشنقيطي،نشر إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، السعودية، عام ١٤٠٣هـ.

إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، لابن القيم الجوزية،تحقيق حامد الفقي،نشر دار المعرفة، بيروت، بدون رقم وتاريخ الطبع.

الاعتصام، للشاطبي، تحقيق عبد الرزاق المهدي، نشر دار الكتاب العربي،بيروت،ط١،١٤١٧هـ.

إقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لشيخ الإسلام ابن تيمية،تحقيق ناصر العقل، نشر دار العاصمة، الطبعة السادسة، ١٤١٩هـ.

إكمال المعلم بفوائد المسلم،للقاضي عياض، تحقيق يحيى إسماعيل، نشر دار الوفاء، مصر،ط١،عام ١٤١٩هـ.

الأولياء والكرامات،لبي السمح عبد الظاهر،نشر مطبعة الإمام، مصر، بدون رقم الطبعة وتاريخ النشر ١٣٦٨هـ.

بدائع الفوائد، لابن قيم الجوزية،نشر دار الكتاب العربي،بيروت،بدون رقم وتاريخ الطبع.

بداية السول في تفضيل الرسول،لعبد العزيز بن عبد السلام،نشر المكتب الإسلامي،الطبعة الرابعة، ١٤٠٦هـ.

البداية والنهاية، لابن كثير، تحقيق أحمد أبو ملحم وآخرون،نشر دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٥هـ.

البدع والنهي عنها، لابن وضاح القرطبي،تحقيق أحمد دهمان،نشر دار البصائربدمشق، الطبعة الثانية، عام ١٤٠٠هـ.

بغية الرائد في تخقيق مجمع الزوائد ومنبع الفوائد،لأبي بكر الهيثمي، تحقيق عبد الله الدرويش، دار الفكر، بيروت، تاريخ النشر ١٤١٤هـ.

تاريخ الأدب العربي، لكارل بروكلمان، ترجمة عبد الحليم النجار،نشر جامعة الدول العربية، طبعة دار المعارف، مصر، عام ١٣٩٧هـ.

تاريخ ابن خلدون (العبر)، لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون،نشر دار البيان في بريطانيا عام ١٣٩١هـ.

تأويل مختلف الحديث،لابن قتيبة الدينوري،نشر دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٥هـ.

تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة، شرحه أحمد صقر، دار التراث، مصر، ط٢، ١٣٩٣هـ.

التبرك أنواعه وأحكامه، للدكتور ناصر الجديع، مكتبة الرشد، الرياض، ط٣، ١٤١٥هـ.

التبرك المشروع والتبرك الممنوع، للدكتور علي بن نفيع العلياني،نشر دار الوطن،الطبعة الأولى،عام ١٤١١هـ.
التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، للإمام القرطبي، تحقيق فؤاد زمرلى، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٨هـ.
ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، للقاضي عياض،نشر وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالمغرب.
التعريف بالقاضي عياض، لولده أبي عبد الله محمد، تحقيق د.محمد بن شريفة، نشر وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالمغرب، الطبعة الثانية،عام١٤٠٢هـ.

(ت)

تفسير القرآن العظيم، للإمام إسماعيل بن كثير،نشر مكتبة العبيكان بالرياض، الطبعة الأولى، عام ١٤١٣هـ.
تفسير المعوذتين،لابن القيم الجوزية، نشر المطبعة السلفية، مصر، الطبعة الخامسة، عام ١٣٩٥هـ.
التوحيد وإثبات صفات الرب، للإمام ابن خزيمة، تحقيق د. عبد العزيز الشهوان، نشر دار الرشد بالرياض،الطبعة الأولى، عام ١٤٠٨هـ.
تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للحافظ المزي، تحقيق بشارعواد،نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السادسة، عام ١٤١٥هـ.

(ج)

جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري،نشر دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، عام ١٤١٢هـ.
الجامع الصحيح،للإمام محمد بن إسماعيل البخاري،ضمن فتح الباري بترقيم محمد فؤاد الباقي والتي حقق أجزاء منها سماحة الشيخ ابن باز- رحمه الله -ن نشر المكتبة السلفية، بدون رقم وتاريخ الطبع.
الجامع لأحكام القرآن،للقرطبي، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، عام ١٣٧٢هـ.

الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لشيخ الإسلام ابن تيمية،تحقيق علي ناصر وصاحبيه، نشر دار العاصمة بالرياض، الطبعة الأولى، عام ١٤١٤هـ.

(ح)

حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح، لابن قيم الجوزية، تحقيق د. السيد الجميلي، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، عام ١٤١٥هـ.

حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته في ضوء الكتاب والسنة، د. محمد بن خليفة التميمي، أضواء السلف الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

(د)

درء الارتياب عن حديث " ما أنا عليه اليوم والأصحاب"، لسليم الهلالي، نشر دار الراية، الرياض، ط١، ١٤١٠هـ.

دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، للبيهقي، تحقيق د.عبد المعطي قلعجي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

دورة القاضي عياض، لمجموعة من المؤلفين،نشر دار مراكش بالمغرب، الطبعة الأولى، عام ١٤٠١هـ.

الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، لابن فرحون المالكي،تحقيق د.محمد أبو النور، نشر مكتبة دار التراث، مصر.

(ر)

رؤية الله تعالى والرد على المنكرين ، للدكتور عبد القادر البحروي، مكتبة النور، مصر، الطبعة الأولى،عام١٤٠٧هـ.

الرد على الجهمية، للإمام الدارمي،تحقيق بدر البدر،نشر الدار السلفية، الكويت، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٥هـ.

(ز)

زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القين الجوزية، تحقيق شعيب وعبد القادر الأرناؤوط، نشر دار الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة، عام ١٤٠٥هـ.

(س)

سنن أبي داود، للإمام أبي داود السجستاني، تحقيق عزت عبيد الدعاس، نشـــر دار الحديث، سوريا، الطبعة الأولى، عام ١٣٨٨هـ.

سنن ابن ماجه، للإمام أبي عبد الله محمد بن ماجه، تحقيق محمد فؤاد الباقي ، نشـــر دار إحياء التراث العربي، عام ١٣٩٥هـ.

سنن الترمذى (الجامع الصحيح)، لأبي عيسى محمد الترمذي، تحقيق كمال الحـــوت، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى،عام ١٤٠٨هـ.

السنن الكبرى،للإمام البيهقي، نشر دار المعرفة،بيروت،بذيله الجوهر النقـــي لابـــن التركماني.

سنن النسائي، للإمام أحمد بن شعيب النســـائى، تحقيـــق مكتـــب تحقيـــق الـــتراث الإسلامي،نشر دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، عام ١٤١٢هـ.

السنة، للإمام أبي بكر عمرو بن أبي عاصم الشيباني، تحقيق محمد ناصر الألبـــاني، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٠هـ.

سير أعلام النبلاء، لشمس الدين الذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط وصاحبـــه، نشـــر مؤسسة الرسالة ، بيروت، الطبعة السابعة، عام ١٤١٠هـ.

السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، لابن حبان البستى، تحقيق عزيز بك وجماعة، نشـــر مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

السيرة النبوية،لابن هشام، تحقيق مصطفى السقا، نشر مطبعة الحلبي، الطبعة الثانية، عام ١٣٧٥هـ.

(ش)

شذرات الذهب في أخبار من ذهب، للإمام أبي الفلاح ابن العماد الحنبلي، نشـــر دار إحياء التراث العربي، بيروت.

شرح الشفا، للقاضي عياض، شرحه الملا على القارىء، الناشر دار الكتب العلميـــة، بيروت، بدون رقم وتاريخ الطبع، وهي مصورة عن نســـخة المطبعـــة العثمانيـــة، المطبوعة عام ١٣١٩هـ.

شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، تحقيق د. التركي والأرناؤوط، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت.

شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، نشر وزارة الشئون الإسلامية،عام ١٤١٨هـ.

شرح العقيدة الواسطية، لابن تيمية، شرح محمد خليل هراس،تحقيق مصطفى السقا وأخوه، نشر دار الهجرة، الرياض،الطبعة الأولى، عام ١٤١١هـ.

شرح صحيح مسلم، للإمام النووى، نشر المطبعة المصرية،الطبعة الأولى، عام ١٣٤٧هـ.

الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضى عياض، تحقيق حسين عبد الحميد نيل، نشر دار الأرقم، بيروت، بدون رقم الطبعة وتاريخ الطبع.

(ص)

الصحاح في اللغة، للجوهري،تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، نشر دار الملايين، الطبعة الثالثة،عام ١٤٠٤هـ.

صحيح الترغيب والترهيب، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني،نشر المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، عام ١٤٠٨هـ.

صحيح الجامع الصغير وزيادته، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني،نشر المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، عام ١٤٠٢هـ.

صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، عام ١٤١٢هـ .

الصلة، لأبي القاسم خلف بن بشكوال، نشر الدار المصرية، للتأليف والترجمة، الطبعة الأولى،عام ١٩٦٦م.

(ض)

ضوء الساري إلى معرفة رؤية الباري، لأبي شامة، تحقيق د. أحمد الشريف، نشر دار الصحوة،مصر، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٥هـ.

(ط)

طبقات الحفاظ، للإمام السيوطي، تحقيق علي محمد عمر، نشر مكتبة وهبة، مصر،الطبعة الأولى، عام ١٣٩٣هـ.

(ع)

عصمة الأنبياء والرد على الشبهات الموجهة إليهم، للدكتور محمد أبو النور الحديدي، نشر مطبعة الأمانة، مصر، بدون رقم وتاريخ الطبع.

(غ)

الغنية، للقاضي عياض، تحقيق ماهر جرار، نشر دار الغرب، بيروت،الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ.

الغنية في مسالة الرؤية، لابن حجر العسقلاني،تحقيق الدكتور محمد التركي، نشر دار اللواء، الرياض، بدون رقم الطبعة،تاريخ ١٤١٩هـ.

(ف)

فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق ابن باز، نشر المكتبة السلفية، الرياض، بدون رقم وتاريخ الطبع.

فتح القدير، للإمام الشوكاني، نشر مصطفى الحلبي، مصر، الطبعة الثانية، عام ١٣٨٣هـ.

الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، لشيخ الإسلام ابن تيمية،نشر دار الكتب، بيروت،عام ١٤٠٢هـ.

الفصل في الملل والأهواء والنحل،لابن حزم الأندلسي، تحقيق محمد نصر وصاحبه، نشر دار الجيل، بيروت، الطبعة الخامسة، عام ١٤٠٥هـ.

(ق)

القاموس المحيط، للفيروزآبادي، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت،الطبعة الثانية، عام ١٤٠٧هـ.

القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع، للإمام السخاوي، تحقيق بشير محمد عون،نشر مكتبة المؤيد، الرياض، ودار البيان، سوريا،بدون رقم الطبعة ، تاريخ النشر ١٤٠٥هـ.

(ك)

الكافي، لموفق الدين ابن قدامة،تحقيق د. التركي، نشر دار هجر، الطبعة الأولى، عام ١٤١٧هـ.

كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم،للقاضي عياض، تحقيق كمال بسيوني المصرى، نشر مؤسسة الكتب الثقافية،بيروت، الطبعة الأولى، عام ١٤١٦هـ.

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون،لحاجي خليفة،نشر دار الفكر، بيروت،عام ١٤٠٢هـ.

الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة،لمحمد بن رشد، تحقيق مصطفى عثمان،نشر المكتبة المحمدية، مصر، ط الثانية، عام ١٣٨٨هـ.

(ل)

لسان العرب، لمحمد بن منظور، اعتنى بها أمين عبد الوهاب وزميله،نشر دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، الطبعة الثانية، عام ١٤١٧هـ.

لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، للإمام ابن قدامة المقدسي،شرح ابن عثيمين، تحقيق أشرف عبد المقصود، أضواء السلف، الرياض، ط٣،١٤١٥هـ.

لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية،لمحمد السفاريني، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، ومكتبة أسامة، الرياض،ط٢، ١٤٠٥هـ.

(م)

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للإمام الهيثمي، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، عام ١٤٠٢هـ.

مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية،جمع عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد، نشر الدار العربية، بيروت، مصورة عن الطبعة الأولى، عام ١٣٩٨هـ.
مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، لابن باز، جمع د. سعد الشويعر،نشر الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الرياض، الطبعة الثانية، عام ١٤١٦هـ.
المحرر الوجيز،لابن عطية، نشر المجلس العلمي بفاس (المغرب)، بدون رقم وتاريخ الطبع.
مدارج السالكين،لابن القيم الجوزية، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٣هـ.
المستدرك على الصحيحين، للإمام الحاكم، نشر دار الباز، مكة، بدون رقم وتاريخ الطبع.
المسند، للإمام أحمد، تحقيق أحمد شاكر، نشر دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، عام ١٣٩٨هـ.
معجم مقايس اللغة، لابن فارس، تحقيق شهاب الدين أبو عمر، نشر دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، عام ١٤١٥هـ.
المعجم الوسيط، للدكتور إبراهيم أنيس ومجموعة من المؤلفين، نشر المكتبة الإسلامية، تركيا.
مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإدارة، لابن قيم الجوزية،نشر رئاسة إدارات البحوث العلمية،السعودية، بدون رقم وتاريخ الطبع.
مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم،لطاش كبرى زاده، نشر دار الكتب العلمية،بيروت، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٥هـ.
منهاج العوارف إلى روح المعارف في شرح مشكل أحاديث التوحيد، مخطوط، (عن رسالة التوغسان عبد الرحمن).
منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

(ن)

النبوات، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق الدكتور عبد العزيز الطويان، رسالة دكتوراه من الجامعة الإسلامية، عام ١٤١٧هـ، ومحفوظ منها نسخة لدى مكتبى الملك فهد، الرياض.

نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق، لمحمد ناصر الدين الألباني، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، عام ١٤٠٩هـ.

النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، تحقيق ماهر أحمد الزواوي وصاحبه،نشر دار إحياء الكتب العربية، مصر.

النهاية في الفتن والملاحم، للإمام ابن كثير، تحقيق أحمد عبد الشافي، نشر دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، عام ١٤١١هـ.

(و)

وجاءوا يركضون مهلا يا دعاة الضلالة، لأبي بكر الجزائري، نشر دار الحرمين، مصر، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٥هـ.

وفيات الأعيان وأبناء الزمان، لابن خلكان، تحقيق إحسان عباس، نشر دار الثقافة، بيروت،عام ١٩٦٩م.

فـــهـــــرس الموضوعات

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	١
التمهيد	١١
ترجمة القاضي عياض	١٢
اسمه	١٣
مولده	١٣
حياته ونشأته	١٤
مذهبه	١٧
عقيدته	١٩
شيوخه	٢٣
تلاميذه	٢٥
ثناء العلماء عليه	٢٦
مؤلفاته	٣٢
وفاته	٣٢
التعريف بكتاب الشفا	٣٤
عنوا الكتاب	٣٥
توثيق نسبة الكتاب	٣٥
موضوع الكتاب	٣٦
مكانة الكتاب	٣٧
بين النبوة والرسالة	٤٥
معنى النبي	٤٦
معنى الرسول	٤٨
سمو مكانة المصطفى	٥١

الموضوع	الصفحة
وجوب طاعته واتباعه	٦٢
ثبوت الإسراء والمعراج	٧٢
هل الإسراء بالروح	٧٦
الأقوال في المسألة	٧٧
مناقشة أدلة المخالفين	٨٢
إثبات الشفاعة	٨٦
أهل الشفاعة	٩١
رؤية الله في الدنيا	٩٦
رؤية النبي لربه	١٠٠
رؤية الله تعالى في الآخرة	١٠٦
تسمية آيات الأنبياء	١١٢
إثبات المعجزات	١١٥
إثبات الكرامات	١٢١
التفريق بين المعجزات والكرامات	١٢٤
الفرق بين المعجزة والسحر	١٢٦
المعجزات المعنوية	١٣٠
ما وقع من النبي قبل البعثة	١٣٥
معجزات التحدى للكفار	١٣٧
معنى التبرك	١٤٢
معنى التبرك وحقيقته	١٤٣
أنواع التبرك المشروع	١٤٥
أنواع التبرك الممنوع	١٤٦
موقف القاضي عياض	١٤٨

الموضوع	الصفحة
تأثر القاضي عياض بالصوفية	١٤٩
الرد على القاضي عياض	١٥١
بركة المصطفى	١٥٦
معجزاته (في الأخبار)	١٥٩
العصمة	١٦٢
تقرير العصمة فيما يتعلق بالتشريع	١٦٥
الرد على استدلالات تنافي القول بالعصمة	١٦٨
قصة الغرانيق	١٧٢
عصمته من الوقوع في الذنوب	١٧٧
عصمته في أمور الدنيا	١٩٠
صفة البشرية	١٩١
سهوه عليه الصلاة والسلام	١٩٤
أخباره الدنيوية	١٩٨
آراؤه	٢٠٣
ما ورد من سحره	٢٠٦
موقف أهل السنة من العصمة	٢١١
موقفهم من العصمة في التبليغ	٢١٢
موقفهم من العصمة في أمور الدنيا	٢١٧
الخاتمة	٢٢٤
فهرس الآيات	٢٢٧
فهرس الأحاديث	٢٣٢
فهرس الفرق والمذاهب	٢٤٠
فهرس الأعلام	٢٤٦
فهرس المراجع	٢٥٠
فهرس الموضوعات	٢٦١

والحمد لله أولا وآخرا.